الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم الكتاب والسنة

شعبة التفسير وعلوم القرآن

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

الوحدة الموضوعية في سورة النمل

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

يزيد غربي

إشراف الأستاذ الدكتور:

رابح دوب

الاسم واللقب	الصفة	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية
د/رمضان يخلف	رئيسا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–
أ.د.رابح دوب	مشرفا ومقررا	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–
د/الجمعي شبايكي	مناقشا	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر–قسنطينة–

السنة الجامعية: 1433–1434هـ/2012–2013م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إهـــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والدي الكريمين –حفظهما الله وبارك في عمريهما–، الذين أفنيا عمرهما وسهرا طويلا علي وعلى إخوتي من أجل تربيتنا وتعليمنا،وهذا بعض جهدهما، وإلى وجتي التي صبرت معي كثيرا في بداية رحلة طلب العلم وما تزال، وإلى ولدي محمد صلاح الدين أنبته الله نباتا حسنا، وإلى كل أساتذتي ومن علموني حرفا بلا استثناء، وإلى تلامذتي خاصة، وطلبة العلم عامة.

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل المتواضع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر و تقدير

بادئ ذي بدء أشكر الله تعالى شكرا كثيرا طيبا مباركا فيه على ما من به علي من كل خير ونعمة، ومنها التوفيق لإنجاز هذا العمل المتواضع، وجعلني من الذين تشرفوا بالانتساب إلى**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية**، والتي حلمت ذات يوم بالدراسة فيها، فمن الله علي بذلك.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ الفاضل الدكتور "**رابح دوب**"، على قبوله الإشراف على هذه الرسالة، وعلى ما أسداه من نصائح وتوجيهات كانت خير معين لي في سلوك سبيل العلم النافع، حتى تخرج هذه الرسالة –بإذن الله– إلى النور.

كما أتقدم بالشكر الجزيل أيضا إلى الأساتذة الأفاضل أعضاء اللجنة لقبولهم الإشراف على مناقشة هذه الرسالة.

ولا أنسى كذلك أن أشكر كل من قدم يد المساعدة ولو بكلمة، وهم كثر، أسأل الله تعالى أن يجزيهم الجزاء الحسن، وبارك الله في الجميع.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سُورَةُ النَّمْلِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ
﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم
مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا
رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا
مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ
سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟
هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ
مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن
كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا
يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ
فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ
ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾
فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي
وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا
يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا
يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا
تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ
كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ
﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ
قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ
﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ
﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ
بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ
بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا
قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّي عَلَيْهِ
لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ
مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ

وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا
يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾
وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ
حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ
نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ
ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ
ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ
طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى
ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا
مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا
يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾
وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ
ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ
إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾
وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ
ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ

ٱللَّهِ ۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا
رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن
يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ
قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ
بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ
﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ
ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ
أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبٗا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ
إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٦٩﴾
وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ
صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ
عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٤﴾
وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ
أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي
بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا
تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن
تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ
مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوۡمَ نَحۡشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٖ فَوۡجٗا

مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبۡتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمۡ تُحِيطُواْ بِهَا
عِلۡمًا أَمَّاذَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِم بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمۡ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا
جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوۡمَ يُنفَخُ
فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾
وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةٗ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرُۢ بِمَا
تَفۡعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ
فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ
رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنۡ
أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ
ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين، محمد بن عبد الله – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد:

إن أجل ما تفنى فيه الأعمار، و أسمى ما تشغل به الأوقات، العيش مع القرآن الكريم قراءة وتدبرا وتفسيرا.

وقد اعتنى العلماء قديما وحديثا بتفسير القرآن الكريم، واستجلاء معاني آياته، وتنوعت تفاسير العلماء إلى أنواع، منها التفسير الموضوعي، و من أقسامه التفسير الموضوعي الكشفي، الذي يخص السورة الواحدة بالدراسة.

وقد تشرفت بتناول هذا النوع من التفسير الموضوعي بالتطبيق على سورة النمل، ووقفت على موضوعها ومقاصدها وأغراضها، والهدايات المضيئة من سراجها، وما يمكن أن تقدمه من استفادة للناس، ترتبط بحياتهم وواقعهمو كان عنوان الرسالة:

(الوحدة الموضوعية في سورة النمل.)

أسباب اختيار الدراسة:

تتمثل أسباب ودوافع اختيار الدراسة في ما يأتي:

أ-الأسباب والدوافع الذاتية :

1- اهتمامي بموضوع سورة النمل، وما تحتويه من أسرار وحكم، ، مما رغبني في تناولها بالدراسة.

2- نيل شرف خدمة كتاب الله – عز و جل – والدفاع عنه ، لعلني بذلك أكون من أهل الله وخاصته ، وأدخل تحت قوله – صلى الله عليه وسلم-:[**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**]،وسيأتي تخريجه إن شاء الله تعالى.

3- المشاركة البحثية، وذلك في إطار تناول سورة النمل بالدراسة والتتبع، لاستجلاء مكنوناتها، واستمطار سحائب دررها .

ب/الأسباب والدوافع الموضوعية :

1- اتجاه الأبحاث الحديثة والمعاصرة إلى مثل هذا النوع من الدراسات، تقعيدا ومنهجا ودراسة وتأليفا.

2- إثراء البحث العلمي في مجال التفسير الموضوعي، وتحديدا التفسير الموضوعي الكشفي المتعلق بسورة النمل.

3- المساهمة في إثراء مكتبة العلوم الشرعية، وتحديدا علوم القرآن والتفسير، بمجهود متواضع في هذا الميدان.

الإشكالية:

تتمثل إشكالية البحث في محاولة الإجابة عن التساؤل الجوهري الآتي :

ما هو الموضوع الرئيس لسورة النمل؟ وكيف يستفاد منها واقعيا ؟

ويتفرع عن هذا التساؤل مجموعة من الأسئلة الجزئية :

1-ما هي المقاصد والأغراض المستوحاة من سورة النمل ؟

2-ما هي الهدايات المستنبطة من آيات سورة النمل؟

3-ما هو التناسب الموجود بين مقاطع سورة النمل؟و بين مقاطع سورة النمل، و موضوعها الكلي؟

4 -كيف نستفيد من السورة عمليا وواقعيا؟

أهمية الدراسة :

تبرز أهمية الدراسة في النقاط الآتية :

1- ما يكتسبه طابع هذه الدراسة-وهي الوحدة الموضوعية في سورة النمل- من أهمية بالغة، توازي بقية أبحاث هذا الكتاب الكريم وعلومه.

2- بما أن الدراسة تدور حول الوحدة الموضوعية في سورة النمل، فذلك يستدعي الكشف والبيان عن التناسق العجيب، والترابط المحكم داخل هذه السورة ، بحيث تغدو محاورها جداول فرعية تصب في مصب واحد يجعلها لحمة واحدة، يعتبر أولها تمهيدا لآخرها، وآخرها تصديقا لأولها، وهذا نوع إعجاز في السورة من القرآن.

3- تأتي مثل هذه الدراسة لسورة النمل، في وقت تكالبت فيه القوى المعادية وتضافرت جهودها، لتوهين صلة أتباع القرآن الكريم به ، ومن ثم إطفاء هذا النور الإلهي ، لترد هذه الافتراءات التي تدعي ظلما وزورا عدم انسجام آيات القرآن وارتباطها، وتداخل الأفكار والطروحات التي تعرضها بشكل مفرق ومتناثر، وتصد هذه العداوات والخصومات ، وتدافع عن خاتمة الرسالات، وتبين بوضوح قدسية وعظمة هذا القرآن، ومنعته من أي عبث تطاله يد ، أو يلوكه لسان، وهذا في سورة منه.

4- تظهر أهمية الدراسة جلية عند دراسة سورة النمل في إبراز الجانب الإعجازي والسنني بكل

مظاهره في هذه السورة .

الهدف من الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى:

1- التعريف بسورة النمل ، وموضوعها ، وأغراضها ومقاصدها ، وما تضمنته من هدايات ولطائف متنوعة، تعظ الناس وتهديهم، وترسم معالم سبيل الرشاد لهم، وتزكي نفوسهم وتربيها على الخير والحق والعدل .

2- إظهار جانب التناسب بوجوهه المختلفة في سورة النمل، والذي يعبر عن بعض مظاهر إعجاز القرآن الكريم، مما يؤكد بأنه وحي من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم.

3- المساهمة في استجلاء هذه الدراسات الحديثة المنهج، فيما يتعلق بالوحدة الموضوعية للسورة من القرآن، وتقديم نموذج حي لها في سورة النمل، والمضي قدما مستقبلا – إن شاء الله – في هذا السبيل وعلى هذا الدرب، لاستصحاب مثل هذه الدراسات الموضوعية على سور القرآن كله .

4- تفريغ جهود العلماء، وبخاصة فيما يتعلق بمباحث التفسير الموضوعي والوحدة الموضوعية للسورة، للبحث والتنقيب والغوص في مكنونات الوحي الإلهي، الذي يمثله بعض من سوره – ومنها سورة النمل – للوصول إلى فهم صحيح ، وإدراك سديد لمعاني الآيات .

5-إضافة لبنة جديدة في مجال الدراسات الموضوعية.

منهج الدراسة:

حتى يكتسب أي بحث علمي دقة وموضوعية، لا بد أن يلتزم صاحبه خطوات المنهج العلمي بمختلف أنواعه، لكي يحقق النتائج الصحيحة، ويصيب الهدف بدقة.

وبناء على هذا الكلام ، فقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي والتحليلي، وسلكت طريقة التفسير الموضوعي، وتحديدا الكشفي، الذي يقوم على الدراسة الموضوعية للسورة القرآنية في نقاط عديدة، من بداية السورة إلى نهايتها، وقد كان لي شرف الاستفادة مما قدمه بعض العلماء القدامى والمعاصرين في هذا المجال كالبقاعي ومصطفى مسلم وغيرهما.

وكانت طريقتي في البحث كما يأتي:

1- قسمت السورة إلى مقاطع ضمن فصول، وجعلت لها عنوانا بما يلوح من الآيات الكريمة.

2- ذكرت تخريج الآيات الواردة في الدراسة بسورها وأرقامها في المتن.

3-خرجت الأحاديث الواردة في الدراسة، وإذا وجد الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت به.

4- أوردت التعاريف اللغوية والاصطلاحية في الهامش، إلا ما ندر فجعلته في المتن.

5- رجعت في فهم الآيات إلى كتب التفسير بأنواعها.

6- رجعت في شرح الألفاظ اللغوية إلى أمهات المصادر اللغوية.

7-كتبت الآيات بالرسم العثماني، وجعلت خطوط الأحاديث مختلفة عن خط الرسالة، وذلك من حيث السمك.

8- اقتصرت على ترجمة الأعلام غير المشهورين إن وجدت لهم ترجمة.

9- أوردتاسم كل مفسر مع مؤلفه كاملا في أول مرة، وبعد ذلك اختصره مع الجزء والصفحة.

10- جعلت في نهاية البحث فهارس لتسهيل الاستفادة مما ورد فيها.

11- رتبت قائمة المصادر والمراجع ترتيبا ألف بائيا، مع عدم مراعاة: ابن-أبو-أل فيه.

12-سجلت النتائج في خاتمة البحث.

الدراسات السابقة :

لا توجد دراسات سابقة مطابقة لهذا الموضوع، وإنما عثرت على رسائل تتناول سورة النمل داخل الوطن وخارجه، ومنها:

أ- بالنسبة لداخل الوطن:

- أحمد بزيو : "**خصائص الأسلوب في سورة النمل**" رسالة ماجستير غير مطبوعة،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، للسنة الجامعية2006-2007، وجاءت في 218صفحة، وقد قسمها صاحبها إلى خمسة فصول، والواضح من عنوانها أنها تندرج ضمن الإطار البلاغي، وقد جعل الفصل الخامس منها تحت عنوان:"الدلالة والتناسب بين موضوعات السورة"، حيث قسم السورة إلى موضوعات، وأشار إلى التناسب فيما بينها، ومع موضوع السورة باختصار، برجوعه إلى أحد التفاسير المعاصرة، والأخذ منها، وهو "التفسير المنير" لصاحبه: وهبة الزحيلي، وسيأتي ذكره في ثنايا الدراسة، وهذا جانب وقع فيه التقصير مما حداني إلى دراسة السورة بشمول وتوسع.

ب-وبالنسبة لخارج الوطن:

- مصطفى مسلم وآخرون : "**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**"، مشروع تفسيري أنجزه نخبة من العلماء، بإشراف: د/مصطفى مسلم، جامعة الشارقة، ويعمد إلى إعطاء مقدمة حول السورة، ثم تقسيمها إلى مقاطع وتفسيرها تفسيرا موضوعيا، واستنتاج الهدايات القرآنية، وإبراز المناسبات المختلفة. وهو مشروع اجتهادي يشكر عليه الفريق، إلا أنني لاحظت عليه نقصا في إبراز الجوانب التناسبية بشكل واسع، وكذا التفصيل في بعض الأمور المتعلقة بالجانب التفسيري في ما كان الاطلاع عليه في السورة المدروسة – سورة النمل –، ومع تسجيل الاستفادة من هذا المشروع في رسالتي، خاصة ما تعلق بطريقة التناول للسورة بالبحث والدراسة وقد شجعني ذلك على تناول سورة النمل بالدراسة بصورة أعمق في إطار الوحدة الموضوعية لها.
- خلود بنت سعد إبراهيم العقيل:"**الأساليب الإنشائية في سورة النمل**"، دراسة بلاغية تحليلية، رسالة ماجستير غير مطبوعة،كلية اللغة العربية، قسم البلاغة والنقد والأدب الإسلامي جامعة الإمام، نوقشت سنة1429هـ، حيث قسمتها إلى: تمهيد، يتعلق بتقديم لسورة النمل، أربعة فصول: أساليب (الاستفهام–الأمر والنهي–النداء والتمني–الإنشاء غير الطلبي)، وخاتمة، والذي يظهر من عنوانها أنها دراسة متصلة بالجانب البلاغي، ولا تعلق لها بما في هذه الدراسة، حيث إن إطار البحث في الوحدة الموضوعية للسورة.
- عبد الله بن أسود الجوالي: "**سورة النمل: دراسة وتحليل**"، ط1، دار الزمان،المدينة المنورة،1430هـ/2009م، وهي رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التفسير، قسم أصول الدين، جامعة بغداد، وقد نوقشت بتاريخ:2003/10/12م، وموضوعها كما قال:«دراسة تحليلية لسورة من سور القرآن الكريم أتتبع فيها خطوات المنهج التحليلي...»، وقد قسمها إلى مقدمة وعشرة فصول وخاتمة، وهي دراسة لا تعلق لها بما يخص جانب الوحدة الموضوعية لسورة النمل.
- مخلد بن عقل المطيري:" **أصول العقيدة في ضوء سورة النمل**"، رسالة ماجستير مسجلة بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، جامعة الملك سعود، السعودية،1409هـ،لم يتسن لي الحصول عليها.

المصادر والمراجع:

أما مصادر ومراجع هذه الدراسة فقد رجعت إلى **كتب التفسير التحليلي** كتفسير الطبري وتفسير ابن كثير، باعتبارها خطوة هامة في التفسير الموضوعي– ومنه الكشفي– فهو يحوي المادة

التفسيرية المطلوبة في هذا الميدان.

كما رجعت إلى **كتب التفسير بالرأي** عموما، كتفسير الرازي وتفسير البقاعي وتفسير الزمخشري وتفسير ابن عاشور، مما له تعلق بجوانب التناسب والترابط، إن على مستوى السورة نفسها وبين آياتها، وبدايتها مع خاتمتها، أو على مستوى السورة مع غيرها من السور القرآنية الأخرى.

وكذلك كانت لي وقفة مع **المؤلفات التي اختصت بعلم التفسير الموضوعي** تنظيرا وتطبيقا، و مع الكتب الأخرى عموما.

صعوبات البحث:

قد كانت هناك صعوبات كثيرة اعترضت هذه الرسالة حتى عرفت طريقها إلى النور بإذن الله عز وجل وتوفيقه، يمكن الاقتصار على أهمها كما يأتي:

1-كثرة المصادر والمراجع في ما يتعلق بالتفسير صعبت معه عملية الاستقصاء والتتبع والانتقاء بشكل دقيق.

2-كما كان لجانب التناسب عموما نصيبه من عملية البحث المضني في المصادر والمراجع المتعلقة بالتفسير الموضوعي، مما جعلني أحاول جاهدا أن استنبط الجوانب التناسبية المختلفة بصعوبة، وهذا رغم الاطلاع على من كتبوا في هذا الجانب كالبقاعي وابن عاشور وغيرهما.

3-التزامات التدريس (المرحلة الثانوية، و بالضبط أقسام البكالوريا)، و بعد مقر العمل (45كم) عن البيت، ومتطلبات العائلة، مما حال دون التفرغ تماما لجو الدراسة، ومع هذا فقد من الكريم بالعون والتأييد، حتى كان الانتهاء منها بحمد الله تعالى وتوفيقه.

خطة البحث:

حيث قسمتها إلى:مقدمة، وفصل تمهيدي، وثماني فصول، وخاتمة.

أما **المقدمة**:فأبرزت فيها إشكالية البحث، وأهمية الدراسة، والهدف منها، والمنهج المتبع فيها، والدراسات السابقة لها، ومصادرها ومراجعها، و صعوبات البحث، وخطته.

و **أما الفصل التمهيدي**، فكان عنوانه : " **التعريف بسورة النمل، وموضوعها الرئيس**"، وشمل مبحثين:الأول منهما قدمت فيه تعريفا بسورة النمل، و الثاني تطرقت فيه إلى بيان الموضوع الرئيس لسورة النمل.

و أما **الفصول الثمانية: فالأول منها**، جعلت عنوانه: **افتتاحية سورة النمل**، وقسمته إلى مبحثين: الأول منهما: تطرقت فيه إلى رسالةالقرآن ومصدر تلقيه، و الثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الأول من سورة النمل.

و الفصل الثاني: جعلت عنوانه:**الرسالية في قصة موسى عليه السلام**، وقسمته إلى مبحثين: الأول منهما تطرقت فيه إلى تكليف موسى برسالة إلى فرعون، وما كان موقفه منها، والثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الثاني من سورة النمل.

و الفصل الثالث: جعلت عنوانه: "**قصة داوود وسليمان عليها السلام**"،و شمل ثلاثة مباحث: الأول منها، تطرقت فيه إلى أفضال الله على داوود وسليمان عليهما السلام، وما كان من سليمان مع الهدهد، والثاني: تطرقت فيه إلى قصة سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ بلقيس، والثالث: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الثالث من سورة النمل.

و الفصل الرابع: جعلت عنوانه: "**قصة صالح عليه السلام مع قومه**"، ويشمل مبحثين: الأول منهما، تطرقت فيه إلى رسالة صالح عليه السلام وموقف قومه منها،و الثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الرابع من سورة النمل.

و الفصل الخامس: جعلت عنوانه: "**قصة لوط عليه السلام مع قومه**"، ويشمل مبحثين: الأول منهما، تطرقت فيه إلى ما أنكره لوط عليه السلام على قومه وبيان عاقبة أفعالهم، والثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الخامس من سورة النمل.

و الفصل السادس: جعلت عنوانه: "**الهداية إلى الحق فيما طعن فيه الكفار من القضايا**"، ويشمل ثلاثة مباحث: الأول منها، تطرقت فيه إلى أدلة القرآن حول التوحيد، واختصاص الله بعلم الغيب، والثاني: تطرقت فيه إلى ردود القرآن على منكري البعث، وإقامة البرهان على صدق النبوة، المبحث الثالث: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع السادس من سورة النمل.

و الفصل السابع: جعلت عنوانه: " **حديث بين يدي القيامة** "، ويشمل مبحثين: الأول منهما، تطرقت فيه إلى بعض علامات القيامة، وبعض مشاهدها، والثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع السابع من سورة النمل.

و الفصل الثامن: جعلت عنوانه: "**خاتمة سورة النمل**"، ويشمل مبحثين: الأول منهما: تطرقت فيه إلى ما دعا إليه القرآن من الاشتغال بالعبادة وتلاوة القرآن، وما بينه من شمول العلم الإلهي، والثاني: أبرزت فيه جوانب التناسب المختلفة في المقطع الثامن من سورة النمل.

ثم **خاتمة**، جعلت فيها حوصلة مختصرة حول البحث وسجلت فيها نتائج البحث و أهم التوصيات.

وجعلت في الأخير **الفهارس العامة**، وتشمل:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

هذا ما وفقني الله عز وجل إليه، وأشكر كل من ساهم في هذه الرسالة من قريب أو من بعيد، والحمد لله أولا و آخرا، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فصل تمهيدي

التعريف بسورة النمل وموضوعها الرئيس.

تـمـهـيـد:

سورة النمل قطعة من القرآن الكريم، وقبل الشروع في بيان تفصيلاتها لابد من التقديم لها ببعض النقاط الخاصة بها، لإعطاء فكرة إجمالية عنها، ولذلك سيكون هذا الفصل التمهيدي متناولا لمبحثين:

المبحث الأول ، ويتناول: التعريف بسورة النمل.

المبحث الثاني، ويتناول: تحديد موضوع سورة النمل الرئيس، مع ذكر آراء العلماء حوله.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
التعريف بسورة النمل.

تمهيد:

إن مما يعين على الدراسة المتكاملة لأي سورة من القرآن الكريم، هو معرفة بعض الأمور المتعلقة بهذه السورة.

ولهذا الغرض سيكون الحديث في هذا المبحث منصبا على تناول المطالب الآتية :

المطلب الأول: تسميتها – فضلها.

المطلب الثاني:مكان نزولها وزمانه– عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

المطلب الثالث: ترتيبها – مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

المطلب الرابع: سماتها ومميزاتها – أغراضها ومقاصدها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول :تسميتها- فضلها.

الفرع الأول1: تسميتها.

المعروف أن عدد سور القرآن الكريم هو مئة وأربع عشرة سورة[1] ، « وقد ثبت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث والآثار »[2]. قال ابن عباس–رضي الله عنه–: [**لما نزلت آخر آية على النبي– صلى الله عليه وسلم–** ﴿ **وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ البقرة **281**، **قال له جبريل : يا محمد، ضعها على رأس ثمانين ومائتي**

1– ورد في تعريف السورة من الناحية اللغوية عدة أقوال :

- «السورة: إما أن تهمز فتكون مشتقة من أسأرت، أي: أفضلت من السؤر ، وهو ما بقي من الشراب في الإناء. والمعنى : كأنها قطعة من القرآن».السيوطي:الإتقان في علوم القرآن،[د.ط]، تحقيق:مركز الدراسات القرآنية، السعودية،[د.ت]، ج 1ص346 بتصرف.
- وإما أن لا تهمز– وهو الأشهر– بتسهيل الهمزة ، وحينئذ ،فقد قيل في اشتقاقها آراء كما يأتي:

– قيل بأنها المنزلة والرفعة، وبها سميت السورة من القرآن، أي رفعة وخير. ابن منظور:لسان العرب، [د.ط]، دار المعارف، القاهرة– مصر [د.ت]، باب السين، مادة:سور، ج24 ص 2147 بتصرف. وقال ابن فارس: السين والواو والراء أصل واحد يدل على علو وارتفاع.معجم مقاييس اللغة[د.ط]،تحقيق:عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر،[د.م]، 1979/1399م،مادة:سور،ج3 ص 115 .

– وقيل هي من سور المدنية، لإحاطتها بآياتها واجتماعها كاجتماع البيوت بالسور، ومنه السوار لإحاطته بالساعد.السيوطي:الإتقان،ج 1ص 346 .

– وقيل:هي سميت بذلك لتمامها وكمالها، والعرب تقول للناقة التامة: سورة. محمد الصباغ : لمحات في علوم القرآن، ط3، المكتب الإسلامي ،بيروت–لبنان، 1410هـ/1990، ص 70 .

– وقيل:لتركب بعضها على بعض، من السور بمعنى التصاعد والتركب، ومنه (**تسوروا المحراب**)ص 21. السيوطي:الإتقان، ج 1 ص 346 .

– «وتجمع على سور وسورات وسوارات» . ابن منظور:لسان العرب، ج 24 ص 2147 بتصرف .

«وأقل السور: ثلاث آيات، ولها أول وآخر (**فاتوا بسورة من مثله**) البقرة 23 ». أحمد مختار عمرو وآخرون : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته، ط1، مؤسسة سطور المعرفة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، السعودية، 2002/1423، ص 249 بتصرف.

والسورة في الاصطلاح تعرف بأنها « قرآن يشتمل على آي ذي فاتحة وخاتمة ،وأقلها ثلاث آيات » وقيل بأنها « الطائفة المترجمة توقيفيا ،أي المسماة باسم خاص بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم.» السيوطي:الإتقان،ج2 ص 347 بتصرف ، وعرفها ابن الجوزي بأنها« طائفة متميزة من آيات القرآن ذات مطلع وخاتمة.» فنون الأفنان في عجائب القرآن ، تحقيق: صلاح بن فتحي هلل،ط1، مؤسسة الكتاب الثقافية ،بيروت–لبنان ، 2001/1422 ، ص 33 .

2– السيوطي: الإتقان،ج2 ص 347 .

آية من سورة البقرة][1] ،وعن عثمان بن أبي العاص[2] رضي الله عنه قال:[**كنت عند رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، إذ شخص ببصره ثم صوبه، ثم قال : أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من السورة** ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ** ﴾**النحل 90**][3]، وبهاذايعلم أن أسماء السور كانت « معروفة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد كان إذا أنزل عليه الشيء من القرآن يدعو بعض من يكتب له، فيقول:[**ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا**]، يشير بها إلى موضع السورة »[4]

«وقد يكون للسورة اسم واحد وهو كثير،وقد يكون لها اسما فأكثر »[5] ، وجملة السور التي لها أكثر من اسم أربعون سورة ، منها سورة النمل[6] ، « وهذا هو الاسم التوفيقي »[7]، وبه سميت في المصاحف و في كتب التفسير والحديث[8] ،وفي كلام بعض الصحابة[9]، وهو أشهر أسمائها.

وما سميت أية سورة في القرآن الكريم كذلك، إلا وهي تختص بما يميزها عن غيرها، ولذلك «ينبغي النظر في اختصاص كل سورة بما سميت به، ولاشك أن العرب تراعي في كثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب، يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه،أو يكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق ، لإدراك الرأي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام والقصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها. »[10]

1–أحمد بن شعيب النسائي:السنن الكبرى،تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي،ط1، مؤسسة الرسالة،بيروت–لبنان، 1421ه/2001م،كتاب التفسير، قوله تعالى(**واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله**)،حديث رقم10991،ص39–40.

2–صحابي من أهل الطائف،أسلم في وفد ثقيف،توفي51ه.ينظر:–الزركلي:الأعلام،ط15،دار العلم للملايين،بيروت، 2002م،ج4ص207، وأشرف طه أبو الذهب،المعجم الإسلامي،ط1،دار الشروق،القاهرة،1423ه/2002م،ص400.

3–أحمد بن حنبل: المسند، شرحه ووضع فهارسه: حمزة أحمد الزين، ط1، دار الحديث، القاهرة – مصر–، 1416ه/1995م، حديث رقم17842، ج13ص546، وقال:إسناده حسن.

4–غانم قدوري الحمد: محاضرات في علوم القرآن، ط 1، دار عمار، عمان – الأردن، 1423 ه/2003 م، ص 87.

5–السيوطي:الإتقان،ج2 ص 349.

6–محمد محيسن : تاريخ القرآن، دعوة الحق، عدد 15، [د.م]، جمادى الآخرة ، 1402 ه، ص 79.

7–المرجع نفسه :ص 92.

8–قال ابن عاشور: «وكذلك سميت في صحيح البخاري، وجامع الترمذي .»التحرير والتنوير، [د.ط]، الدار التونسية للنشر، تونس ، 1984، ج 19 ص 215.

9–ينظر السيوطي : الدر المنثور ، تحقيق : عبد الله التركي ، ط1 ، القاهرة ،1429 ه/ 2003، ج 11 ص 333 .

10– الزركشي: البرهان،تحقيق:محمد أبو الفضل،[د.ط]،دار التراث،القاهرة–مصر،[د.م]، ج2 ص 270.

و« على ذلك جرت أسماء سور القرآن »[1]، ومنها تسميته سورة النمل بهذا الاسم«لورود ذكر قصة النمل فيها،وعجيب الحكمة فيها»[2]، حيث إن الله تعالى « ذكر فيها قصة النملة التي وعظت بني جنسها،وذكرت ثم اعتذرت عن سليمان وجنوده، ففهم نبي الله كلامها وتبسم من قولها، وشكر الله على ما منحه من الفضل والإنعام، وفي ذلك أعظم دلالة على علم الحيوان، وأن ذلك من إلهام الواحد الديان.»[3]

كما أن لسورة النمل أسماء غير توفيقية – أي اجتهادية – وضعها العلماء ومنها :

1- سورة سليمان: سميت كذلك «لاشتمالها على قصة نبي الله سليمان» [4]، وذكر «ملكه مفصلا بما لم يذكر في سورة غيرها».[5]

2- سورة الهدهد: سميت كذلك لأن « لفظ الهدهد لم يذكر في سورة من القرآن غيرها.»[6]

3- سورة طس:سميت كذلك لانفرادها في افتتاحيتها بالحروف المقطعة (طس) دون غيرها من سور القرآن.[7]

وهكذا يتبين بأن سورة النمل لها أسماء عديدة تدل على شرفها: النمل-وهو الاسم التوقيفي- سليمان، الهدهد، طس، كيف لا، وهي بعض كلام الله عز وجل.

وأما الحديث عن فضلها، فهذا ما سيكون متناولا في ما يأتي.

الفـــرع الـثـانـي: فضلهـــا.

وردت أحاديث عديدة في فضل القرآن الكريم عموما، وفي فضل سورة النمل على وجه الخصوص، وذلك في كتب التفسير والحديث.

أما ما جاء في فضل القرآن الكريم من أحاديث، فقد تنوعت إلى التنويه به، أو بيان منزلته، أو الدعوة إلى تعهده بالحفظ والقراءة، أو الحض على تعلمه وتعليمه. وهذه جملة أحاديث في فضل القرآن:

1- قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم-:[**إن لله أهلين من الناس، قالوا من هم يا رسول الله؟**

1-السيوطي:الإتقان، ج2 ص368 بتصرف.

2-المصدر نفسه:ج2ص368 بتصرف.

3-محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ط5، دار الضياء، قسنطينة- الجزائر، 1411 هـ/ 1990، ج2 ص400.

4-محمد محيسن:تاريخ القرآن،ص92بتصرف.

5-تفسير ابن عاشور: ج 19ص 215بتصرف.

6-منيرة محمد ناصر الدوسري : أسماء سور القرآن وفضائلها، ط1، دار ابن الجوزي، السعودية، 1426هـ ،ص 294.

7- ينظر:المرجع نفسه، ص 295.

قال « أهل القرآن أهل الله وخاصته.»][1]

2- قال رسول الله -صلى عليه وسلم-:[**إن هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله، والنور المبين، والشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن اتبعه، ولا يزيغ يستعتب، ولايعوج فيقوم، ولا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد[2]، اتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته كل حرف عشر حسنات، أما إني لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف ألف ولام وميم.**] [3]

3- قال رسول الله -صلى عليه وسلم-:[**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ألم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.**][4]

فالذي يقرأ حرفا من القرآن له به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها كما جاء في الأحاديث ، ومن قرأ سورة النمل أعطي بكل حرف حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، فإذا علمنا أن عدد حروف سورة النمل أربعة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفا ، فأي عطاء أعطيه هذا التالي للسورة.

4- قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:[**من قرأ القرآن وتعلمه وعمل به ألبس يوم القيامة تاجا من نور ضوءه مثل ضوء الشمس، ويكسى والديه حلتان لا يقوم بهما الدنيا، فيقولان: بما كسبنا هذا ؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن.**][5]

5-قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:[**لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب وقام به آناء الليل،ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل وآناء النهار.**][6]

6 - قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : [**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**][7] ، وفي رواية: [**إن**

1-أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ط1، دار الحرمين، القاهرة - مصر، 1997/1417 ، كتاب فضائل القرآن، حديث رقم 2098، ج 1 ص 5755

2-لا يخلق على كثرة الرد:لا يبلى عن كثرة التلاوة والتردد، بل كلما تلي ازداد جدة وطلاوة بخلاف عادة الكتب. ابن تيمية : قاعدة في فضائل القرآن، اعتناء سليمان بن صالح القرعاوي ،[د.ط] ، مكتبة الظلال ، الأحساء ، السعودية، 1414 هـ، ص 42.

3-الحاكم:المستدرك على الصحيحين، حديث رقم 2092، ج 1 ص 753-754.

4-محمد ناصر الدين الألباني:صحيح سنن الترمذي، ط1، مكتبة المعارف، الرياض . السعودية، 1420هـ/ 2000، كتاب ثواب القرآن ، باب : ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر ، حديث رقم 2910 ،ج 3 ص 164 .

5-الحاكم:المستدرك على الصحيحين، حديث رقم 2139، ج 1 ص 770.

6-محمد بن إسماعيل البخاري:صحيح البخاري، ط1، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، 1424 هـ/2003م، كتاب فضائل القرآن، باب: اغتباط صاحب القرآن، حديث رقم، 5025، ص961.

7- المصدر نفسه: باب:خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم5027، ص962.

أفضلكم من تعلم القرآن وعلمه .][1]

أما ما ورد من أحاديث بشأن فضل سورة النمل، فهذه جملة منها:

1- قال النبي -صلى الله عليه وسلم-:[**أعطيت مكان التوراة السبع الطوال [2]، ومكان الزبور المئين[3]، ومكان الإنجيل المثاني[4]، وفضلت بالمفصل.[5]][6]**

فهذه السورة « من الطواسين التي أعطيها النبي صلى الله عليه وسلم مكان الزبور كما تقدم في سورة الشعراء.»[7]

2-قال النبي صلى الله عليه وسلم:[**من قرأ طس سليمان،كان له من الأجر عشر حسنات،بعدد من صدق سليمان، وكذب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا**

1-المصدر السابق : باب:خيركم من تعلم القرآن وعلمه، حديث رقم 5028 ، ص962.

2-الطوال: شمل سبع سور: البقرة، آل عمران، النساء، المائدة، الأنعام، الأعراف، يونس، مع اختلاف في السابعة.

3-المئون: هي التي تلي السبع الطوال، وسميت كذلك، لأن كل سورة منها تزيد على مائة أو تقاربها، ومنها سورة النمل.

4- المثاني: السور التي تلي المئين لأنها ثنتها أي كانت بعدها، وقيل غير ذلك.

5- المفصل : ما يلي المثاني من قصار السور، سمي بذلك لكثرة الفصول التي بين السور بالبسملة ، ويبدأ من سورة الحجرات ، وقيل غير ذلك.

ينظر:

- الزركشي:البرهان، ج1 ص 244 – 245 .
-السيوطي:الإتقان، ج 2 ص 374.
-محمد محيسن:تاريخ القرآن، ص 109.

6-أخرجه: البيهقي في: شعب الإيمان،تحقيق:محمد السعيد بسيوني زغلول،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت،1410هـ،رقم الحديث2415،ج2ص465،وسليمان بن أحمد الطبراني في:مسند الشاميين،تحقيق:حمدي بن عبد المجيد،مؤسسة الرسالة،1405هـ/1984م،رقم الحديث:2734،ج4ص63،وسليمان بن داود بن الجارود في: مسند الطيالسي،تحقيق:محمد بن عبد المحسن التركي،ط1،دار هجر،[د.م]،1419هـ/1999م،رقم الحديث:1105،ج2ص351،وأبو جعفر الطحاوي في:شرح مشكل الآثار،تحقيق:شعيب الأرناؤوط،ط1،مؤسسة الرسالة،1413هـ/1994م،رقم الحديث:1379،ج3ص409، وصححه الألباني في:سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها،[د.ط]،مكتبة المعارف،الرياض،1415هـ/1995م،رقم الحديث:1480،ج3ص469. وينظر:

-محمد بن رزق بن طرهوني:موسوعة فضائل سور وآيات القرآن،ط1،دار ابن القيم،الدمام،السعودية،1409هـ،ج1ص129

-ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق: مصطفى السيد محمود و آخرون ، ط1، مؤسسة قرطبة، الجيزة-القاهرة، مكتبة أولاد الشيخ للتراث، الجيزة-القاهرة،2000،مج1ص245.

7-وهبةالزحيلي:التفسيرالوجيز،ط1،دارالفكر،دمشق-سوريا،1415هـ/1994م،ص378.

الله.][2،1]

وبعد معرفة ما للقرآن عموما وللسورة خصوصا من فضل، يأتي الحديث عن مكان نزول سورة النمل وزمانه، مع ذكر عدد آياتها وحروفها وكلماتها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- الفضل بن الحسن الطبرسي:مجمع البيان في تفسير القرآن ، [د،ط]، دار الفكر ،ودار الكتاب اللبناني، بيروت–لبنان 1374 هـ/ 1995 م، ج 5 ص 194.

2- ذكر محمد أبو شهبة أن حديث أبي بن كعب الطويل في فضائل السور ، حديث موضوع لا يصح ، ومنه ما قيل في سورة النمل ، وذكر بأنه قد تتبع طرق الحديث فوجد بأنه موضوع ، قد وضعه أحدهم لترغيب الناس وصرف قلوبهم إلى القرآن. وقال في هذا الحديث بعدما أورد طرقه: والحديث بجميع طرقه باطل. ينظر: محمد أبو شهبة :الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ، ط 4 ، مكتبة السنة ، القاهرة –مصر ، 1408 هـ ، ص 307 – 308.

قلت و أورد هذا الحديث أيضا البيضاوي في تفسيره.ينظر:عبد الرؤوف المناوي،الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي،دراسة وتحقيق:أحمد مجتبى بن نذير عالم،ط1،دار العاصمة،الرياض السعودية،1409هـ،ج2ص892،وقال:موضوع.

و الزمخشري : الكشاف ،تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض ، بمشاركة فتحي عبد الرحمان حجازي ، ط1، مكتبة العبيكان ، الرياض – السعودية، 1418 هـ/ 1998م ، ج 4 ص 480 .

المطلب الثاني: مكان نزولها وزمانه- عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

القرآن كلام الله متلقى منه على نجوم وأقساط، يشمل تنزلين،تنزلا زمانيا وآخر مكانيا، وفي هذا المطلب تحديد مكان وزمان نزول سورة النمل، وعدد آياتها وحروفها وكلماتها.

الفرع الأول: مكان نزولها وزمانه.

أولا: مكان نزولها.

لقد دعا إلى بحث مكان نزولها سببان:

الأول: ماذكر ه بعض المفسرين من أن في سورة النمل بعض الآيات المدنية.[1]

الثاني: حتى يكون مدخلا فيما بعد للتعرف على موضوع سورة النمل الرئيس، والوقوف عليه.

وقبل التأكيد على مكية السورة أو مدنيتها، يحسن هنا إيراد تعريف المكي والمدني، فقد ذكر العلماء تعريفات لذلك، أشهرها: أن « المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة.»[2،3]

«وهذا التقسيم لوحظ فيه زمن النزول، وهو تقسيم صحيح سليم، لأنه ضابط حاصر ومطرد لا يختلف... ولذلك اعتمده العلماء واشتهر بينهم ،»[4] ورجحه السيوطي وغيره.[5]

وسورة النمل مكية كلها في قول الجميع ، كما ذكر ذلك القرطبي[6]، وأورد السيوطي روايات تدل على نزول سورة النمل بمكة.[7]

والناظر في سورة النمل، يلحظ الطابع المكي واضحا جليا والذي يأتي على السورة كلها، من خلال تتبع الضوابط التي وضعها العلماء للتمييز بين المكي والمدني. وهذه الضوابط هي:

1- كل سورة فيها ذكر (أيها الناس)، فهي مكية.

---

1 – تفسير ابن عاشور: ج19ص215.

2- الزركشي:البرهان،ج1ص187.

3-روي هذا التعريف عن يحي بن سلام البصري المفسر، حيث قال:«ما نزل بمكة وما نزل بطريق المدينة قبل أن يبلغ المدينة، فهو من المكي، وما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم في أسفاره،بعده قدم المدينة فهو من المدني.»غانم قدوري الحمد:محاضرات في علوم القرآن، ص77.

4- الزرقاني : مناهل العرفان ، تحقيق: فؤاد زمولي، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان، 1415هـ/ 1995 م، ج1ص 160.

5-السيوطي :الإتقان ،ج 1ص 45.

6-القرطبي :الجامع لأحكام القرآن، تحقيق بعبد الله التركي و آخرون، ط1 ، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، 1427 هـ/ 2006، ج 16 ص 99 .

7-السيوطي : الدر المنثور، ج11 ص 333.

2-كل سورة افتتحت بحروف التهجي فهي مكية، عدا:البقرة، وآل عمران.

3-«كل سورة فيها قصة آدم عليه السلام وإبليس، فهي مكية سوى البقرة، وكذا فيها قصص الأنبياء، فهي مكية».[1]

4- « كل شيء نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن فيه ذكر الأمم والقرون، وما يثبت به الرسول صلى الله عليه وسلم فإنما نزل بمكة ... »[2]

5- تكثر في الآيات المكية سجدات التلاوة.[3]

والمكي أيضا يمتاز بسمات عديدة، أوردها العلماء في كتبهم، بحيث إذا ما طبقت مع الضوابط على سورة النمل، انطبق ذلك عليها. ومن هذه السمات:[4]

1-الحديث عن أمور العقيدة وأصول الإيمان، من الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر...

2-محاجة المشركين ومجادلتهم في عقائدهم الباطلة وإبطالها بالحجة البالغة.

3-إيراد قصص الأنبياء مع أقوامهم، وجهودهم في تبليغ رسالة الله، لتثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ العبرة.

4 -الدعوة إلى أصول الأخلاق الفاضلة، و القيم الأصلية، والتحذير من مساوئها، ورذائلها.

5 -قصر الآيات غالبا، مع قوة الإيحاء.

ثانيا: زمان نزولها:

قبل البدء في بحث نزول سورة النمل الزماني، يكون من الجدير بالذكر القول بأن معرفة ذلك لهو من الأهمية بمكان، إذ يعين على تصور موضوع السورة بنوع تدقيق وكذا معرفة أجواء نزولها ، ومن هنا كان لزاما العروج عليه ، والتطرق إليه.

ومما يجدر التنبيه إليه « أن من العسير معرفة تاريخ نزول السور والمجموعات القرآنية المكية معرفة صحيحة، وإن كان مما يخفف هذه الصعوبة بعض التخفيف ما هناك من روايات مأثورة لترتيب نزول السور، وما في مضامين السور و المجموعات من قرائن تلهم صحة كثير من هذه الروايـــات أو

1- الزركشي :البرهان، ج1ص188- 189 بتصرف.

2-محمد بن إسحاق:السيرة النبوية،تحقيق:محمد فريد المزيدي،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت-لبنان،1424/2004،ص293.

3-موسى إبراهيم الإبراهيم:بحوث منهجية في علوم القرآن ،ط2،دار عمان، عمان-الأردن، 1416 هـ/1996،ص40 .

4-ينظر: - ابن الجوزي:فنون الأفنان،ص399.

-محمد أبو شهبة: المدخل لدراسة القرآن،ط3،دار اللواء،السعودية،1407هـ/1987م،ص228-229.

-شعبان محمد إسماعيل:المدخل لدراسة القرآن والسنة،ط1،دار الأنصار،[د.م]،1400هـ/1980م،ص271.

-عبد الله محمود شحاتة:علوم القرآن،[د.ط]،دار غريب،القاهرة-مصر،2002م،ص46.

مقاربتها للصحة.»[1، 2]

والفترة المكية[3] قسمها بعضهم إلى ثلاث مراحل، الأولى من«بداية التكليف الرسالي بالدعوة التي ابتدأ في 612 م، إلى الانطلاق في الدعوة العامة في نهاية السنة الثالثة من البعثة على أرجح الأقوال»[4] ، واستغرقت ثلاث سنوات . أما الثانية فتمتد «عبر سبع سنوات، أي من السنة الثالثة إلى نهاية السنة العاشرة من البعثة التي تتزامن مع وفاة أبي طالب، وأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم إثر ذلك إلى الطائف، باحثا عن موقع جديد أكثر فعالية للدعوة، بعدما استيقن أن مكة لم تعد مهيأة لإمكانية قيام الدولة الإسلامية بها،وأن فتحها يتم من خارجها.»[5]

وأما الثالثة فتبدأ «من وفاة أبي طالب ، وأم المؤمنين خديجة سنة عشر من النبوة ، وخروج النبي صلى الله عليه وسلم على إثر ذلك إلى الطائف، إلى بدء هجرته عليه السلام إلى المدينة المنورة في ليلة السابع والعشرين من صفر سنة ثلاثة عشر من النبوة.»[6، 7]

ونزول سورة النمل يمكن تحديده **بمرحلة ما قبل الهجرة،وبالضبط في أوائل المرحلة المكية المتوسطية**، و يدل على ذلك أمور :

1- مضامين السورة وما فيها من قرائن تساعد على هذا التحديد ، ومنها القصص الوارد

1- محمد عزة دروزة : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، اعتناء : عبد الله الأنصاري ،[د.ط]، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا –بيروت، [د.ت] ، ج1 ص 143.

2- وهو ما سيتم التطرق إليه في سياق التدليل على فترة نزول سورة النمل.

3- انحصر الكلام على ذكر المرحلة المكية، باعتبار أن السورة قد بحث بكونها مكية بالإجماع.

4- الطيب برغوث: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة ومنجزاتها خلال الفترة المكية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فيرجينيا–و.م.أمريكية،1416هـ/1996م، ص277.

5- المرجع نفسه : ص321-322.

6- المرجع نفسه: ص387.

7-قسمت الدعوة عموما إلى أربع مراحل : الأولى، وهي المرحلة السرية،واستمرت ثلاث سنوات ،والثانية،وهي الدعوة جهرا،والكف عن القتال،واستمرت إلى الهجرة،والثالثة،وهي الدعوة جهرا، مع فتال المبتدئين بالقتال، واستمرت إلى صلح الحديبية، والرابعة، الدعوة جهرا، مع قتال كل من يقف في سبيل سير الدعوة . مهدي رزق الله: السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ط1، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض . السعودية، 1412 هـ/ 1992م، ص 154.

– محمد سعيد رمضان البوطي: فقه السيرة النبوية ، ط1 ، دار الفكر ، دمشق – سوريا ، 1423 هـ/ 2003 م.

– عمر يوسف حمزة: العرض القرآني لسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ط1،دار أسامة للنشر والتوزيع،الأردن،1996،ص17.

وزاد بعضهم مرحلة ، فجعلها خمس مراحل للدعوة. ينظر محمد منير الغضبان: المنهج الحركي للسيرة النبوية، ط 6، مكتبة المنار، الزرقاء – الأردن، 1411 هـ/1990 م، ج 1 ص 16.

فيها فقصة موسى عليه السلام ، وما فيها من مقابلة قومه له بالتكذيب ، والإدعاء بأن ما جاء به السحر، كذلك فعله المشركون مع النبي صلى الله عليه وسلم، حيث اعتبروا ما جاء به سحرا[1]، يفرق بين المرء وزوجه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وأقاربه،كما قال أحد كبراء المشركين للرسول صلى الله عليه وسلم : «يا محمد إنا لا نكذبك ولكن نكذب ما جئت به، فأنزل الله ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ الأنعام33»[2]، وقصة لوط عليه السلام الذي أراد قومه إخراجه ونفيه من البلاد، مشابهة تماما لما هم به المشركون من محاولة نفي النبي صلى الله عليه وسلم[3] إلى شعاب مكة، وحصاره هناك،ومقاطعتهم مدة ثلاث سنوات[4،5]، كما تأتي قصة صالح عليه السلام، وتآمر قومه على قتله والتخلص منه، لتشرح موقف المشركين المشابه لذلك، بتفكيرهم في التخلص من الرسول صلى الله عليه وسلم[6] ودعوته ، وهذا بدأ فكرة منذ الجهر بالدعوة ، وتحديدا عند ذكر المعبودات بسوء، فشكوا لعمه أبي طالب، ثم امتد ذلك العزم على تنفيذ التخلص منه بعد استنفاد المشركين جميع الوسائل المقدمة من إغراءات ومساومات(**المال – الزواج – السلطة – السيادة...**)[7]،لثنيه عن دعوته ، واشتد هذا العزم بعد خلو الساحة لهم بوفاة عمه أبي طالب، وزوجته خديجة رضي الله عنها، ثم استحكم هذا العزم بالاجتماع في دار الندوة لتنفيذ ما تواعدوا عليه قبل الهجرة بقليل .

1- ابن هشام :السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ،[د.ط]،[د.ن]،[د.م]،[د.ت]، قسم1، ج1-2 ص 270.

2- تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي ، ضبط عبد الرحمان محمد عثمان ،[د.ط] ، دار الفكر، [د.م] ، [د.ت] ، كتاب التفسير ، تفسير سورة الأنعام ، رقم 5058 ، ج1 ص 437 .

3- فكر الرسول صلى الله عليه وسلم في الخروج من مكة في أواسط العهد المكي بعد معاناة شديدة من المشركين وإزعاج كبير منهم، وكذلك أبو بكر الصديق. ينظر : محمد عزة دروزة :سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ج 1 ص 288 .

4- ينظر : – ابن هشام : السيرة النبوية، ج 1 ص 350 – 351.

– أبو بكر البيهقي : دلائل النبوة ، تعليق :عبد المعطي قلعي ، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان ،1408 هـ/ 1988 م ، باب الهجرة الأولى إلى الحبشة ثم الثانية ، ج2 ص 285،وما بعدها.

– ابن عبد البر:الدرر في اختصار المغازي والسير،تحقيق:شوقي ضيف،[د.ط]،دار المعارف،القاهرة،[د.ت]، باب: دخول بني هاشم بن عبد مناف،وبني عبد المطلب بن مناف في الشعب، وما لقوا من سائر قريش في ذلك،ص53 وما بعدها.

5-والهجرة إلى الحبشة شاهد على اضطهاد المشركين للمؤمنين، لاضطرارهم إلى الخروج.

6-ينظر:إجماع قريش على قتله علانية ، وخوف عمه عليه ، وعنايته الشديدة به ، عند المباركفوري: الرحيق المختوم،[د.ط]، دار ابن خلدون ، الإسكندرية، [د.ت]، ص 84-85.

7-ينظر :ابن هشام، السيرة النبوية ، ج1ص 293-294 .

2- هذه الفترة « من الفترات العصيبة الرهيبة الحالكة كانت تنزل السور والآيات تقيم الحجج والبراهين على مبادئ الإسلام ، والتي كانت الدعوة تدور حولها [كالتوحيد، و النبوة و البعث]، وترد على إيرادات الكفار و المعاندين ردا مفحما، و لا تبقي لهم حيلة، بالتحذير و الإنذار مرة، وبالتلطف والإرشاد والتوجيه مرة أخرى. »[1] وهو المتبادر في السورة حين النظر في قضاياها.

3- عند التأمل في ما جاء من روايات تذكر نزول السور المكية والمدنية مرتبة ،يمكن الاقتصار على بعضها، ومنها ما جاء عن جابر بن زيد ،أن من أول أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من القرآن ما أنزل عليه بمكة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ) العلق1، ثم ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾القلم1.. ، وذكر سورا حتى وصل إلى سورة النمل ، وهي في الترتيب السابعة والأربعون، فالنمل (طسٓ تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) النمل1، ثم (طسٓمٓ)القصص ...، حتى وصل إلى (وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ)المطففين1، وهي السورة الخامسة والثمانون في النزول المكي في هذه الرواية.[2]ومنها ما جاء في البرهان أن أول ما نزل من القرآن بمكة (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) ثم (نٓ وَالْقَلَمِ) .....، وذكر سورا حتى وصل إلى سورة النمل، وهي في الترتيب أيضا السابعة والأربعون، فكانت النمل ثم القصص...، وتابع الرواية حتى وصل إلى سورة الروم، وهي السورة الثالثة والثمانون في النزول المكي في هذه الرواية.[3] ومما يذكر من الروايات حول نزول سورة النمل، ما جاء في الإتقان حول السور النازلة بمكة، فذكر(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ)، وسورا، حتى وصل إلى سورة النمل، وهي في الترتيب الخامسة والأربعون، وتابع ذكر نزول السور المكية إلى سورة العنكبوت، وهي السورة الثالثة والثمانون في النزول المكي في هذه الرواية.[4]وما ذكر أيضا في الإتقان من رواية عبد الله بن عباس رضي الله عنهماأنه كان أول ما نزل من القرآن (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ) ثم (نٓ) ثم (يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ)... ،وذكر سورا حتى وصل إلى سورة النمل، وهي في الترتيب السابعة والأربعون ، فكانت النمل (طسٓ) ثم القصص ...، وتابع ذكر نزول السور القرآنيــة حتى وصل إلى سورة المطففين ، وهي السورة الخامسة و الثمانون في النزول المكي في هــذه

1-المباركفوري : الرحيق المختوم، ص 95 .

2-ينظر:أبو عمرو الداني، البيان في عد آي القرآن، ص 135-136.

3-ينظر:الزركشي، البرهان، ج1 ص 193.

4-ينظر:السيوطي، الإتقان ، ج1ص 50 – 51.

الرواية.[1،2]

الملاحظ على هذه الروايات– رغم الاختلاف الطفيف بينها– أن موقع سورة النمل في النزول كان بين المرتبة الخامسة والأربعين، والسابعة والأربعين، وهي بذلك–أي سورة النمل– مع بعض السور المكية بدأت تجنح إلى الطول، وبعض الآيات بدأت هي الأخرى تطول– في أواسط العهد المكي–«فتوضحت وبسطت قضايا المرحلة الأولى، من الإيمان بالله و النبوة، والبعث، بشرح الفكرة و سوق الأدلة التاريخية والكونية والنفسية، تأييدا للدعوة واستمالة لنفوس الناس بالحكمة والموعظة بالحسنة».[3] وهذا ملاحظ في سورة النمل عند التأمل فيها.

4- إن«سورة القصص تأتي في الترتيب [ترتيب نزول السور المكية]، قبل سورة الإسراء مباشرة»[4] و«سورة الإسراء[5]نزلت قبل منتصف العهد[العهد المكي]، ولم يكن المهاجرون إلى الحبشة قد هاجروا إليها بعد»[6]، وتحديدا نزلت هي والقصص في وقت مبكر نوعا ما[7]، وأخذا بالرواية التي تذكر نزول الشعراء والنمل والقصص متتالية،[8] فيمكن أن يقال إن سورة النمل يكون نزولها تقريبا في أوائل المرحلة المكية المتوسطة بناء على ذلك ، والله أعلم .

إن نزول سورة النمل الزماني هو في أوائل المرحلة المكية المتوسطة تقريبا حسب ما بحث من قبل، وأما مكان نزولها فقد كان بمكة المكرمة، كما ثبت ذلك في الروايات وأجمع عليه العلماء.

1-ينظر:المصدر السابق، ج1ص54، وما بعدها.

2-ينظر: محمد محسين، تاريخ القرآن، ص 50 وما بعدها.

3-عبد الله محمود شحاتة : علوم القرآن ، ص 48– 49 بتصرف.

4-محمد عزة دروزة : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ج1ص 215 .

5-ذكرت سورة الإسراء في سياق الكلام، قصدا إلى تحديد أدق نوعا ما.

6-محمد عزة دروزة : سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ج1ص214

7-المرجع نفسه:ج1ص338-339.

8- ينظر:شهاب الدين الألوسي، روح المعاني،[د.ط]، دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان،[د.ت]،ج19ص154.

الفرع الثاني: عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

أولا:عدد آياتها [1]:

هناك اختلاف في عدد آيات سورة النمل بين الكوفي والبصري والشامي والمكي والمدنـــــي، ففي العد الكوفي ثلاث وتسعون آية، وفي العد البصري والشامي أربع وتسعون آية، وفي العد المكي والمدني خمس وتسعون آية.

والاختلاف في موضعين:

1-الآية في اللغة لها عدة معان :

-« العلامة: بمعنى أنها علامة على انقطاع الكلام الذي قبلها عن الذي بعدها، وانفصاله. تقول العرب: بيني وبين فلان آية، أي: علامة، ومن ذلك قوله تعالى:(إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ ...)البقرة248، أي: علامة ملكه.

-جماعة الحروف: لأنها جماعة من حروف القرآن، وطائفة منهم ،كما يقال : خرج القوم بآيتهم:أي جماعتهم .

-«الأمر العجيب:يعجز البشر عن التكلم بمثلها، قال تعالى:(وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ...) المؤمنون50.»تفسير القرطبي :ج1 ص 107 بتصرف.

-المعجزة: قال تعالى(فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ)القصص 36.

-عبرة للناس:قال تعالى(وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً) مريم21.الدمغاني: قاموس القرآن، تحقيق:عبد العزيز سيد الأهل، ط3، دار العلم للملايين، 1980م، ص61.

-البرهان والدليل : قال تعالى (وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾) الروم 22 .محمد الصباغ: لمحات في علوم القرآن، ص7.

وتجمع على آي، وآيات ، وآياء.الفيروز آبادي:القاموس المحيط،نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية،[د.م]، 1302هـ،ج 4 ص 296.

والخلاصة: أن الآية في اللغة تأتي بمعان، منها : العلامة، والجماعة، والأمر العجيب ، والبرهان، والعبرة.

أما اصطلاحا ، فقد وردت تعاريف للعلماء حول الآية، منها:

الآية: «قرآن مركب من جمل، ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في السورة.»الزركشي:البرهان ،ج 1 ص 266 .

وقريبا منه ما جاء في فنون الأفنان لابن الجوزي، هامش ص236 « الآية طائفة من كلام الله تعالى ذات مطلع ومقطع مستقرة في سورة من القرآن العظيم.»الملاحظ أن القيد: الدخول في السورة لإخراجها منه، كما ذكر ذلك محمد أبو شهبة، المدخل لدراسة القرآن، ص 312 .

-وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة ، وقد تكون على حرفين ، مثل : ما ، لا ، وقد تكون أكثر . أحمد شاكر : عمدة التفسير عن ابن كثير، ط2 ، دار الوفاء ، مصر ، 1426 هـ / 2005 م ، ج1 ص 47 – 48 .

-وأما الحرف، فهو: الشبهة القائمة وحدها من الكلمة، وقد يسمى الحرف كلمة، والكلمة حرفا.تفسير القرطبي: ج 1 ص 109 .

ينظر كذلك :

- ابن الجوزي : فنون الأفنان، ص 236 .=

1- في قوله تعالى (وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ)النمل33، عده المكي والمدني .

2-« في قوله تعالى: (صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ) النمل44، عده غير الكوفي ».[1]

ثانيا:عدد كلماتها:

وأما عدد كلماتها: فهو ألف ومائة وتسع وأربعون كلمة[2].

ثالثا:عدد حروفها:

أما حروفها، فقيل: أربعة آلاف وسبع مائة وتسعون حرفا[3]، وقيل: أربعة آلاف وسبعمائة وسبع وستون حرفا.[4]

ثم إن بعض السور المفتتحة : بحروف التهجي، قد عد العلماء افتتاحية بعضها آية، ولم يعدوا البعض الآخر كذلك ، ومنها سورة النمل (طسّ)، وعقب الزمخشري بأن علم ذلك توقيفي، لا مجال للقياس فيه، كمعرفة السور، وعدد الفواتح ، وذكر بأن (طسّ)ليست بآية[5]، وهذا عند الجميع[6] .

وسورة النمل تندرج في قسم المئين، وهي تمثل تقريبا حزبا كاملا، بسبعة أثمان، وأربعة أرباع، كما تحوي سبع صفحات، بمجموع مائة وسبعة عشرا سطرا، وهي تقع بين الجزء التاسع عشر، والجزء العشرين، وآياتها تتراوح بين المتوسط والطول نوعا ما، وأطول آية فيها هي قوله تعالى(قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ)النمل40، بثمان وثلاثين كلمة، وأقصر آية فيها هي قوله تعالى (هُدًى وَبُشْرَىٰ

=- محمد أبو شهبة : المدخل لدراسة القرآن،ص 312.

- عبد العال سالم مكرم: الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني، ط1، مؤسسة الرسالة، [د.م]، 1417 هـ/ 1996م، ص 136 .

- محمد الصباغ :لمحات قي علوم القرآن، ص67 .

- محمد محسين :تاريخ القرآن ، ص114- 115.

1-أبو عمرو الداني: البيان في عد آي القرآن ،تحقيق: غانم قدوري الحمد ،[د.ط]، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، الكويت،[د.ت]، ص 199 ، والمعتصم بالله طاهر الجزائري: كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن ، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1334 هـ، ص 195– 196 بتصرف.

2،3-المصدر نفسه:ص199

4-محمد الأمين الهرري : تفسير حدائق الروح و الريحان في روابي علوم القرآن ، مراجعة : هاشم محمد على مهدي ، ط1، دار طوق النجاة ،بيروت– لبنان ، 1429 هـ/ 2001 م ، ص 371.

5- تفسير الزمخشري : ج1ص 140 .

6- ينظر: أبو عمرو الداني: البيان في عد آي القرآن، ص 199، والزركشي:البرهان، ج1،ص 170.

لِّلْمُؤْمِنِينَ) النمل2، بثلاث كلمات، ووردت فيها سجدة واحدة، عند قوله تعالى(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) النمل 26 .

وبهذا فإن سورة النمل مكية في النزول المكاني، وبقي معرفة ترتيبها في النزول وفي المصحف، وكذا العلائق التي تربطها بما قبلها وما بعدها من السور، وهو ما سيبحث عنه في المطلب الآتي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث: ترتيبها - مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

الفرع الأول: ترتيبها.

ترتيب الآيات في سورها كما هو في المصاحف اليوم ، أمر توفيقي[1] لا مجال فيه للاجتهاد، قال السيوطي :« الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توفيقي، لا شبهة في ذلك »[2]، فكلما نزل شيء من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «دعا بعض الكتبة، فيأمرهم بوضع الآية في الموضع الذي يحدده من السورة.»[3]

وأما ترتيب السور، ففيه خلاف بين العلماء، إن كان توفيقيا، كما هو عليه الحال في ترتيب الآيات في سورها، أو كان باجتهاد من الصحابة الكرام.والذي يظهر أن ترتيب السور«توقيفي تولاه النبي صلى الله عليه وسلم كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، وقد علم هذا الترتيب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو نفس الترتيب الموجود في مصاحفنا اليوم ، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي تلقاه الصحابة جميعا بالموافقة والقبول.»[4] جاء في الإتقان: « قال ابن الحصار: ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا. و قد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»[5]، و هذا الرأي ذهب إليه جمهور العلماء[6].

وترتيب سورة النمل في القرآن هو السابع والأربعون في عداد النزول[7]، نزلت بعد الشعراء ، وقبل القصص، « روي عن ابن عباس وجابر بن زيد في ترتيب نزول السور : أن الشعراء، ثـــــم

1-من قواعد التفسير: «الترتيب توفيقي في الآيات دون السور.» خالد السبت:قواعد التفسير، ط1، دار ابن عفان، 1421هـ، ج1 ص 102.

2- السيوطي : الإتقان ، ج2ص394 .

3- المصدر نفسه : ج 2 ص 395 بتصرف.

4- مصطفى ديب البغا ومحي الدين مستو : الواضح في علوم القرآن، دار الكلم الطيب، دار العلوم الإنسانية ، دمشق– سوريا، 1418هـ/ 1998 م، ص 79.

5- السيوطي : الإتقان ، ج2 ص 406 – 404 .

6- ينظر:غانمقدوري الحمد، محاضرات في علوم القرآن، ص 72 .

7-بالتقريب حسب ما أشير إليه في الروايات السابقة، مع الاختلاف بينها، وعند ابن عاشور وحبنكه الميداني: أن ترتيب نزولها هو الثامن والأربعون في النزول . ينظر: تفسير ابن عاشور،ج19ص215 ، وحبنكه الميداني: معارج التفكر ودقائق التدبر، ط1،دار القلم، دمشق، 1423 هـ/ 2002 م،ج 9ص5.

طس، ثم القصص»[1]، وأما ترتيبها المصحفي فهو ضمن سو ر الربع الثاني من القرآن الكريم، بين الجزء التاسع عشر والجزء العشرين.

الفرع الثاني: مناسبتها لما قبلها وما بعدها.

أولا: مناسبة سورة النمل لسورة الشعراء.

ذكر سابقا أن ترتيب السور في القرآن هو أمر توفيقي، لذلك يعتبر القرآن الكريم كلا متكاملا، «وقطعة واحدة في السبك والصياغة والبلاغة »[2]، وترتبط سوره بعضها مع بعض بعلائق متنوعة، تظهر جليا عند بحثها، و« لا ريب أن فهم العلاقة التناسبية والروابط المتناسقة بين كل سورة قرآنية ، وما قبلها ، وما بعدها ، مما يعين على فهم أدق لجوهر السورة نفسها.»[3]

والمناسبات بين سورة النمل وسورة الشعراء كثيرة ومتنوعة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1- « لما ختم الله سبحانه سورة الشعراء بتحقيق أمر القرآن ،وأنه من عند الله ، ونفي الشك عنه وتزييف ما كانوا يتكلفونه من تفريق القول بنسبته إلى السحر، والأضغاث، والافتراء والشعر وكل ذلك ناشئ عن أحوال الشياطين»[4]، ابتدأ سبحانه سورة النمل بذكر القرآن، وأنه تنزيل رب العالمين، فقال (طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ) النمل1، أي « الذي هو تنزيل رب العالمين »[5]، ففي الشعراء نفي لأي تلبس للشياطين وأوليائهم بالقرآن، وفي سورة النمل تقرير لمصدرية تلقي القرآن من عند الله عز وجل.

2- تعتبر «سورة النمل كالتتمة لها، حيث زاد سبحانه فيها ذكر داود وسليمان، وبسط فيها قصة لوط عليه السلام أبسط مما هي قبل، في قوله تعالى(إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗاۖ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ) النمل 7، وما جاء في الشعراء من قوله تعالى (فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)الشعراء21.»[6]

1-وهبة الزحيلي : التفسير المنير،ط1،دار الفكر،دمشق–سوريا، 1418 هـ/ 1998م إعادة،ج20 ص252-253.

2- محمد مطني: سورة القصص دراسة تحليلية، رسالة دكتوراه غير مطبوعة،كلية العلوم الإسلامية،[د.م]،[د.ت]،ص24.

3-المرجع نفسه :ص 24.

4-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، 1431 هـ/2009 م، ج1 ص 419 .

5-أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط ، تحقيق :عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ،ط1، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ،1431 هـ/ 1993 م ،ج7 ص 51 بتصرف .

6-تفسير الألوسي: ج 19ص 154 بتصرف .

3-اشتراكهما في الافتتاحية بالحروف المقطعة ، على اختلاف بين العلماء في تفسيرها.

4- في السورتين«تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من أذى قومه، وعنتهم وإصرارهم على الكفر والإعراض عنه.»[1]

5- ترتيب السور الثلاثة، الشعراء والنمل والقصص، المتتالية في النزول، حيث« روي عن ابن عباس ، وجابر بن زيد ، أن الشعراء نزلت ، ثم طس ، ثم القصص .»[2]

6- لما « ختم الله تعالى السورة[الشعراء] بالتهديد والوعيد الأكيد،فقال (وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) الشعراء 277، أي إن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وأعرضوا عن تدبر هذه الآيات ،والتأمل في هذه البيانات الفارقة بين نبوة النبي وكهانة الكهان وشعر الشعراء، سيعلمون أي مرجع يرجعون إليه بعد الموت، لأن مصيرهم إلى النار، وهو أقبح مصير، ومرجعهم إلى العقاب، وهو شر مرجع »[3]، ذكر في بداية سورة النمل جزاء الذين يكذبون بالآخرة، فهم في ضلالهم يتيهون، وهو« العذاب السيئ في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فمثل قتلهم وأسرهم يوم بدر، وأما في الآخرة ،فلهم عذاب النار »[4]، بئس المصير.

7-لما ذكر في ختام الشعراء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، واستثناهم من ضلال الشعراء، الذين يخالف فعلهم قولهم، ذكر في بداية سورة النمل الذين آمنوا وأنهم مهتدون بإرشاد القرآن، ومن صفاتهم التزام الأعمال الصالحة، كإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، واليقين باليوم الآخر.

ثانيا : مناسبة سورة النمل لسورة القصص.

أما مناسبة سورة النمل لسورة القصص، فيمكن إجمالها فيما يأتي:

1-«حديثهما معا عن تلاوة القرآن»[5]، ففي ختام سورة النمل ذكر الله تعالى تلاوة القرآن في قوله (وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ)النمل92، وفي افتتاحية سورة القصص ذكر تعالى بعض ما يتلى من الأنباء في القرآن، فقال تعالى (نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) القصص 2-3.

2-«حديثهما عن منة الله تعالى(وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ)النمل93،(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟

1-المراغي: تفسير المراغي، ط1، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده،مصر،1365هـ/1946م،ج19 ص118.

2-تفسير الألوسي: ج19 ص 154.

3-الزحيلي: التفسير المنير، ج19 ص 246.

4- المرجع نفسه : ج19 ص 258.

5-محمد مطني:سورة القصص دراسة تحليلية، ص 24.

فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ)القصص5.»[1]

3-لما ذكر الله تعالى في آخر السورة بعلم الله المطلق،فلا يغيب عنه شيء،ولا يغفل سبحانه عن أعمال الناس وتصرفاتهم،حيث قال تعالى(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)النمل93، أبان في سورة القصص بأن ما يفعله فرعون من إفساد وإجرام واستكبار في الأرض بغير الحق،لا يغيب كذلك عن علمه سبحانه، فقال تعالى(إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ...)القصص4، وكذا غيره من العالمين.[2]

4- ذكر مصدرية تلقي القرآن وإنزاله من عند الله عز وجل، حيث قال في بداية سورة النمل(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)النمل 6، وقال في أواخر سورة القصص (وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ) القصص 86 .

5- «لما أوجز سبحانه في سورتي الشعراء والنمل قصة موسى عليه السلام، فصلها سبحانه في سورة القصص.»[3]

6- «لما أجمل سبحانه تعالى توبيخ المشركين في سورة النمل بالسؤال عن يوم القيامة، فقد بسطه عز وجل في سورة القصص.»[4]

7-«لما فصل سبحانه وتعالى إهلاك قوم صالح وقوم لوط في سورة النمل، بسط ذلك في سورة القصص، وكذا ما يذكر حول من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة.»[5]

8-«تقاطع السور الثلاثة في بيان أصول العقيدة، من توحيد، ونبوة، ومعاد، مع إيراد الأدلة المثبتة لذلك.»[6]

9-افتتاحيتها بحروف التهجي، ففي سورة النمل(طسٓ) وفي القصص(طسٓمٓ) ، وفيه إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم.

10- ترتيب السور الثلاثة في النزول ،حيث « روي عن ابن عباس، وجابر بن زيد، أن الشعـــــراء

1،2- المرجع السابق:ص24.

3- الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص51 بتصرف .

4- تفسير المراغي:ج20ص 30 بتصرف .

5،6- الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص 52 بتصرف .

نزلت،ثم طس،ثم القصص.»[1]

11-أمر الرسول صلى الله عليه وسلم في نهاية سورة النمل بالتوجه بالعبادة لله عز وجل، وأن يلتزم زمرة المسلمين في قوله تعالى(إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)النمل91، وأمر في آخر سورة القصص بالدعوة إلى عبادة الله ، والحذر من الشرك فلا يخص العبادة إلا له عز وجل ،فقال تعالى (وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ)القصص 87.

12-تلتقي سورة النمل مع القصص في جانب الإخبار بالغيب، إذ أنه تعالى لما ختم سورة النمل بقوله (سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ)النمل93، ذكر بعضا منها في القصص الماضي في عصر موسى، وقبله وبعده.[2]

13-«وهناك مناسبة خفية بين السورتين، وهي قوله تعالى في آخر النمل(إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ...)النمل91 إلى آخر السورة، وفيها ذكر حرمة مكة المكرمة ،والتهديد والوعيد لكفار قريش الذين لم يراعوا حرمتها،ففيها إشارة إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيفتح مكة، فتعود حراما كما كانت، والمناسبة هي أن ذكر نصر الله تعالى لموسى على فرعون وقومه في أول سورة القصص يناسب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم بفتح بمكة في آخر سورة النمل»[3].

14-«ومناسبة أخرى، وهي بين قوله تعالى(وَأَنْ أَتْلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ)النمل 92، أي يسمعوا ما جرى لمن كفر وطغى، وكيف كانت عاقبته، وبين قوله في أول القصص(نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) القصص3، فكأنه قيل لهم: لستم أكثر قوة وجبروتا من فرعون وقومه، وليس أتباع النبي صلى الله عليه وسلم في مكة بأضعف من بني إسرائيل في عصر فرعون،حين كان يعذبهم ،ويذبح أبناءهم، فهلا تأملتم عاقبة الفريقين، وسلكتم أنهج الطريقين.»[4]

15- ومناسبة أخرى بين سورة النمل وسورة القصص، « وهي أن الله تعالى قال في السورة السابقة [النمل] (إِنَّ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)76 ، قال هنا[أي في القصص]:(نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) 3، وذكر قصة موسى

1- تفسير الألوسي:ج19ص 154.

2،3،4- مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم.،ج5ص 510.

-عليه السلام- وهو رسول بني إسرائيل، وصاحب شريعتهم، بما لم يذكر في سورة أخرى، وذلك منذ التقاط فرعون له وهو رضيع ، إلى أن عاد إليه رسولا، وما تبع ذلك من مجادلات ومناقشات، انتهت بإغراق فرعون وقومه، وذكر قصة قارون، ولم تذكر في سورة غير هذه، وبعض ذلك مما اختلفوا فيه، حتى إن بعضهم أنكر قصة قارون.»[1]

وبتبيان العلائق والوشائج العديدة التي تشد السور بعضها ببعض، يظهر التناسب جليا بينها، وهو نوع إعجاز امتاز به كتاب الله عز وجل، ويكون الحديث بعد هذا متعلقا بما للسورة من خصائص وميزات تختص بها عن غيرها من السور.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-محمد بن الزبير الغرناطي: البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد الفلاح، ط1،دار ابن الجوزي، السعودية، 1428هـ،ص74.

المطلب الرابع:أهم سماتها ومميزاتها- أهم أغراضها ومقاصدها.

الفرع الأول: أهم سماتها ومميزاتها.

لكل سورة من القرآن ميزات وخصائص تنفرد بها كل سورة عن الأخرى، ومنها سورة النمل ، ويمكن الوقوف على ذلك كما يأتي:

1- تواردت كلمات وألفاظ في السورة، منها ما يخص الأسماء، ومنها ما يخص الأفعال، ومنها ما يخص الصفات.

أ- فتوارد الأسماء توزع على ثلاثة عشر حقلا دلاليا، منها على سبيل المثال:حقل الذات الإلهية: حيث ورد لفظ الجلالة "**الله**" سبعا وعشرين مرة، ولفظ " **الرحمان**" ورد مرة واحدة، ولفظ "**رب**" ورد اثنتي عشر مرة[1].

ب- وأما الأفعال[2]: فقد احتوت السورة على مجموعة كبيرة منها ، تعدت الستين ومائتي فعلا، توزعت على أحد عشر حقلا دلاليا، منها على سبيل المثال الفعل(يعلم)،قال تعالى(**أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**) النمل 25.

ج- ثم هناك الصفات: ونسبتها قليلة في السورة ، عوضتها نسبة الأفعال ، وتوزعت على سبعة حقول دلالية، منها على سبيل المثال، ما تعلق بصفات الله سبحانه، والتي جاءت ثلاث عشرة مرة، بعضها مرتين، وبعضها مرة واحدة، وهي :**حكيم -عليم -العزيز -رحيم -كريم-غفور-خبير-غني**[3].

2-كما و رد في السورة ما يتعلق بالجانب اللغوي والبلاغي، ومن ذلك:

أ-البديع:بنوعيه المعنوي واللفظي.

- فمن البديع المعنوي:

أولا: الطباق: ورد ثلاث عشرة مرة[4]، كما في قوله تعالى (**إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ**)النمل11.

1-ينظر:أحمد بزيو، خصائص الأسلوب في سورة النمل، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص154.

2- ينظر:المرجع نفسه،ص 163.

3- ينظر:المرجع نفسه،ص 169 -170.

4-ينظر:المرجع نفسه، ص 9.

ثانيا:المقابلة:وردت خمس مرات[1]، منها قوله تعالى(أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)النمل 25.

ثالثا: المشاكلة: وردت في أربع مواضع[2]، منها قوله تعالى(لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)النمل21.

- ومن البديع اللفظي:

أولا: الجناس: في أربع مواضع[3]، منها قوله تعالى(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ)النمل22

ثانيا: السجع: في مواضع،[4] منها قوله تعالى (أَمَّن جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) النمل 61.

ثالثا :الفاصلة القرآنية[5] : لم تخرج سورة النمل عن نظام الفواصل أصلا، ولم تتنوع إلا في حالتين، فاعتمدت اعتمادا كليا على رويين فقط، وهما: حرف النون والميم ، ومثل حرف النون النسبة الكبرى في السورة ، إضافة إلى ميزته الساكنة عند التلاوة، فكان عدد آياته أربع وثمانين آية. أما حرف الميم الذي يوقف عليه ساكنا أيضا، تكرر تسع مرات فقط في تسع آيات.[6]

ب- الصور البيانية: وردت في سورة النمل ثلاثا وثلاثين صورة بيانية، تنوعت بين تشبيه، واستعارة، وكناية، تمثل ثلث آيات السورة.[7]

أولا: التشبيه: ورد أربع مرات[8]، ومثاله قوله تعالى(وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ) النمل 10.

1-ينظر:المرجع السابق،ص15.

2- ينظر:المرجع نفسه،ص 17.

3- ينظر:المرجع نفسه،ص20.

4- ينظر:المرجع نفسه، ص 23.

5- الفاصلة القرآنية:كلمة آخر الآية كقافية الشعر، وقرينة السجع.الزركشي:البرهان، ج1ص53.

6-ينظر: أحمد بزيو، خصائص الأسلوب في سورة النمل ، ص 24-25.

7- ينظر:المرجع نفسه،ص 116 .

8-ينظر:المرجع نفسه،ص 117 وما بعدها.

ثانيا:الاستعارة:وردت سبع عشرة مرة[1]، ومثالها قوله تعالى(**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ**)النمل4.

ثالثا : الكناية: وردت أحد عشرة مرة [2]، ومثالها قوله تعالى(**وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ**) النمل10.

ج-ظاهرة التكرار:

تعتبر سورة النمل من السور التي تتسم بظاهرة التكرار، فبحوصلة هذه الصيغة في بعض ما كرر من ألفاظ أو جمل ، يكون من وراء ذلك فوائد جمة[3].وهذه بعض الصيغ التي وقع فيها التكرار:

أولا : تكرار القول(**قَالَ** ...) اثنان وأربعون مرة في ست وثلاثين آية ، بدلالات متنوعة [4].

ثانيا:تكرار النظر:(**فَٱنظُرۡ**)ستة عشر موضعا، في ست عشرة آية،بلفظه، أو مرادفه وتنوع معناه[5].

ثالثا:تكرار الجعل: (**جعل**) سبع مرات في أربع آيات[6].

رابعا: تكرار:(**أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ**) اجملة استفهامية،كررت خمس مرات في الآيات المتتالية الخمسة(60-61-62-63-64)، وأفاد الاستفهام الإنكار، فالتكرار كان تأكيدا لهذا الإنكار المتضمن لمعنى التوبيخ[7].

خامسا: تكرار المكر: في مواضع، منها قوله تعالى (**وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا وَمَكَرۡنَا مَكۡرٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ**) النمل 50 [8].

د- الجمل، ومنها: الشرطية، والموصولة، ومقول القول.

أولا: الجملة الشرطية: وظفت ثمان عشرة مرة، على النحو الآتي: الجملة الشرطية المبدوءة بحرف "لما " وظفت أربع مرات، والجملة الشرطية المبدوءة بحرف " من " وظفت ست مرات، والجملة المبدوءة

1-ينظر:المرجع السابق، ص119 وما بعدها.

2-ينظر:المرجع نفسه، ص125وما بعدها.

3،4-ينظر:المرجع نفسه، ص45.

5،6-ينظر:المرجع نفسه، ص49.

7-ينظر:المرجع نفسه، ص50.

8-ينظر:المرجع نفسه، ص51.

بحرف "إذا" وظفت خمس مرات[1].

ثانيا:الجملة الموصولة: تواترت إحدى وأربعين مرة في خمس وثلاثين آية[2]، على النحو الآتي[3]:

الجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول "ما" وظفت أربع عشرة مرة في أحد عشر آية، والجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول "من" وظفت تسع مرات في ست آيات، والجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول "الذي" وظفت سبع مرات في سبع آيات، والجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول " الذين" وظفت سبع مرات في سبع آيات، والجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول "ذا" بشرط وقوعه بعد " من – ما" الاستفهاميتين، وظفت ثلاث مرات في ثلاث آيات، والجملة الموصولة التي ورد فيها اسم الموصول " التي" وظفت مرة واحدة في آية واحدة.

ثالثا: جملة مقول القول: من الدعائم الأساسية في سورة النمل، حيث وظفت هذا التركيب اثنتين و أربعين مرة، في ست وثلاثين آية.وتنوعت جملة القول إلى:[4]

1- مقول القول الاسمية: وردت في تسعة عشر موضعا.

2- مقول القول الفعلية: وردت في ثلاثة وعشرين موضعا[5].

هـ:الأساليب الإنشائية: تنوعت إلى نداء، وأمر، ونهي، واستفهام.

أولا : النداء، ورد ثمان مرات.

ثانيا: الأمر، ورد عشرين مرة.

ثالثا: النهي: ورد أربع مرات[6].

رابعا:الاستفهام بأنواعه:ورد عدد الجمل الاستفهامية في السورة ثلاثا وثلاثين جملة في سبع وعشرين آية، تنوعت معانيها البلاغية ومقاصدها الأسلوبية، ومنها:

- الاستفهام الإنكاري: ورد أحد عشرة مرة.
- الاستفهام التقريري: ورد خمس مرات.
- الاستفهام التوبيخي: ورد مرتين.

1-ينظر:المرجع نفسه، ص79.

2-ينظر:المرجع نفسه،ص95.

3-ينظر:المرجع نفسه،ص107.

4-ينظر:المرجع السابق،ص107.

5- ينظر:المرجع نفسه، ص108 إلى111.

6-ينظر:المرجع نفسه، ص54.

- الاستفهام التعجبي: ورد خمس مرات.
- الاستفهام التبكيتي: ورد مرة واحدة.
- الاستفهام الاختباري: ورد خمس مرات.
- الاستفهام التهكمي: ورد مرة واحدة.

و- أدوات التوكيد: الذي لازم في غالب الأحيان الأسلوب الخبري، ومنها: (إن، أن، كأن...).[1]

ومن سمات و مميزات سورة النمل أيضا:

1-السورة الوحيدة في القرآن التي افتتحت بحرفي:الطاء وهو حرف مستعل[2]،و«السين وهو حرف استفالة»[3].

2- ورود القصص في السورة نسبة أكثر من النصف ½.

3-فيها ذكر حلقة من حلقات حياة سليمان عليه السلام التي اختصت بها دون غيرها من السور القرآنية، ألا وهي:«حلقة قصته مع الهدهد و ملكة سبأ»[4]، رغم ورود قصته في سور أخرى من القرآن الكريم.

4-ورود قصة النملة و الهدهد و بلقيس فيها.

5-«لا نظير لها في عددها من الآيات (93 آية).»[5]

والحديث عن خصائص ومميزات سورة النمل، يقودنا إلى التعمق فيها للوقوف على أغراضها ومقاصدها، وهو ما سيكون تناوله في ما يأتي:

الفرع الثاني: أغراضها و مقاصدها.

مما يساعد كثيرا على فهم أدق لأي سورة من القرآن –خاصة الطويلة منها– معرفة الأغراض والمقاصد التي تضمنتها، وقد اشتملت سورة النمل على أغراض ومقاصد، يمكن استعراضها كما يأتي:

1-ينظر:المرجع السابق، ص74.

2-الاستعلاء:ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى عند النطق بالحرف.محمد عصام مفلح القضاة:الواضح في أحكام التجويد،[د.ط]،دار النفائس، الأردن، [د.ت]،ص46.

3-الاستفالة: انحطاط اللسان عن الحنك الأعلى عند النطق بالحرف.المرجع نفسه:ص46 بتصرف.

4-سيد قطب:في ظلال القرآن، ط10،دار الشروق،بيروت-لبنان،1402هـ/1982م، ج5ص2624.

5-أبو عمرو الداني:البيان في عد آي القرآن،ص199.

1- افتتاح السورة«بما يشير إلى القرآن الكريم ببلاغة نظمه وعلو معانيه»[1]، مع التنويه برسالته، إذ أنه ذو هداية وبشرى للمؤمنين به، وأما الذين تنكبوا سبيله فهم في عماية، ومصيرهم الخسران المبين، وفيه بيان مصدر تلقي هذا الكتاب من عند الله عز وجل صاحب الحكمة اللطيفة، والعلم الشامل الدقيق.

2- الحديث عن حلقة من حلقات قصة موسى عليه السلام، و هو الجانب الرسالي، وبيان موقف قومه من دعوته، تكذيبهم له، وإذايتهم إياه، وعاقبتهم التي آلو إليها.

3- «ذكر خبر داود وسليمان عليهما السلام وتفضل الله عليهما بتعليمهما منطق الطير، وسائر الحيوان،وقصةالنمل، وذكر الهدهد و خبر بلقيس»[2]، «وما بلغ إليه ملكه من عظمة الحضارة»[3]، وفي هذا«حكمة بالغة لأصحاب السلطة هي اتخاذ السلطات والنفوذ سبيلا للدعوة إلى الله جل جلاله»[4]، «فقد اتخذ سليمان الملك وسيلة للدعوة إلى الله، فلم يترك حاكما جائرا ولا ملكا كافرا إلا دعاه إلى الله، و هكذا كان شأنه مع بلقيس حتى تركت عبادة الأوثان و أتت مع جندها خاضعة مستسلمة مستجيبة لدعوة الرحمن»[5].

4- «و في أعقاب قصة بلقيس، نجد الآيات (45-53)، تتحدث عن نبي الله صالح عليه السلام و مكر قومه في حقه»[6]، وعاقبة مكرهم وما حل بهم من دمار وفناء، وهذا إنذار وتحذير لكفار مكة، وعاقبة ما يحيكون من دسائس و مؤامرات ضد النبي صلى الله عليه و سلم وأتباعه.

5- «طرف من حديث قوم لوط عليه السلام»[7]في آيات (54-59) بارتكابهم لفاحشة الشذوذ الجنسي[8]، ونصح لوط عليه السلام لهم وتآمرهم عليه، بأن هددوه بالطرد والنفي، «فأنجاه الله وأمطر عليهم حجارة من السماء فأهلكتهم»[9]، وفي هذا أيضا تحذير وإنذار لكفار مكة ومشركيها.

1-تفسير ابن عاشور: ج19ص215.

2-الفيروز أبادي:بصائر ذوي التمييز،تحقيق:محمد النجار،[د.ط]،المكتبة العلمية،بيروت-لبنان،[د.ت]، ج1ص348.

3- تفسير ابن عاشور: ج19ص215.

4- الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص 254.

5-تفسير الصابوني: ج2ص400.

6-عبد الله محمد شحاتة:أهداف كل سورة ومقاصدها،[د.ط]،[د.م]،ص275.

7- الفيروز أبادي:بصائر ذوي التمييز،ص349.

8-سيأتي تعريفه – إن شاء الله – .

9- عبد الله محمد شحاتة:أهداف كل سورة ومقاصدها، ص275بتصرف.

6- بيان الأدلة والبراهين على وجود الله وتوحيده، «من آثار مخلوقاته و بدائع صنعه»[1]، و«الإمداد بالأرزاق، وهداية الناس في ظلمات البر و البحر»[2]، وإجابة المضطر وكشف السوء، واختصاص الله بعلم الغيب.

7- إبطال شبه المشركين فيما يخص حقيقة البعث، « وتسلية الرسول صلى الله عليه وسلم في إعراض المنكرين عن قبول القرآن، وعن قبول الإيمان»[3]،« لأن لا يحزن عليهم ولأن لا يضيق صدره مما يمكرون»[4]، وبيان « حكم القرآن على ما اختلفت فيه بنو إسرائيل»[5] والحديث« عن أشراط الساعة كخروج دابة الأرض، وحشر فوج من كل أمة وتسيير الجبال، ثم ذكرت بالنفخ في الصور لجمع الناس ومجيئهم داخرين صاغرين لله تعالى »[6].

8-بيان شأن الرسول صلى الله عليه و سلم هو الإعراض عن المشركين والإقبال على العبادة، «والالتزام بمنهج القرآن، ودستوره في الحياة»[7] فمن تمسك بعراه فقد اهتدى، ومن شرد عن طريقة كان في عمه، ومصيره الخسران وإنما الرسول من المنذرين، «و أمر الله له بالحمد على إظهار الحجة»[8]، وأن «آيات الصدق سيشاهدونها»[9]، «فيعرفونها حق المعرفة حين لا يفيدهم ذلك شيئا»[10]، وما الله بغافل عما يعملون.

سورة النمل ذات المسميات العديدة، هي من القرآن النازل في أواسط العهد المكي، بعد سورة الشعراء وقبل سورة القصص، ولها مميزات عديدة تختص بها عن غيرها من سور القرآن الكريم الأخرى، وتنطوي على جملة من الأغراض والمقاصد المتنوعة، وبمعرفتها يكون ذلك عاملا مساعدا على إدراك موضوع سورة النمل، وهو ما سيكون الحديث عنه ضمن المبحث الثاني من الفصل التمهيدي.

1- تفسير الصابوني: ج2ص400.

2- الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص 275بتصرف.

3-الفيروز أبادي:بصائر ذوي التمييز،ص349.

4-تفسير الميداني: ج9ص349.

5-تفسير المراغي: ج20ص23.

6-الزحيلي:التفسير المنير،ج20ص254.

7-المرجع نفسه: ج20ص29.

8- الفيروز أبادي:بصائر ذوي التمييز،ص349.

9-تفسير ابن عاشور: ج19ص216.

10-تفسير المراغي: ج20ص29.

المبحث الثاني
الموضوع الرئيس لسورة النمل .

تمهيد:

للسورة محور واحد تدور عليه وإن تعددت أهدافها، يشكل مجرى واحدا تلتقي عنده الروافد كلها.

وسورة النمل إحدى سور القرآن التي تطرق موضوعا يعبر عن شخصيتها وكيانها، لابد من التعرف عليه، بعرض آراء العلماء حوله، إضافة إلى ما هو قريب الصلة بذلك من الأمور المساعدة على الوقوف عليه، ولهذا سيكون المبحث متضمنا:

المطلب الأول: آراء العلماء حول الموضوع الرئيس لسورة النمل.

المطلب الثاني: أسماء سورة النمل وعلاقتها بموضوعها.

المطلب الثالث: مناسبة مقدمة سورة النمل لخاتمتها وعلاقة ذلك بموضوعها.

المطلب الرابع: أجواء نزول سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: آراء العلماء حول الموضوع الرئيس لسورة النمل.

قبل بحث ما قيل من كلام في موضوع السورة، يكون من المفيد القول:

1- إن السورة مكية بحسب ما تم التطرق إليه سابقا، و هذا يعني أن سيكون لها ملمح الطابع المكي الذي يخص قضايا العقيدة و الإيمان بالكلام.

2- تحديد موضوع السورة يساعد عليه أحد الأمور التالية أو هي مجتمعة[1].

أ- دلالة اسم السورة أو أسمائها عليه.

ب-دلالة المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، و التي حددت سابقا بأوائل المرحلة المكية المتوسطة تقريبا.

ج- دلالة أغراض و مقاصد السورة عليه، و هو ما تم بحثه قريبا.

د-ارتباط مقدمة السورة بخاتمتها، فـ«قد يكون النظر في فاتحة السورة وخاتمتها و إبراز القضايا المشتركة بينهما دليلا على الهدف الأساسي في السورة، فكثير من السور القرآنية يرد العجز على الصدر لترسيخ مفاهيم معينة أو التذكير بقضية جاءت السورة لبيانها» [2].

هـ- دلالة الافتتاحية أو المطلع، بحيث من المعتاد«أن كل كتاب أو خطبة توحي مقدمتها بما فيها»[3]، «فتوضح الآيات الافتتاحية الأولى من السورة الموضوع الذي ستعالجه في خطوطها الرئيسية»[4]، ثم يتلاحق الكلام بعد ذلك على الموضوع بالتفصيل وهذا ما يلاحظ في مقدمة سورة النمل.

أما ما ورد من كلام العلماء حول موضوع سورة النمل، فهذا وقت بيانه:

عند بحث ما قبل في موضوع السورة من آراء، اتضح أنه يمكن تقسيمها إلى:

1- اتجاه يجعل قضايا العقيدة والإيمان[5] هي موضوع السورة من الإيمان بالله والتأكيد على اليوم

1-ينظر:مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ط1، دار القلم، دمشق–سوريا، 1410هـ/1989م، ص41 ومابعدها.

2،3-المرجع نفسه:ص45.

4-محمد عبد الله دراز:مدخل إلى القرآن الكريم،[د.ط]،دار القلم،الكويت،1404هـ/1984م،ص119.

5-العقيدة: مجموعة من قضايا الحق البدهية المسلمة بالعقل،والسمع،والفطرة،يعقد عليها الإنسان قلبه،ويثني عليها صدره جزما بصحتها،قاطعا بوجودها وثبوتها،لا يرى خلافها أنه يصح أو يكون أبدا.أبو بكر جابر الجزائري:عقيدة المؤمن،ط1،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،1420،ص14.

أما الإيمان، فيمكن تعريفه بأنه " قول باللسان و تصديق بالجنان وعمل بالأركان" أبو يعلي الفراء: كتاب الاعتقاد، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن الخميس، ط1، دار أطلس الخضراء، الرياض، السعودية، 1423هـ/2002م، ص 23.

الآخر، والموقف من الرسالة وهو اتجاه عام يشمل قضايا العقيدة المختلفة، وكل السور النازلة في العهد المكي تدور حول هذا المضمار، وهذه بعض آراء هذا الاتجاه:

أ-ذهب سيد قطب[1] إلى اعتبار قضايا العقيدة و الإيمان هي موضوع السورة فقال«موضوع السورة الرئيسي كسائر السور المكية هو العقيدة الإيمان بالله وعبادته وحده، و الإيمان بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب والإيمان بالوحي وأن الغيب كله لله لا يعلمه سواه، والإيمان بأن الله هو الخالق الرازق واهب النعم، وتوجيه القلب إلى شكر أنعم الله على البشر، والإيمان بأن الحول والقوة كلها لله، وأن لا حول ولا قوة إلا بالله»[2].

ب- وفي الإطار نفسه، جعل كل من وهبة الزحيلي[3]، ومحمد علي الصابوني[4]، قضايا العقيدة والإيمان هي الموضوع الرئيسي لسورة النمل[5] ، حيث قال وهبة الزحيلي عن سورة النمل:«هذه سورة مكية تتفق مع أغراض السور المكية في بيان أصول العقيدة: وهي التوحيد و النبوة، و البعث، و إثبات كون القرآن الكريم منزلا من عند الله العزيز الحكيم»[6] وقال محمد علي الصابوني:«سورة النمل من السور المكية التي تهتم بالحديث عن أصول العقيدة، التوحيد والرسالة و البعث» .[7]

وجعل الموضوع الرئيس للسورة هو العقيدة بشكل عام هو محور تدور حوله السور المكية كلها، وربما محاولة التنقيب والتفتيش فيه عبر قضايا العقيدة والإيمان، هو الأولى بالاهتمام، ذلك أن« لكل سورة شخصيتها المستقلة وهدفها أو أهدافها المحددة التي ترمي إليها، وأسلوبها الخاص بها، واختيار طريقة العرض للقضايا وسوق القصص اختصارا أو إسهابا أو إشارات مقتضبة، كل ذلك لتكمل شخصية السورة وأجواؤها لإبراز الهدف الأساسي أو القضايا الرئيسية التي تناولتها السورة.»[8]

2-اتجاه آخر يحدد إطارا معينا لبحث موضوع السورة، وذلك بحسب زاوية الرصد، ويمكن التمثيل لذلك بما يأتي:

1-سيد قطب:كاتب إسلامي مصري، من آثاره في ظلال القرآن، توفي1966م.أشرف طه أبو الذهب:مرجع سابق،ص332.

2-تفسير سيد قطب:ج5 ص2624.

3-وهبة الزحيلي:عالم سوري من آثاره:التفسير المنير.من موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

4-محمد علي الصابوني: عالم سوري،من آثاره:صفوة التفاسير.من موقع: ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

5-ويذهب إليه أيضا مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 417.

6-الزحيلي: التفسير المنير، ج19ص 253

7-تفسير الصابوني: ج 2ص 400.

8- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص44.

أ- صنيع الإمام البقاعي[1] في كتابه نظم الدرر أثناء البحث عن مقصد كل سورة، وذلك قبل التناول لها بالتفسير والبيان، ومنها سورة النمل، حيث ذكر أن «المقصود الأعظم منها إظهار العلم والحكمة» [2] وذلك بعد ما أشار إلى مقصودها الذي يتعلق بالقرآن وكفايته لهداية الخلق أجمعين، وبرر كلامه بـ«ما للنمل من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش، ولا سيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، و بلاغة التأدية.»[3]

وقريبا منه ما جاء في "دلاله السياق" من أن سورة النمل«مكية تبين عظمة القرآن و أنه العلم الذي إمتن الله به، فهدى من شاء و أضل من شاء..»[4]، ومتابعة للكلام أيضا أثناء التقديم لسورة النمل«ويظهر في هذه السورة أيضا الرفع من شأن العلم، و التنويه به»[5] ، مع ورود أمثلة على ذلك في سياق التدليل.

ب-ذكر زغلول النجار[6] بأن موضوع سورة النمل هو التركيز على «إخلاص الإيمان بالله تعالى وإخلاص العبادة له سبحانه وحده بغير شريك ولا شبيه ولا منازع ولا صاحبه ولا ولد»[7] مدللا على ذلك بتكرر السؤال التقريري التقريعي التوبيخي الشديد (**أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ**) خمس مرات في سياق الاستدلال على الوحدانية المطلقة لله تعالى فوق جميع خلقه[8]، كما ذكر أيضا أن السورة اهتمت بعرض قضايا العقيدة الأخرى كالنبوة والوحي والآخرة، والبعث، والحساب.[9]

ج- وهذا الإمام الفيروز أبادي[10] يدلي بدلوه في ما يخص موضوع السورة، إذ جعل القرآن هو مقصود السورة، فقال تحت عنوان: مقصود السورة و معظم ما تناولته«بيان شرف القرآن وما منه نصيب أهل الإيمان، الشكاية من مكر أهل الشرك والعصيان.» [11]

1-البقاعي:برهان الدين،لغوي ومؤرخ،من آثاره:نظم الدرر،توفي سنة885هـ.أشرف أبو الذهب:مرجع سابق،ص134-135

2-البقاعي: نظم الدرر، [د.ط]،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،[د.ت]، ج14ص122.

3-المصدر نفسه: ج 14 ص122.

4-فهد بن شتوى: دلالة السياق و أثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قسم الكتاب و السنة، كلية الدعوة و أصول الدين، جامعة أم القرى، السعودية، نوقشت بتاريخ 2005/1426، ص 395.

5-المرجع نفسه: ص 396.

6-زغلول النجار:عالم جيولوجي مصري،من آثاره:موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.عن موقع ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

7-زغلول النجار: من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، ط2، دار المعرفة، بيروت- لبنان، 2007/1428، ج3ص54.

8،9-ينظر:المرجع نفسه،ج3 ص 55.

10-«الفيروز أبادي:أبو طاهر محمد،لغوي،من آثاره:القاموس المحيط،توفي1329هـ»أشرف أبوالذهب:مرجع سابق 45 بتصرف.

11-الفيروز أبادي:بصائر ذوي التمييز، ج1ص348.

وقريبا منه صنيع كل من الطبطبائي[1] وحبنكه الميداني[2]، وبيوض إبراهيم[3]، وابن عاشور[4] في كتبهم، فالطبطبائي جعل موضوع السورة يدور حول التبشير والإنذار، وعلل ذلك بما أشار إليه مبدأ السورة وختامها، مع ورود القصص الأربعة من التدليل عليه [5].

وحبنكه الميداني استنتج موضوع سورة النمل بجعله يتناول خطوطا ثلاثة، يتعلق الأول منها بكيفية التعامل مع صناديد الكفر والشرك وزعمائه، والثاني بتأييد النبي صلى الله عليه و سلم وتثبيته أمام ما يلاقيه من أعباء في سبيل إبلاغ رسالته وأما الثالث فيتعلق بجماعة المؤمنين، وما ينبغي أن يكونوا عليه من الصبر والثبات على دينهم [6] .

وهذا بيوض إبراهيم يجعل موضوع سورة النحل دائرا حول تبليغ الرسالة المحمدية، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى(**وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَ**) النمل92، بعد أن أشار إلى أن المراد بالتلاوة هو التبليغ:«لنحقق هذا المعنى علينا أن نعلم أن هذه الآية هي خلاصة السورة كلها»[7]، ولا يخفى أن تلاوة القرآن على الناس تبليغا للرسالة، من أهم محتواها بيان أصول العقيدة باعتبار مكية السورة.

كما أن الطاهر بن عاشور يرى بأن سورة النمل عند تدبرها تفصح عن مقصودها بإتيانها«على كثير من مطاعن المشركين في القرآن وفيما جاء به من أصول الإسلام من التوحيد و البعث والوعيد، مستخدمة أساليب من التصريح والتضمن والتصريح بأحوال المكذبين»[8]، و«ماجاء من تثبيت تثبيت الرسول صلى الله عليه وسلم بشتى أنواع التثبيت: بالقصص وغيره، والوبال الـــذي حل بالمشركين بعد العمه الذي تاهوا فيه»[9،10] .

1- الطبطبائي:محمدحسين،عالم ومفسر إيراني،من آثاره:الميزان في تفسير القرآن،توفي1982.من موقع ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

2- حبنكه الميداني:عالم وفقيه سوري،من آثاره:معارج التفكر و دقائق التدبر،توفي1978م.من موقع ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

3- بيوض إبراهيم: عالم جزائري من غرداية، من آثاره:في رحاب القرآن، توفي1981م.من موقع ويكيبيديا،الموسوعة الحرة.

4- محمد الطاهر بن عاشور:عالم وفقيه وقاضي تونسي،من آثاره:تفسير التحرير والتنوير،توفي1973م.ينظر بلقاسم الغالي:شيخ الجامع الأعظم،محمد الطاهر بن عاشور، ط1،دار ابن حزم،بيروت-لبنان،1417هـ/1996م.

5-ينظر:الطبطبائي،الميزان في تفسير القرآن،ط1محققة،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان،1411هـ/1991م،ج1ص 341.

6-ينظر:تفسير الميداني، ج09ص19-21.

7-بيوض إبراهيم بن عمر: في رحاب القرءان، [د.ط]، جمعية التراث، غرداية- الجزائر ، 1421هـ/ 2000م، ج 8 ص218.

8-تفسير ابن عاشور: ج20ص54-55.

9-المرجع نفسه: ج 20ص55 بتصرف.

10-ومنهم من جعل موضوع السورة يدور في فلك المعجزات، وموقف الناس منها.عبد الحميد محمود طهماز:المعجزة والإعجاز في سورة النمل،ط3، دار القلم، دمشق-سوريا، 1422هـ/2001م، ص30-31، وص35.

وهذه الآراء المعروضة سابقا، حدد أصحابها إطار الموضوع من زاوية الرصد التي نظروا من خلالها، فالبقاعي يرجع رأيه في النهاية إلى زاوية الرصد، وهي توحيد الله عز وجل، باعتبار السورة ركزت على الحكمة و العلم الإلهي، وترجم ذلك في اسمها، ذلك أنه يجعل اسم السورة مترجما لمقصودها، فقال:«فقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها، لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه و بين مسماه عنوانه الدال إجمالا على تفصيل ما فيه»[1]، والكلام نفسه ينسحب تقريبا على الآراء الأخرى-أي زاوية الرصد التي يرصد كل عالم منها موضوع السورة-.

موضوع السورة:

وعند تأمل سورة النمل جيدا من أولها إلى آخرها، وقراءتها مرات ومرات، يمكن القول بأن موضوعها الرئيس هو : رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، وحال المدعوين معها، وذكر المطاعن التي أثيرت حول ما جاءت به من أصول كالتوحيد والنبوة والبعث وإبطالها بمختلف الأدلة.

وهذا الاستنتاج يتداخل مع الآراء الأخرى، كآراء ابن عاشور وحبنكه الميداني والطبطبائي وإبراهيم بيوض، على تقارب معها أو تباعد، والذي يدلل على ذلك:

1-عند استعراض القضايا والأحداث البارزة التي وردت في السورة، حيث حال الفريقين من المؤمنين والكافرين أمام رسالة القرآن، وشبه المشركين حولها، وما عرضته من قضايا تتعلق بالتوحيد والنبوة والحشر والرد على مزاعمهم وافتراءاتهم، ثم بيان جزاء الفريقين في الآخرة، مع ورود بعض قصص الأنبياء مع أقوامهم ومواقفهم من دعواتهم وما جاءوا به.

2- المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، وهي أوائل المرحلة المكية المتوسطة، حيث جاء فيها ذكر القضايا العقدية بتوسع واضح مع التأكيد عليها، ومعلوم أن سورة النمل نزلت تقريبا خلال هذه الفترة كما تم بحثه سابقا، وهذه المرحلة تصور وضعية الدعوة وأهلها المؤمنين بها، ونفوذ الكفار وسطوتهم.

3- مقدمة السورة أشارت إلى القرآن الكريم إشادة وتنويها، وحال آياته أنها هادية ومبشرة لمن التزم طريقها ومنذرة لمن حاد عن هذا السبيل وضل عنه.

1-تفسير البقاعي: ج1ص 16-17.

4-تناسق افتتاحية السورة مع خاتمتها في ذكر رسالة القرآن أنها هادية ومبشرة ومنذرة، وحال الناس معها بين مهتد وضال، إذ افتتحت سورة النمل بالقرآن وأفصحت عن رسالته، وأثبتت مصدر تلقيه، وأقامت الحجة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم المنزل عليه، كما أن خاتمتها كانت عودا على بدء، بالأمر بعبادة الله وتلاوة القرآن تبليغا وما يكون نصيب كل واحد منه، فالمؤمن به هدي وبشر، والذي حاد عن طريقه حقت عليه الضلالة، قال البقاعي: «فقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب وتفخيم القرآن، وتقسيم الناس فيه إلى مهتد و ضال إلى أولها»[1] ثم ما جاء أيضا في ثنايا السورة من تفنيد المطاعن التي وجهت إليه.

5- أخذا من تسميتها – والذي سيبحث بعد قليل- وتناسبها مع موضوعها، حيث دلالة القرآن وتناوله لقصتها مع سليمان عليه السلام وما عليه طرائق معايشها من إشارة إلى هداية الله الشاملة للوجود كله، ومنه ما شمل هذا الحيوان.

وبعرض آراء العلماء حول موضوع النمل، فإن اختيار زاوية النظر يفيد كثيرا في تحديد الموضوع الرئيس بدقة، وباستعراض ما يمكن أن يساعد على ذلك من قرائن ودلالات، فإن موضوع سورة النمل رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، وحال المدعوين معها، وذكر المطاعن التي أثيرت حول ما جاءت به من أصول كالتوحيد والنبوة والبعث، وإبطالها بمختلف الأدلة.

وبقي بيان وجه تعلق بعض الأشياء بموضوع السورة، وهو ما سيكون الحديث عنه في المطلب الموالي.

1-المصدر السابق: ج14ص230.

المطلب الثاني: أسماء سورة النمل و علاقتها بموضوعها الرئيس.

ذكر السيوطي في الإتقان أن أسماء السور جميعها ثبتت بالتوقيف من الأحاديث والآثار.[1] والسورة قد يكون لها اسم واحد، و قد يكون لها اسمان فأكثر، و منها سورة النمل التي يذكر لها أكثر من اسم[2].

وأسماء السورة من بين ما يعين المتدبر على استكشاف موضوعها، كما فعل البقاعي في كتابه نظم الدرر عند استخلاصه لمقصود كل سورة بالنظر في اسمها أو أسمائها[3].

وإذا كان الأمر كذلك، أصبح من الواضح استنباط وشائج وعلائق تربط بين اسم السورة وموضوعها، مع الإشارة إلى أن العلماء الذين ذكروا وجه تسمية السور بما سميت به، لم يذكروا ارتباط اسم كل سورة بموضوعها، خاصة الذين اهتموا بالبحث عن مقصودها قبل التعرض لتفسيرها[4].

وعند النظر في ما ذكر من أسماء لسورة النمل ومحاولة ربطها مع موضوعها، يتبين ما يأتي:

1- إن النمل كأمة الأمم تمثل جانبا من الهداية الإلهية التي شملت الكون كله، إنسه و جنه وحيوانه و جماده، وهي هداية هذا الوجود إلى الله عز وجل، بما لهذا النمل –كمثال على ذلك–« من حسن التدبير وسداد المذاهب في العيش ولا سيما ما ذكر عنها سبحانه من صحة القصد في السياسة، وحسن التعبير عن ذلك القصد، و بلاغة التأدية»[5] وهذا بعض ما أبانه القرآن من مظاهر الحكمة الإلهية و العلم الشامل بالموجودات كلها، حيث أورد هذا القصص ضمن آياته، قال تعالى﴿ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠ ﴾طه50.

ثم إن صنيع النملة مع بني جنسها، وهو تحذيرها من حطم سليمان وجنوده لهم دون شعور منهم، يمثل جانب اهتمامها و انشغالها بما يضر و ينفع بني جنسها، فهي تخاف عليهم كخيفتها

1–ص 13من هذه الرسالة.

2–ص14 من هذه الرسالة.

1–ص46 من هذه الرسالة، ففيها كلام البقاعي في هذا الشأن.

4–كالزحيلي و الصابوني و غيرهما.

5–تفسير البقاعي: ج 14ص122.

على نفسها، « إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تنج معه، فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ الإنذار»[1]، ولهذا كانت هداية الله في هذا المخلوق الضعيف بتنبيهها لهم على ما عسى أن يكون فيه هلاكهم، فاستحقت أن تكون بذلك سفيرة بني جنسها، و أدرك سليمان هذه الهداية الربانية في صنيع هذا المخلوق الضعيف، فتوجه إلى الله عز و جل بالشكر و الدعاء، قائلا ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾النمل19، وهذا «يعلمنا أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاة له إلا بنجاتهم، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم، ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وأن لا يكون اهتمامه بهم، دون اهتمامها بهم»[2].

وهذا ينبئ عن أن القرآن غرضه هداية الناس جميعا إلى الله تعالى، وأن من أنزل عليه هذا القرآن هو دليل هذه الهداية، أيده الله بالوحي، وبعثه لحكمة جليلة، هي اهتداؤهم، وتحقيق السلامة لهم، وإرادة الصلاح بهم، وإنقاذهم مما يحدق بهم من أخطار و أهوال، وهذا من حكمة تدبير الله عز وجل لشؤون عباده، وعلمه المطلق بأحوالهم.

2- ما ذكره العلماء أن من أسماء سورة النمل أيضا: سورة سليمان – وهو اسم غير توقيفي–، وسبب هذه التسمية اشتمالها على قصة نبي الله سليمان عليه السلام ابتداء من قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾النمل15، إلى قوله تعالى ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾النمل44، ولهذا الاسم علائق مع موضوع السورة، إذ أن في قصة نبي الله سليمان عليه السلام حلقة منها تمثل جانب الدعوة و الرسالة لهداية من أرسل إليهم إلى الله عز و جل باستخدام ما أتاه الله من صنوف النعم في سبيل ذلك، مع تسجيل موقف

1–ابن باديس: مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ط1، دار الرشيد، الجزائر، 2009/1430 ج2 ص216–217.

2–المرجع السابق: ج2 ص 217.

ملكة سبأ و قومها، بالوقوف على حقيقة هذه الدعوة، ثم إعلان الدخول فيها مستسلمة مع سليمان لله رب العالمين.

3- سميت كذلك بسورة الهدهد، حيث ذكر فيها لفظ الهدهد دون غيرها من السور، وارتباط هذا الاسم بموضوع السورة، يمكن أن يستشف من موقع الهدهد في حلقة رسالة سليمان عليه السلام، إذ كان سفير خير للتعريف بالدعوة إلى قوم سبأ وهدايتهم إلى طريق الله بتوحيده وعبادته، وإنقاذهم من أوحال الضلال و العمه بعبادتهم للشمس والقمر دون الله عز وجل.

وباستعراض علائق أسماء سورة النمل بموضوعها يظهر بوضوح وجود الارتباطات التي تترجم إحكام هذه العلائق، ويلي هذا بسط العلائق التي تربط افتتاحية سورة النمل وخاتمتها، وعلاقة ذلك بموضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث:مناسبة افتتاحية السورة لخاتمتها وعلاقة ذلك بموضوعها الرئيس.

«مذهب العرب في نظم الكلام أن يوازنوا كل الموازنة بين مطلعه ونهايته لأجل أن يستقيم الكلام ولا يخرج أوله عن آخره، ولا آخره عن أوله، وهذا المذهب البلاغي تنبه له قدماء البلاغين كالجاحظ و غيره.

وقد جاء القرآن الكريم على سنن العرب في كلامها في فنونه البديعة، وأفانينه البلاغية البيانية، وكان من ذلك أن يستقيم المعنى في أول السورة وآخرها، بحيث يأخذ أولها برقبة آخرها لأجل أن يظهر الإعجاز القرآني.»[1] الذي«من أسراره مناسبة فواتح السور وخواتيمها»[2].

ولدى التأمل مليا في أول السورة وآخرها، يظهر بجلاء ووضوح كثيرين ارتباط وتناسق تام، وبروز علائق تصل افتتاحية السورة بخاتمتها، وهذه أهمها:

1- جاء التعبير عن الوحي المنزل على النبي صلى الله عليه و سلم بصيغة مباشرة، وهي القرآن، وذلك في قوله تعالى ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ﴾النمل1 ، وقوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾النمل6، وهذا في بداية السورة، كما جاء التعبير عنه في آخرها بالصيغة نفسها، في قوله تعالى﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾النمل92، ، مما يدل على تجانس بين افتتاحية السورة وخاتمتها، فبيان مصدر تلقى هذا القرآن في بداية السورة، والأمر بتلاوته في آخرها وختامها.

2- بداية السورة خطاب النبي صلى الله عليه وسلم لبيان مصدر تلقي الوحي الإلهي، مما يستشف منه التكليف بالرسالة، وبالتالي صدق دعواه فيما يقوله عن ربه عز وجل وأن مهمته صلى الله عليه وسلم تبليغها للناس جميعا، وهذا الخطاب في قوله تعالى ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾النمل6، وفي نهاية السورة أعاد ذكر هذا الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم بالأمر بالتلاوة تبليغا، في قوله تعالى﴿وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾النمل92، وهو من لوازم التكليف بالرسالة.

1-محمد المطني:سورة القصص، دراسة تحليلية، ص26بتصرف.

2-الزركشي:البرهان، ج1ص185.

3- جاء في بداية السورة ذكر الجزاء على الأعمال، فالهدى والبشرى للمؤمنين والضلال والخسار للكافرين[1]، وهذا في قوله تعالى ﴿هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾النمل2، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾النمل4، وفي ختام السورة أعيد ذكر الجزاء للفريقين، وذلك في قوله تعالى﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾النمل89-90.

4- وردت كلمة(ءَايَـٰتِ) في افتتاحية السورة في قوله تعالى﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ﴾النمل1، كما جاء ذكرها في ختام السورة أيضا، في قوله تعالى﴿سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾النمل93، مضافة إلى الله عز وجل و هو من باب علاقة الجزء،أي آيات القرآن بالكل أي آيات الله عز وجل.

5- جاء في بعض التفاسير في بيان الحروف المقطعة أنها اسم للسورة، وهو ما يعني أن افتتاحية سورة النمل ابتدأت بذكر جزء من القرآن، وهو ذكر السورة منه، وفي ختامها ذكر القرآن كلام الله عز وجل بما يحويه من السور في قوله تعالى ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ﴾النمل92، وهو ارتباط الجزء أي السورة، بالكل أي القرآن الكريم.

6- استهلال السورة بحرفين من الحروف التهجي– طاء و سين– و هي ما يدل – عند الأخذ بقول من يقول إنها مما استأثر الله بعلمه[2] على إحاطة علم الله بكل شيء، و في نهاية السورة التذكير بهذا العلم الإلهي الشامل، و الإحاطة بكل شيء في قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ النمل 93.

7- ورد في افتتاحية السورة الكلام على صفات المؤمنين المهتدين بالقرآن، أنهم يقيمون الصلاة وهي فريضة بدنية، ويؤتون الزكاة وهي فريضة مالية، و هذان الركنان أعظم أركان الإسلام، و من أهم مراتب العبادة عموما، بأمر النبي صلى الله عليه وسلم بها في قوله تعالى﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ النمل91، والعبـــادة[3]

1-ينظر:محمد الغزالي،نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم:[د.ط]، دار بغداد للطباعة، الرويبة-الجزائر،2000،ص298.

2-سيأتي بيانه قريبا في بحث تفسير الحروف المقطعة.

3- كما جاء في كتاب: العبودية لابن تيمية، تحقيق: علي حسن عبد الحميد، ط3، دار الأصالة، الإسماعلية، مصر، 1419/ 1999،ص19.

بمفهومها الشامل تتناول كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الباطنة والظاهرة.

8- ذكر ألفاظ الهداية و العمه في افتتاحية السورة (هدى-يعمهون)، وكذا في اختتام السورة أعيدت هذه الألفاظ (اهتدى- يهتدي- ضل)، وهذا ما يؤكد ارتباط أول سورة بآخرها.

و بهذا يتضح أن أول السورة مرتبط كل الارتباط مع آخرها،«بما يجعل ما داخل السورة وحدة متكاملة في مبناها و معناها، وهو بعض أوجه، الإعجاز القرآني»[1]

أما علاقة ذلك بموضوع سورة النمل، فيمكن أن يقال:

إن من بين أوجه إعجاز القرآن في مجال السورة، تناسب أولها مع آخرها، وهذا ما تم الوقوف عليه قريبا.

وهذا التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها يؤسس لعلائق ووشائج بينه وبين موضوع السورة، تجعل الكلام كله ينساب في النهاية نحو وحدة واحدة متكاملة.

والناظر في أول سورة النمل وآخرها بتمعن وروية، وارتباط كل ذلك مع موضوعها، يلاحظ تلك العلائق جيدا، إذ أن افتتاحية سورة النمل عموما أفصحت عن رسالة القرآن أنها هادية ومبشرة لمن سلك طريقها، قال تعالى ﴿ **هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ النمل2، لكن من ركب رأسه وتنكب الطريق، فهو في عمه لا نهاية له منه، وقد زينت له أعماله، فتاه وضل، قال تعالى ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ** ﴾ النمل4 و هذا إنذار له من الله عز وجل.

كما أن ختام سورة النمل عود على بدء، إذ أعادت ذكر القرآن ورسالته، أنها هادية لمن تبع سبيلها، واقتفى أثرها، قال تعالى ﴿ **وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ** ﴾ النمل92.

1-محمد المطني:سورة القصص، دراسة تحليلية، ص30.

أما من أخطأ الطريق، وانحرف عن السبيل فقد ضل ضلالا مبينا، قال تعالى ﴿ **وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ** ﴾ النمل92، وما الرسول إلا مبلغ عن ربه عز وجل.

و بهذا يتضح جليا علاقة افتتاحية السورة وخاتمتها بموضوعها، و الله أعلم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الرابع: أجواء نزول سورة النمل.

سورة النمل من القرآن النازل بمكة، والحديث عن أجواء نزولها في صميم الإحاطة بما هو واقع أثناء ذلك من أحداث.

إن الفترة الزمنية التي نزلت فيها سورة النمل تنبئ عن أحوال شتى، من ذلك طروء الشرك بالله عز وجل على عقيدة أهل مكة، إذ « فشا فيهم الجهل وانطلت عليهم حيل الشيطان، فانزلقوا إلى الوثنية شيئا فشيئا، حتى غدت مكونا رئيسيا من مكونات عقيدتهم، و موجها حاسما من موجهات حياتهم»[1] «و بهذا الصنيع الشنيع اقتفى العرب أثر الأمم السابقة في تنكبها طريق الله المستقيم»[2] و هو ما تصوره السورة من حالة العمه التي يتخبط فيها المشركون، و يظهر ذلك مثلا في تعجبهم من دعوة التوحيد، قال تعالى ﴿ أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ ص5، ثم ما توجه إليه أنظارهم إلى التفكير في حقيقة ما يخترعون من الشريك مع الله عز وجل بالتأمل في الآيات المبثوثة في أرجاء الكون الفسيح، فتحصل لهم الهداية.

كما كان إنكار البعث والرجوع إلى الله بعد الموت حاضرا في عقيدتهم بقوة، إذ حكى القرآن عنهم ذلك في مواضع عديدة، ومنها ما ورد في سورة النمل، قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ النمل67-68، وقال تعالى ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾الجاثية24، وهذا ما جعلهم يعيشون في جاهلية عمياء، وفوضى من الحياة.

ثم إن من دأبهم الذي ساروا عليه تغيبهم للعقل و التفكير فيما يطرح عليهم، وجمودهم على تقليد الآباء، و تبعيتهم لهم، واقتفاء أثرهم رغم وضوح الدلائل، فجعلوا الإعادة بعد الموت مثلا أمرا مستحيلا، لا تستسيغه عقولهم، فقالوا ﴿ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴾النمل67،

1-الطيب برغوث: منهج النبي صلى الله عليه وسلم في حماية الدعوة وحماية منجزاتها، ص167.

2-المرجع نفسه: ص168.

ولذلك جاء في أثناء السورة ما يرشد إلى توظيف نعمة العقل في ما وضع له، للوقوف على الحقائق بإيمان راسخ، و يقين ثابت،وهذا في معرض طرح الأدلة على و حدانية الله عز وجل، و نفي الشركاء عنه.

ثم إن أحوال الرسالة تنم عن وضع لا يحسد عليه، إذ أن استقبال الذين كفروا لها منذ البداية كان بأنواع من التكذيب والصد،وكيل سيل من الاتهامات للقرآن و من أتى به، وهذه الردود منهم تعبر عن نفسية مستعلية بالباطل، ورافضة لكل دعوات الحق والخير، من اتهام القرآن بأنه سحر، كما قال المشركون للنبي صلى الله عليه و سلم«يا محمد، إنا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾الأنعام33. »[1].

وكثرت شبهات المشركين وأباطيلهم و تنوعت أشكالها، ووقفوا من الرسالة وصاحبها موقف الجحود و الإنكار، فكان من ضمن ما تناولته سورة النمل، وما حوته آياتها، «متابعة معالجة كبراء مشركي مكة وما حولها ويلحق بهم أتباعهم وفق الطور الذي كانوا فيه إبان نزول سورة النمل كفرا وتصرفات جدلية وكيدية»[2] بالرد على باطلهم وتلقينهم الحجة، بـ«بيانات دينية ترهيبية، وإقناعات جدلية بشأن توحيد الربوبية و الإلهية لله عز وجل و إقناعات تتعلق بالإيمان بالآخرة»[3]، كما جاء ذلك في الآيات:59-65-71-72 من السورة.

وإن من أحوال الرسالة ما كان عليه الرسول صلى الله عليه و سلم من اجتهاد دءوب و لتبليغ دعوته، مع ما يحز في نفسه صلى الله عليه و سلم الشريفة من مظاهر الضيق والحزن على تكذيبهم وإعراضهم، فكان من آيات سورة النمل ما نزل لـ« متابعة تربية الرسول صلى الله عليه وسلم ومنها أن يصرف عن نفسه بقايا حزنه من أجل الذين يحرص على إيمانهم من قومه، ولا سيما عشيرته

1-عبد الرحمن محمد عثمان:تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي،حديث رقم 5058، ج8ص437.

2-تفسير الميداني: ج9ص19.

3-المرجع نفسه: ج9 ص19.

الأقربون لإنقاذهم من عذاب الله» [2،1]، برغم الدلائل و البراهين الواضحة كشمس النهار، قال تعالى ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾النمل70.

و لم يكن أتباع النبي صلى الله عليه و سلم بمنأى عما يحدث له، فكانت صور الأذى تلاحقهم في أجسادهم وأهليهم و أموالهم، حتى يرتلوا عن دينهم و يكفروا بعد إسلامهم[3] ، فكان من آيات السورة ما نزل لـ«تثبيت المؤمنين على إيمانهم والانتفاع بالقرآن الذي هو هدى وبشرى ورحمة لهم، وعلى الالتزام بإقامة الصلاة و إيتاء الزكاة»[4]، قال تعالى ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ۝١ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾النمل 1-3، وقال تعالى﴿وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾النمل77.[5]

ومع كل هذا فإن هذه المحن كانت تحمل في طياتها منحا إلهية، « فكم لله من منة في طي المكاره»[6] وسلعة الله غالية، لابد لها من ثمن، فكانت البشائر تنزل في هذه الظروف، تعين على الصبر والجلد، وتؤكد النهاية المفرحة للحق وأهله، وأن الباطل وأهله مآلهم إلى زوال، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ۝١٧١ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ۝١٧٣﴾الصافات171-173.

وهكذا فإن الوقوف على أجواء النزول لسورة النمل يساعد في تفهم أدق للسورة.

1-المرجع السابق: ج9ص19.

2-ينظر: المرجع نفسه، ج9 ص19وما بعدها.

3-كما في قصة الخباب عند البخاري:صحيح البخاري،كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي صلى الله عليه و سلم و أصحابه من المشركين، حديث رقم 2852،ص694.

4-تفسير الميداني: ج9 ص19-20.

5-ينظر: المرجع نفسه، ج9 ص 20-21.

6-محمد الراوي: كلمة الحق في القرآن: موردها ودلالتها، ط1، الرياض- السعودية، 1415هـ/1995م، ج 1المقدمة (و).

إن لكل سورة في القرآن شخصيتها وكيانها، وهي تعبر عن محور واحد يتناولها كلها، ومنها سورة النمل، و لذلك قد تم استعراض آراء العلماء حول محورها، والوقوف عليه بما ترشده إليه القرائن والدلائل، مع ذكر أمور لها وجوه ارتباط معه، كأسماء السورة و مناسبة افتتاحيتها لخاتمتها، إضافة إلى أجواء نزولها، للتعرف على سورة النمل عن قرب، في محاولة للإحاطة بها من جوانب عديدة، و تفهم معانيها، و هو ما يحيل إلى دراسة مقاطعها، ووجوه المناسبات المختلفة فيها مع الفصول الآتية.

خلاصة الفصل التمهيدي:

سورة النمل من القرآن النازل بمكة، قد تسمت بمسميات عديدة–منها سورة النمل، وهو الاسم التوقيفي– وذلك لشرفها وعلو منزلتها، وهي من صنف المئين، نزلت عقب الشعراء وقبل القصص، وترتبط هذه السور الثلاث بروابط وعلائق عديدة، تشد بعضها إلى بعض.

وقد حوت سورة النمل ميزات وخصائص تمتاز بها عن غيرها من السور الأخرى، كما أنها شملت مقاصد وأغراض عديدة، تصب كلها في محور واحد.

وقد كانت آراء للعلماء حول محورها استعرضت في هذا الإطار، لتحديده والوقوف عليه، بقرائن ودلائل ترشد إليه، مع بعض الأمور التي لها تعلق به من قريب، وهذا لتكامل الدراسة حول هذه السورة.

وبعد الفراغ من الفصل التمهيدي الذي كانت فيه حوصلة لسورة النمل من حيث التعريف بها والوقوف على موضوعها الرئيس، يأتي الحديث على السورة موضوعيا[1]، بدراسة مقاطعها والوقوف على وجوه المناسبات المختلفة، وهو ما سيكون في الفصول الآتية.

1–أي:التفسير الموضوعي الكشفي، والذي يجعل فيه « الباحث السورة القرآنية وحدة متكاملة،هدفها واحد رغم تعدد موضوعاتها. صونيا وافق:دروس في التفسير الموضوعي،ط1،مكتبة اقرأ، قسنطينة–الجزائر،1426هـ/2006م،ج1ص32.

الفصل الأول

افتتاحية سورة النمل

من الآية الأولى إلى الآية السادسة (1-6).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

في هذا الفصل وما يليه من الفصول القادمة، استعراض تفصيلي لسورة النمل، بمحاولة الوقوف على ما حوته من قضايا عديدة، وتناول وجوه المناسبات المختلفة المتعلقة بها.

المبحث الأول: ويتناول رسالة القرءان الكريم، ومصدرية تلقيه.

المبحث الثاني: ويتناول الجوانب التناسبية المختلفة المتعلقة بهذا المقطع الأول من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
رسالة القرءان الكريم ومصدر تلقيه.

تمهيد:

افتتحت سورة النمل بالحديث عن القرآن الكريم، وأوضحت مصدرية تلقيه، وهذا المقطع سيكون متضمنا لما يأتي من المطالب:

المطلب الأول:رسالة القرآن الكريم.

المطلب الثاني:مصدرية تلقيه.

المطلب الثالث:اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: رسالة القرآن الكريم.

افتتح[1] الله عز و جل سورة النمل بالأحرف المقطعة، فقال تعالى(**طسّ**) النمل1، وهذا الافتتاح شأن بعض سور القرءان الكريم الذي«جاءت افتتاحيات سورهز على ألوان شتى من أساليب العربية و البيان.» [2]

والافتتاح بالأحرف المقطعة«نوع من المعجزات، و قد تفرد به القرءان الكريم، ولم يسمع قبل التاريخ أن أحدا حكاه أو قدر على ذلك»[3] وهذا بعض ما يشير إلى مصدر تلقيه،و هو الله تعالى.

وقد وقعت هذه الأحرف المقطعة في أوائل تسع وعشرين سورة، بمجموع أربعة عشر حرفا، وهي نصف حروف الهجاء، و قد جاءت أكثر السور المكية مفتتحة بها[4].

وقد اختلف العلماء حول معاني هذه الأحرف المقطعة على رأيين اثنين:[5]

الرأي الأول:

يذهب أصحابه إلى اعتبارها من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه، فلا يجوز التكلم عليها، أو الخوض فيها، و لكن نؤمن بها، ونقرأها كما جاءت. وممن قال بهذا الرأي : أبو بكر الصديق[6]، وعثمان، وعلي، وعبد الله ابن مسعود، وعبد الله ابن عباس في إحدى رواياتـه[7]، وعامـر الشعـبي[8]،

1-ينظر باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

-أبو زرعة:حجة القراءات،تحقيق: سعيد الأفغاني، ط5،مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997/1418 ،ص 522.

-أحمد البنا: اتحاف فضلاء البشر، تحقيق: شعبان محمد إسماعيل، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1987/1407، ج2ص 323.

-محمد الهرري: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ،ج20ص378.

-ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ط3، دار الشروق، بيروت- لبنان، 1979/1399، ص 269.

2-عبد القادر منصور: موسوعة علوم القرءان، ط1، دار القلم العربي، سوريا، 2002/1422، ص 260.

3-المرجع نفسه، ص 267.

4-ينظر: تفسير الزمخشري: ج1ص138-139.

5- ينظر: عبد الله الجوالي: سورة النمل، دراسة وتحليل، ص32 وما بعدها.

6-قال أبو بكر الصديق: في كل كتاب سر،وسره في القرآن أوائل السو ر.مصطفى ديب البغا:الواضح في علوم القرآن، ص 136.

7-ويروى عن ابن عباس أنه قال:عجزت العلماء عز إدراكها،وعن على أنه قال:إن لكل كتاب صفوة و صفوة هذا الكتاب حروف التهجي.محمد سيد طنطاو ي:التفسير الوسيط،ج1ص11،من موقع المكتبة الشاملة:www.shamela.ws .

8-عامر بن شراحيل الشعبي أبو عمرو،عالم من التابعين،مات104هـ.محمود مصطفى: إعجام الأعلام،ط1،دارالكتب العلمية،بيروت-لبنان،1403هـ/1983م، ص136.

والثوري[1]، وجماعة من المحدثين، ومن المعاصرين: ابن عاشور.[2]

الرأي الثاني:

يرى بأن الحروف المقطعة«يجب أن يتكلم فيها وتلتمس الفوائد التي تحتها، و المعاني التي تتخرج عليها»[3] وذكروا فيها أوجها عديدة، منها : أنها اسم الله الأعظم، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها، و قيل إنها اسم للسورة، و قيل أنها اسم من أسماء القرآن، وقيل أنها قسم أقسم الله به، و هو من أسمائه.[4،5].

و لعل الرأي الأول أولى بالقبول، والقول به أسلم « لأنه لا يمكن القطع بمعانيها، لعدم ورود نص يبين معنى هذه الحروف المقطعة و إنها من قبيل المتشابه، ثم إن العلم بمعانيها لا يفيدنا بشيء، و لا يتوقف على العلم بها إقامة العبادة لله »[6،7].

و هذه الحروف المقطعة تشير من ناحية الإعجاز « إلى أن القرآن الكريم مركب من هذه

1-سفيان بن سعيد الثوري،أبو عبد الله الكوفي،عالم من التابعين،مات161هـ.ابن خلكان:وفيات الأعيان،تحقيق:إحسان عباس، [د.ط]، دار صادر،بيروت-لبنان،1969م، مج2ص391 وما بعدها.

2-تفسير ابن عاشور:ج1ص206.

3-ابن عطية الأندلسي:المحرر الوجيز،تحقيق:عبد السلام محمد،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت لبنان،1422 هـ/2001م ،ج4ص82.

4-ينظر:

-ابن جرير الطبرى: جامع البيان، تحقيق: عبد الله التركي، ط1، دار هجر، الجيزة- مصر،1422هـ/2001م،ج1 ص204.

- تفسير القرطبي:ج1ص237، و ما بعدها.

- تفسير أبي حيان الأندلسي: ج1ص 237و ما بعدها.

- تفسير ابن كثير: ج1ص250و ما بعدها.

- الزركشي:البرهان، ج1ص172-173.

-السيوطى:الإتقان، ج4ص1872و ما بعدها.

-ابن الجوزي :زاد المسير، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1404هـ/1984م،ج1ص20 وما بعدها.

-الرازي: تفسير الفخر الرازي، ط1، دار الفكر، [د.م]، 1981/1401، ج2ص3-9

-الثعالبي:تفسير الثعالبي، تحقيق:على محمد عوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، 1997/1418، ج1ص180و ما بعدها.

5-لكلا الرأيين أدلة توافق ما ذهب إليه كل فريق، لم تورد هنا خشية الإطالة.

6-محمدالمطني:سورة القصص،دراسة تحليلية، ص36.

7-رجح هذا الرأي علماء، منهم الألوسي،القرطبي، السيوطي، الشاطبي، ابن عاشور، المطنى، و غيرهم.

الأحرف وأمثالها، وهي مبنى كلام العرب و بيانها، ومع ذلك فقد عجزوا عن الإتيان بمثل سورة من سور هذا القرآن، مما يؤكد إعجازه، وأنه لا ينبغي أن يكون كلام بشر.»[1]

والحكمة من إيراد هذه الحروف المقطعة أوائل السور كثيرة يمكن الاقتصار على ما يأتي:

1-أن ذلك فيه مزيد تفنن في أساليب الكلام لا عهد للناس به، ليدل على شأنه، وسمو بيانه، وأنه تنزيل من حكيم حميد.

2-«ذكرت بيانا لإعجاز القرءان، و أن الخلق عاجزون عن معارضته بمثل هذا، مع أنه مركب من الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها .»[2]

هذا، وشأن القرآن العظيم رفيع، وعظمته باهرة، أشير إلى آيات السورة منه باسم الإشارة البعيد، دلالة على هذا التعظيم، وعلو الشأن،﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾النمل1،«فهي آيات القرآن المعجز في بيانه، الساطع في برهانه»[3] وآيات كتاب«بين في نفسه أنه من عند الله »[4]، لا يستطاع محاكاته ولو بآية، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا، «وبين واضح ومحيط بكل شيء من أقضية الحياة، وحركتها من أوامر ونواه»[5]، قد أفصح عن منهجه القويم، وحدد سبيله المستقيم، وكشف عن دعوته الهادية، وليس شيء له تعلق بدين الناس ودنياهم وأخراهم، إلا وقد بينت معالمه، ووضحت حدوده، قال تعالى﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾الأنعام38.

والقرآن كتاب هداية إلى الله عز وجل بالدرجة الأولى، أنزله الله لهداية الذين آمنوا وعملوا الصالحات إلى الطريق المستقيم، قال تعالى﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾البقرة 01، وقال تعالى﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ الإسراء9، بل آياته تزيدهم هدى على هداهم، كما قال تعالى﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ التوبة124[6] و تبشرهم في الحياتين الدنيا والآخرة.

1-موسى إبراهيم الإبراهيمي:بحوث منهجية في علوم القرآن، ص227.

2-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرءان الكريم، ج 5 ص 421 بتصرف.

3-تفسير الصابوني: ج 2ص 401.

4-تفسير البقاعي: ج14ص123.

5-محمد متولي الشعراوي: تفسير الشعراوي،[د.ط]،[د.ن]،[د.م]،[د.ت]،ص10729.

6-الزحيلي: التفسير المنير، ج19ص 257.

ولا ينتفع بهذا القرآن إلا من كان مؤمنا، فيكون له شفاء لما في قلبه من شرك ونفاق وشك وزيغ و هو له رحمة يحصل فيها الإيمان و الحكمة، وطلب الخير و الرغبة فيه، وليس هذا إلا لمن آمن به و صدقه، واتبع هداه فإنه يكون شفاء في حقه ورحمة.[1]

وهؤلاء الذين يهديهم القرآن ويبشرهم هم المؤمنون، الذين يظهر أثر إيمانهم في سلوكهم«فهم حريصون كل الحرص على إقامة الصلاة التي هي أول حق من حقوق الله»[2] والإتيان بها على أكمل الوجوه، بأركانها وشروطها، مع الخشوع لله والرهبة منه، قال تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ المؤمنون1، فالصلاة عنوان التذلل بين يدي الله تعالى، ومفتاح الصلة به عز وجل، وهي«سبب للرزق وذهاب الأسقام والأوجاع، يقول سبحانه﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ طه132.»[3،4].

ومن صفاتهم أيضا إيتاء الزكاة المفروضة، مما تحت أيديهم، تطهيرا لأنفسهم وأموالهم، و« هي أول حق من حقوق العباد»[5]، وهذا إحسان «فيما بينهم وبين الخلائق»[6].

وهؤلاء المؤمنون المقيمون للصلاة والموتون للزكاة، زيادة على خضوعهم واستسلامهم لله عز وجل، هم بالآخرة يوقنون، وهو الأصل الباعث على التزامهم وطاعتهم،فـ« الخوف من الله يغمر قلوبهم ونفوسهم...وهم الذين تتفتح قلوبهم للقرآن، فإذا هو هدى و بشرى، وإذا هو نور في

1-ينظر:مصطفى مسلم،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 423.

2-محمد المكي الناصري:التيسير في أحاديث التفسير،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت- لبنان، 1405/ 1985م،ج4 ص411.

3-مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، 52ص 424.

4- قدمت الصلاة على الزكاة، للاعتناء بشأنها، جاء في قواعد التفسير: «العرب لا يقدمون إلا ما يعتنون به غالبا» خالد السبت، قواعد التفسير، ج1، ص380.

5-محمد المكي الناصرى:التيسير في أحاديث التفسير، ج4 ص 411.

6-تفسير البقاعي: ج14 ص 126 بتصرف.

أرواحهم، ودفعة في دمائهم، و حركة في حياتهم، وإذا هو زادهم الذي يبلغون، ريهم الذي به يشتفون»[1].

ثم تمضى الآيات الكريمة تذكر خبر الفريق الآخر، الذي أنكر الآخرة، و استبعد الرجوع إلى الله عز وجل بعد الموت، فهو مكذب بها، و بمن جاء ينذره بوقوعها، فكيف حاله يا ترى؟ لقد ﴿ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴾ النمل4، أي «حببنا إليهم قبيح أعمالهم، و سهلنا ذلك عليهم»[2]، فرأوها حسنة، و هذا جزاء تكذيبهم بلقاء الله عز وجل، « فهم يتحيرون ولا يهتدون إلى طريق مستقيم»[3]، وهم يعمهون[4] في أودية الضلال، «قد انقلبت عليهم الحقائق، فرأوا الباطل حقا، والحق باطلا"[5]، فهم ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ الكهف104، و أصبحت الدنيا محط أنظارهم، و نهاية آمالهم، لايرجون حسابا، ولا يخافون عقابا، لذلك استحقوا أشد العذاب، وأسوأه، وأعظمه، وأقبحه، في الدنيا « بالقتل والأسر والتشريد»[6]، وفي الآخرة هم أخسر الناس، بخسارتهم أنفسهم وأهليهم، قد حرموا النعيم، وصاروا إلى عذاب مستمر لا ينقطع عنهم طرفة عين،﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة 16.

1-تفسير سيد قطب: ج 5 ص2627 بتصرف.

2-تفسيرالطبرى: ج14 ص 07.

3-ابن أبي الربيع الأشبيلي : تفسير القرآن،[د،ط]، تحقيق : صالحة بنت راشد غنيم، [د،ن]، السعودية، 1411هـ، ج2 ص 125.

4-العمه: شدة التحير و التردد، وهو يكون في الرأي لا يدرى العامه ما يفعل، لاستغلاق الأمر عليه. ابن أبي الربيع الأشبيلي: المصدر نفسه، ج2 ص 125.

5-عبد الرحمن السعدي: تفسير الكريم الرحمن، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1423هـ/2002، ص 601.

6-تفسير الصابونى: ج2 ص 402.

المطلب الثاني: مصدرية تلقي القرآن الكريم.

جاء في تفسير غريب القرآن« ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل 6، أي يلقى عليك فتلقاه أنت، أي تأخذه»[1].

هذه الآية الكريمة هي تأكيد لما ورد في قوله تعالى ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾الشعراء 210-211، و التي نفت أي تلبس للشياطين بالقرآن، أو أن يكون شعرا، كما في آية أخرى ﴿وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ يس 69-70، إذ فيها تحقيق مصدرية تلقيه، و«أنه وحي»[2،3] من عند الله، فجاء التصريح بالقرآن « ليكون ذلك حجة على الرسالة و تأييدا لما تقدم من المعارف، و لصحة ما سيذكره من قصص الأنبياء عليهم السلام»[4]، وأن النبي صلى الله عليه و سلم تلقاه من لدنه، وليس له فيه إلاالتبليغ، بالتبشير و الإنذار، و جاءت المؤكدات من: إن، و اللام جوابا للقسم في ﴿لَتُلَقَّى﴾، تفيد الرد على من زعموا أن القرآن من تأليف النبي صلى الله عليه و سلم، « فهو بعيد جدا فيما ادعوه فيه من نأه كلام الخلق الذي لا علم لهم ولا حكمة إلا ما أتاهم الله، ومصداق ذلك عجز جميع الخلق عن الإتيان بشيء مثله، وإدراك شيء من مغازيه حق إدراكه»[5].

---

1 -ابن قتيبة: تفسير غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، [د،ط]، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1978/1398، ص 323.

2-الوحي: تأتي كلمة الوحي في اللغة لمعاني الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام الخفي... .ابن منظور: لسان العرب، مج6ج51ص4787.

أما اصطلاحا: ما يوحي به الله تعالى من كلماته الصادقة في أخبارها، العادلة في أحكامها، بطريق من طرق الوحي إلى من يصطفي من الناس.أبو بكر جابر الجزائري: عقيدة المؤمن، ص164.

3-تفسير بيوض إبراهيم بن عمر: ج8 ص15 بتصرف.

4-تفسير الطبطبائي: ج19ص342.

5-تفسير البقاعي: ج14ص129.

بل هذا القرآن الكريم هو «دليل صدق النبي صلى الله عليه و سلم، إذ أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، و لم يعلمه معلم، فمن أين له ذلك، فحتما أن يكون من لدن حكيم[1] عليم»[2]، حيث«تتجلى حكمته وعلمه[3] في هذا القرآن في منهجه وتكاليفه وتوجيهاته وطريقته، وفي تنزيله في إبانه، و في توالي أجزائه، وتناسق موضوعاته»[4] ، و في إعجازه من كل وجه، في كله أو في بعضه، أو في سورة منه.

« والغرض من خطاب الرسول محمد صلى الله عليه و سلم بهذا البيان مع علمه به، إعلام الكافرين المكذبين بأسلوب غير مباشر، لأنهم معرضون عن استماع القرآن بإقبال و مواجهة، فاقتضت الحكمة الإلهية الإعراض عنهم بالخطاب، مع إسماعهم هذا البيان عن القرآن و هم معرضون»[5] .

إن هذا القرآن الموحى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم من لدن حكيم عليم – لو يعلمون–«كل ما فيه حق وهدى وخير، وأحكامه هي أفضل الأحكام وأحسنها، وصياغته هي أتقن الصياغات وأحكمها وأسماها»[6]، فلو تدبرها من جحده وأنكره، لما تقول الأباطيل عليه، وما اختلق الافتراءات حوله.

1-الحكيم من أسماء الله الحسنى، و معناه المحق في تدبيره، اللطيف في تقديره الخبير بحقائق الأمور العليم بحكمه المقدور فجميع ما خلقه وقضاه خير و حكمة و عدل. أشرف أبو الذهب:المعجم الإسلامي، ص230.=

=و قد ورد ذكر الحكيم في القرآن أكثر من 90مرة، و المسلمون يجمعون على أنه تعالى حكيم، و له الحكمة البالغة. محمد ربيع هادى المدخلي:الحكمة و التعليل في أفعال الله تعالى، ط1، مكتبة لينة،دمنهور،1409هـ/1988،ص

2-مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ج5ص426.

3-العليم: من أسماء الله الحسنى، و معناه الذي يعلم تفاصيل الأمور، و حقائق الأشياء، و خفايا الضمائر و النفوس لا يعزب عن ملكه مثقال ذرة، فعلمه محيط بجميع الأشياء . أشرف أبو الذهب: المعجم الإسلامي، ص420.

4-تفسير سيد قطب:ج5ص2628.

5-تفسير الميداني:ج9ص 35-36.

6-المرجع نفسه: مج9 ص 35.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة:

يحوي هذا المقطع القرآني من سورة النمل لطائف عديدة، يمكن استنباطها كما يأتي:

1- سورة النمل من بين السور المفتتحة بالأحرف المقطعة، في قوله تعالى ﴿طسٓ﴾، وهي تشير إلى علم الله المحيط بكل شيء، و اختصت السورة بما افتتحت به لحكمة إلهية، وهي حروف التحدي و الإعجاز[1].

2- بيان افتتاحية سورة النمل عظمة القرآن، وسمو منزلته، وأن رسالته هادية ومبشرة ومنذرة، قال تعالى﴿ طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢ ﴾ النمل2/1.

3- هداية القرآن لمن آمن إلى صراط مستقيم، وبشارة بثواب الله والجنة، قال تعالى﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ النمل2.

4- الإشارات القوية ببشارة النصر والتمكين، في ظل الظروف العصيبة للدعوة التي صاحبت نزول السورة، وهي منحة إلهية في قالب محنة، مع ما ورد بعد ذلك من قصص للتأكيد باندحار راية الكفر والاستكبار، والنصر والتمكين للفئة المؤمنة، ولو بعد حين.

5- «أهمية الصلاة والزكاة في الإسلام، وأن من لا يؤدي تلك الفريضة، فلا حظ له في الإسلام»[2].

6- من أعرض عن القرآن، وحاد عن طريقه فهو في أودية الضلال يتردد، وله معيشة ضنك، وحشر يوم القيامة أعمى، وكان أخسر الناس.

1-الإعجاز لغة: يدور حول معاني الضعف، قال ابن فارس: «العين والجيم و الزاي أصلان صحيحان، يدل أهمهما على الضعف و الآخر على مؤخر الشيء فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف، و قولهم:إن العجز نقيض العزم، فمن هذا لأنه يضعف رأيه» ابن فارس:معجم مقاييس اللغة: (مادة عجز)، ج4ص232.

ينظر أيضا: – ابن منظور:لسان العرب، (مادة عجز)، مج2 ج 32 ص 2816.

–الفيروز أبادي: القاموس المحيط، (مادة عجز)، ج2 ص 179.

والمعجزة اصطلاحا: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة.السيوطي: الإتقان، ج4ص 1873.

و الإعجاز القرآني: « إثباته عجز البشر عن الإتيان بمثيله أو بمثل بعضه في ألفاظه و معانيه». عبد الله الجديع: المقدمات الأساسية في علوم القرآن، ط1، نشر مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا، 2001/1422، ص 14.

و لم تكن كلمة إعجاز أو معجزة شائعة في الاستعمال، و إنما جاءت بأسماء أخرى كالآية و البينة.ينظر:صالح بن أحمد رضا، الإعجاز العلمي في السنة النبوية، [د.ط]، مكتبة العبيكان، السعودية، [د.ت]، مج1ص 19/18.

2–مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5 ص 426.

7-ختام مقدمة المقطع الأول للسورة أبلغ رد حول مصدرية القرآن الكريم، حيث أثبتت أنه تنزيل من عند الله الحكيم بتدبير خلقه، العليم بأحوالهم و بما يصلحهم، قال تعالى﴿ **وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ** ﴾ النمل6.

8- من أصول الإيمان التصديق باليوم الآخر، وما فيه من الجزاء والعقاب، وهو أعظم باعث على القيام بالمأمور واجتناب المحظور، قال تعالى﴿ **ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** ﴾ النمل3.

9- من نواحي الإعجاز[1،2] التي تضمنها المقطع القرآني الأول في السورة، ما يقتصر على ذكره لعدم التطويل:

أ-إعجاز بياني: في الحرف والكلمة و الجملة، ففي الكلمة مثلا قوله تعالى: ﴿**زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ**﴾ النمل4، حيث قال **(يعلمون)**، ولم يقل (يفعلون)، والفرق دقيق، إذ أن لفظ "عمل" يستعمل لما يمتد زمانه، ولفظ "الفعل" بعكس ذلك، فهو لما يكون دفعة واحدة، قال تعالى: ﴿ **وَعَمِلُوا**

1- «الكلام على نواحي الإعجاز أو وجوهه، هو من فروض الكفايات، لقوله تعالى ﴿**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**﴾ محمد24، و الغرض الاهتداء إلى الحق، ومجانبة الباطل ». كمال الدين عبد الغني المرسي: فواصل الآيات القرآنية، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، 1420هـ/1999م، ص90-91 بتصرف.

ووجوه الإعجاز للقرآن كثيرة تستعصى على العد، وترجع في النهاية إلى أربعة أصول:«بلاغته و أسلوبه الخارجة عن طوق البشر، و إخباره بالمغيبات مما كان أو يكون، و جمعه لما يرتبط بمصالح الدين و الدنيا على وجه يفوق مقدور البشر عادة وغزارة علومه، و احتوائه على دقائق علمية لم تنكشف إلا بعد قرون متطاولة من نزوله.»علي النيفر:إعجاز القرآن،المجلة الزيتونية ،عدد57،المطبعة التونسية نهج سوق البلاط، تونس، 1359هـ/1940م، مج4، ص79.

و«الإعجاز البياني هو الأصل في وجوه الإعجاز كلها، والموجود في كل سورة من سور القرآن، و ما عداه يرجع إليه». سامي محمد هشام حريز: نظرات من الإعجاز البياني، ط1، دار الشروق، عمان- الأردن، 2006، ص33 بتصرف.

2- ينظر - الزركشي:البرهان، ج2 ص 91 و ما بعدها.

- تفسير القرطبي:ج1 ص116 و ما بعدها.

- الشاطبي: الموافقات، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1417هـ/1997م، ج4 ص 144.

- السيوطى:الإتقان، ج4 ص 1879 و ما بعدها.

ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ العصر3 وهذا يكون في فترات طويلة، وقال تعالى:﴿ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصۡحَٰبِ ٱلۡفِيلِ ﴾ الفيل 1، وقد كان دفعة واحدة.

والعمل يكون من الحيوان بقصد فهو أخص من الفعل، لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات، قال تعالى:﴿ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾العصر3، ولاشك أن هذا يكون بقصد من الإنسان، و قال تعالى: ﴿ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ الأنبياء 63، وفعل الجماد بلا قصد منه.[1]

أ- إعجاز تأثيري: أي قوة تأثيره في النفوس، وسلطانه الروحي، فالمتدبر في آياته تزيده إيمانا على إيمانه، وهذا مالا يوجد في كلام بشر[2] ، قال تعالى: ﴿ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾النمل2، فآيات القرآن تزيدهم هدى على هداهم، ولا ينتفع بهداه إلا من كان على إيمان و استقامة، فآياته تسحر العقول، وتأخذ بمجامع القلوب، وتأسر النفوس بتأثيرها و«إن من ائتلاف مخارج الحروف والكلمات، والانسجام في النغم بينها، لبعضا من تأثير القرآن الكريم في النفوس»[3،4] .

1-ينظر:سامي محمد هشام حريز،نظرات من الإعجاز البياني،ص37.

2-ينظر:عبد الوهاب خلاف، وجوه إعجاز القرآن، كنوز الفرقان، عدد 6/5، إصدار الإتحاد العام لجماعة القراء، السنة الرابعة، 1374هـ/1952م، ص 134.

3-محمد أبو زهرة: المعجزة الكبرى، [د،ط]، دار الفكر العربي، [د،ت]،ص 164 بتصرف.

4-الإعجاز التأثيري يعد من وجوه إعجاز القرآن، زاده الخطابي، وقال بأن الناس غفلوا عنه، ولم يعدوه في وجوه الإعجاز، « وهو صنيعه في القلوب و تأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما و لا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة و الحلاوة في حال، ومن الروعة و المهابة في حال آخر ما يخلص منه إليه قال تعالى: (لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ)الحشر21،وقال تعالى﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ﴾ الزمر23»الخطابي:ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله و محمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، [د.ت]،ص70.

ب- إعجاز غيبي: ويشمل حوادث خلت، ووقائع مضت، وأيضا أمورا مستقبلية، ومنها الحديث في هذا المقطع عن يوم الجزاء، وما فيه من أهوال وأحوال، يخص الناس جميعا، ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ النمل 90/89، وهو غيب لا يعلم تفاصيله إلا بالوحي من الله أو الخبر عن عن المعصوم صلى الله عليه وسلم.

ج-إعجاز تشريعي: وهو« ما أودعه الله في كتابه وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام وتشريعات منظمة لصناعة الحياة، وبنائها وعمارتها، ليفوز من يعمل به بنعيمي الدنيا والآخرة»[1]، وهو شاهد يقيني على وفاء الشريعة بحاجات الإنسان، ومنهجها القويم للهداية، فجاء كمثال على ذلك ذكر بعض من هذه المنظومة التشريعية المتكاملة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ النمل 03، وهي أصول في أبوابها، و مرتقي أسمى في ظلال العبودية لله عز وجل، تنظم الأولى علاقة الإنسان بربه، بدوام الصلة به عز وجل، والثانية تنظم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، بدوام التواصل ومد يد الخير له، وبذل المعروف لديه.

هـ- «جلال الربوبية و عظمة الألوهية: المنبعثان من آياته و كلماته، فإن الكلام دائما يحمل صفات المتكلم، ولذلك ترى القوة والعظمة والكبرياء مجسدة كلها في كلام الله عز وجل»[2]، وهو ما يلمسه من وقف على آيات السورة، في مثل افتتاحيتها بالحروف المقطعة ﴿طس﴾، وفي مثل تلك الإشارة إلى الآيات لعلوها وسموها، ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٖ ١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ النمل2، فهي تنزيل من الله عز وجل.

إن افتتاحية سورة النمل قد اشتملت على بيان رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة للناس جميعا،وحال من كان مؤمنا، فكانت له الهداية والبشرى، وحال من أعرض ونئا بجانبه، فعمه وضل عن الصراط السوي، وختمت بذكر مصدر تلقي هذا القرآن، وذلك من عند زا لله الحكيم العليم.

1-عبد الله المصلح: المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية محاضرة قدمت في الموسم الثقافي، مكة المكرمة، 1425، ص 31.

2-موسى إبراهيم الإبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، ص 144.

المبحث الثاني

جوانب التناسب في المقطع الأول من سورة النمل.

تمهيد:

العلاقات التناسبية المختلفة في كل مقاطع سورة النمل، مهمة في بابها، لما لها من توطيد الصلة وإحكام الربط بين المقاطع ومع موضوع السورة.

والمبحث الثاني يتناول جوانب التناسب المختلفة في المقطع الأول ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: وفيه تناسب آيات المقطع الأول من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني: وفيه مناسبة افتتاحية النمل لموضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول:تناسب آيات المقطع الأول من سورة النمل فيما بينها.

قبل الحديث عن مناسبة آيات المقطع الأول فيما بينها، تجدر الإشارة إلى التذكير بمفهوم التناسب لغة واصطلاحا و فائدته.

الفرع الأول: تعريف المناسبة.

المناسبة في اللغة: مصدر للفعل ناسب، يناسب، مناسبة، وهي«المشاكلة[1] والمقاربة»[2]،تقول فلان يناسب فلانا، أي يقرب منه و يشاكله، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل[3] . و قال ابن فارس«النون والسين و الباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال الشيء، ومنه النسيب يسمى لاتصاله و الاتصال به»[4] .

فالمناسبة يلاحظ فيها معنى الاتصال و التقارب بأي وجه من الوجوه.

و في الاصطلاح العام: المناسبة هي علة الترتيب[5] .

أما عند علماء القرآن والتفسير: فـ«علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه»[6] .

فالمناسبات في القرآن تدور حول كشف « وجه الارتباط بين كلمات الآية الواحدة ، وبين كل آية بما قبلها و ما بعدها، و السورة بما قبلها و ما بعدها»[7].

و فائدتها«جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء»[8] ، وهو نوع إعجاز للقرآن في ترتيبه ونظم آياته.

1-المشاكلة بمعنى: المماثلة، تقول: هذا شكل هذا، أي: مثله.سامي عطا حسن:المناسبات بين الآيات والسور. فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها.www.dahsha.com،ص10.

2-السيوطى: الإتقان، ج 5 ص 1840.

3-الزركشي:البرهان، ج 1 ص 35.

4-ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، (مادة: نسب)، ج1ص423.

5-ينظر:محمد بن عمر باز مول، علم المناسبات في السور والآيات، ط1، المكتبة المكية، مكة المكرمة، 1423 هـ/2002 م، ص27.

6-تفسير البقاعى: ج1ص06.

7-رياض عميراوي: الوحدة الموضوعية في سورة الحج، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية أصول الدين، قسم الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، نوقشت بتاريخ جويلية2009م، 158ص.

8-الزركشي:البرهان، ج1 ص 36.

والناظر في القرآن الكريم كله، من أوله إلى آخره، و المتأمل مليا في سوره، ومقاطعه، وآياته، حتما هو يتحسس خيطا رفيعا رابطا لأجزائه كلها، حتى يغدو القرآن كأنه سبيكة واحدة، لا انفصام فيه ولا خلل، فسوره آخذة بعضها بأعناق بعض في تلائم، وائتلاف كالبناء المحكم، والحال نفسه ينسحب على السورة الواحدة، في آياتها ومقاطعها.

الفرع الثاني: تناسب آيات المقطع الأول فيما بينها.

المقطع الأول من سورة النمل يجمل الحديث حول القرآن الكريم ورسالته أنها هادية ومبشرة ومنذرة.

وكان ابتداء السورة تنويها وإشادة بعظمته وعلو منزلته، وأنه معجز بكل الوجوه لجميع الخلق، فكان الافتتاح بحروف التهجي، ثم الإشارة إليه باسم الإشارة البعيدة ﴿ **تلك**﴾النمل01، للدلالة على هذه المنزلة،ووصف بالإبانة تنكيرا في ختام الآية،«ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له »[1].

ومن التناسب الحاصل مما يتعلق بالقرآن الكريم، أنه قد أتبع بوصفه بما هو أبلغ، يجعل مادته وماهيته هداية وتبشيرا للمؤمنين، فقال تعالى ﴿ **هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ** ﴾النمل2، و«الإيمان الذي ختمت به الآية هو الذي تقوم عليه شرائع القرآن و نظمه، وهو أصل لتسبب منه الهداية بالقرآن، و يحصل الاستبشار ببشاراته»[2]، ذلك أن « في القرآن كنوزا ضخمة من الهدى و الحركة والتوجيه، و الإيمان هو مفتاح هذه الكنوز»[3،4]، وأعقب الله تعالى الهداية بالبشرى،«فهما متلازمان، لأن من هدي إلى الحق جاءته البشرى بالسعادة في الدنيا والآخرة »[5] .

والذين يكون القرآن هاديا و مبشرا لهم، ينعكس ما وقر في قلوبهم من الإيمان على سلوكهم، فيسلكون سبيل الهداية بأداء ما افترض عليهم من الصلاةوالزكاة، و الإيقان بيوم الجزاء على الأعمال، و لذلك ختمت الآية ببيان من هذا حالهم بأنهم على يقين بالآخرة و ما يقع فيها،

1-محي الدين الدرويش:إعراب القرآن و بيانه، ط7، دار اليمامة، دمشق، 1420/1990، مج 5ج19ص478.

2-تفسير سيد قطب: ج5ص2626 بتصرف.

3-المرجع نفسه: ج5ص2626.

4-الذي يقف على خواتيم الآيات مليا في كل مواقعها، سيجدها حتما«متسقة متناسبة كل التناسب مع معاني الآيات، و موضوعاتها وسياقاتها التي ترد فيها، و أغراضها التي جاءت من أجلها.»أحمد مختار عمر:لغة القرآن،ط3،الكويت، 1418هـ/ 1997،ص 176.

5-عطية محمد سالم: آيات الهداية و الاستقامة، ط1، دار الجوهرة، المدينة المنورة، 1426هـ، مج5ج1ص368.

مما جاء ذكرها في القرآن الكريم، إخبارا بأحوالها و هداية إليها.

ومما يكون فيه التناسب الحاصل في آيات المقطع الأول، أن مواقف الناس نحو هذه الرسالة الهادية للقرآن الكريم متباينة، ولذلك جيء بذكر من تنكب الطريق المستقيم وكان في الضلالة يتخبط، مما يقابل الفريق المهتدي بالقرآن الكريم و هذا من شأن القرآن أنه إذا تناول في حديثه الترغيب، يردفه بالترهيب، للمقارنة بين الحالين، وكما يقال: بضدها تتمايز الأشياء، فلما ذكر هنا حال من التزم سبيل الهداية أتبعه بذكر من جحد الآخرة، فهو «يركب رأسه، ويتمادى في غيه، ويعرض عن القرآن أشد الإعراض»[1]، ولذلك جاء الإنذار لهذا الفريق الحيران، ببيان عاقبته بأنه « في عذاب شديد لتبلبله وقلقه واضطراب نفسه، وفي الآخرة له أشد الخسران لما يلحقه من النكال والوبال، والحرمان من الثواب والنعيم الذي يتمتع به المؤمنون »[2].

و«قد وقعت هذه الآية ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾النمل4-5 موقع الاستئناف البياني، معترضة بين خبر التنويه بالقرآن و التنويه بمن أنزل عليه، وهو الرسول صلى الله عليه و سلم»[3]،الذي يتلقى هذا القرآن من عند الله، ليكون رسول الهداية إلى الله .

ومن تمام التناسب بين الآيات ما يكون بين أول المقطع وآخره، مما له صلة بالقرآن الكريم، إذ أنه تعالى لما نبه على عظمة القرآن وسمو منزلته، وما منه حال من آمن به واتبعه، وحال من شرد عن سبيله، فهو حيران عمه، أتبع عز وجل ذلك بذكر حال من أنزل عليه، فابتدأ المقطع الأول من سورة النمل بالتنويه بالقرآن والتنبيه على عظمته، وعلو شأنه، وختمت بذكر مصدريته، وأنه متلقى من عند الله الحكيم العليم.

«ومناسبة الوصفين [وهما حكيم عليم] لهذه الآية، في كون القرآن نفسه من نسيج الله و نظمه، ليس فيه إلا ما تقتضيه الحكمة و ما يقتضيه العلم.»[4]

وبهذا يظهر المقطع الأول من سورة النمل تناسب آياته فيما بينها، وهو بعض إعجاز القرآن الكريم.

1-تفسير المراغي: ج19 ص120.

2-المرجع نفسه: ج19 ص 120.

3-تفسير ابن عاشور: ج19 ص 220 بتصرف.

4-تفسير بيوض إبراهيم:ج8ص17.

وأما تعلق هذا المقطع الأول من السورة بموضوعها و ارتباطه به، فهو ما سيكون الحديث عنه في المطلب الموالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: مناسبة المقطع الأول من سورة النمل لموضوعها.

لقد تم سابقا بحيث موضوع السورة الرئيس، وكان هو: رسالة القرآن الهداية و المبشرة و المنذرة، وحال المدعوين معها، وذكر المطاعن التي أثيرت حول ما جاء به من أصول كالتوحيد، والنبوة، والبعث، وإبطالها بمختلف الأدلة.

كما تم بحث المقطع الأول من السورة، مع التعريج على المناسبات و الارتباطات التي تتعلق به، وبقي بحث الوشائج و العلائق التي تربط المقطع الأول من سورة النمل بموضوعها.

و بعد التأمل مليا في موضوع السورة ومقطعها الأول، يمكن استنباط الوشائج والارتباطات الآتية:

1- ارتباط بداية المقطع الأول و نهايته مع موضوع السورة بوضوح، إذ أن المقطع الأول تناسقت بدايته مع نهايته في التويه بالقرآن الكريم، و علو شأنه، وإظهار عظمته، مع التأكيد على مصدريته وأنه وحي من عند الله، وهو ما يظهره موضوع السورة والذي يسير في إطار الحديث عن القرآن الكريم ورسالته هداية و تبشيرا وإنذارا.

2-يظهر كذلك التناسق و التناسب بين المقطع الأول من السورة و موضوعها لدى التقائهما في طريق التمييز بين حالين من أحوال الناس تجاه رسالة القرآن الكريم، الأول منهما حال المؤمن الذي كان له القرآن هاديا ومبشرا، فانعكس ذلك على سلوكه، بأدائه ما كلف به من أعمال، وهو مع كل ذلك على يقين بلقاء الله، فدفعه ذلك إلى تجشم عناء التكاليف، وتحمل المشاق، والثاني حال من زينت له أعماله القبيحة فرآها حسنة، فهو في أودية الضلال يتردد، بسبب كفره و تنكبه طريق القرآن، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴾ البقرة16، و ذكر هاذين السبيلين ليعرف مصير الفريق الأول فيعض[1] عليه بالنواجد[2]، فهو طريق سعادة الدنيا و الآخرة، و يوقف على مصير الفريق الثاني فيحذر لئلا تكون شقاوة الدنيا والآخرة.

3-الحديث عن قضايا الإيمان التي طرحها المقطع الأول، و التي أجملت في قوله تعالى﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾، و ذكر بالتصريح منها، الإيمان بالآخرة، في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ النمل 03، فهو «يعتبر المفتاح بالنسبة لكنوز القرآن لتلقى هداياته،

1-يعض: العض: الشد بالأسنان على الشيء.ابن منظور:لسان العرب، مج4ج36ص2986.

2-النواجد: أقصى الأضراس.المصدر نفسه،مج6ج55ص4349.

والاستبشار ببشاراته»[1]، وهو ما تضمنه موضوع السورة، في إطار إبطال ما أثير حول هذه القضايا من مطاعن، وذلك ضمن رسالة القرآن التي توضح هذه القضايا جليا.

4-المقطع الأول من ضمن حقائقه التنويه بشخص الذي أنزل عليه القرآن، وبيان جلالة قدره عند الله، وهو يتلقى الوحي من عند الحكيم العليم، في رسالة هادية و مبشرة ومنذرة، ليس له فيها إلا التبليغ، وظهر وصف الحكمة والعلم في اصطفائه صلى الله عليه و سلم[2] لعلمه عز وجل بطبائع البشر، وعوالم النفوس، فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴾ النمل6، وهذا ما يتناسب مع موضوع السورة بالحديث عن رسالة القرآن و دعوته، أنها هادية و مبشرة و منذرة، كلف بها من اصطفاه الله لتبليغها بوحي منه عز وجل و تكليف.

5-ورد في ختام المقطع الأول للسورة أن القرآن الكريم، إنما هو كلام الله، من نسج الله ونظمه، ليس فيه إلا ما تقتضيه الحكمة و يقتضيه العلم[3]، و بالتالي فكل ما فيه من أحكام و أخبار و شرائع و هدايات، إنما هي ينبوع الحكمة و العلم الإلهي، كذلك موضوع السورة الذي يظهر رسالة القرآن أنها هادية ومبشرةومنذرة، و هذا كله لا يمكن إلا أن ينبع عن حكمة وعلم إلهي، وإلا كان عبثا، و هو مستحيل في حقه عز وجل، ويتنزه عنه كتابه الكريم.

6-يظهر التناسق واضحا بين المقطع الأول للسورة و موضوعها، في أن من بين الوسائل التي تكشف موضوع السورة، ما تفيده افتتاحيات السور من إشارات قوية تنبه على الخطوط العريضة له،و عند النظر في افتتاحية سورةالنمل، يظهر الحديث عن القرآن و رسالته الهادية والمبشرة والمنذرة،وحال الناس عموما إزاءها، و هو ترجمة واضحة لموضوع السورة.

7-يظهر الارتباط بين المقطع الأول للسورة، و موضوعها الرئيس، فيما يتعلق بجانب السنن الإلهية، إذ أن المقطع الأول للسورة يظهر سنة الهداية و الضلال، حيث لا تفتح كنوز القرآن إلا لمن كان مؤمنا، فيتلقى الهدايات منه، و تحصل له البشارات[4]، أما من ركب رأسه و اتبع هواه، وتنكب طريق القرآن، فهو و ما يختار، ويحمل وزر اختياره، وهذا ما يطرحه موضوع السورة في ثنايا رسالته الهادية والمبشرة و المنذرة من أنها جاءت لهذه الحكمة.

1-تفسير سيد قطب: ج5 ص2626 بتصرف.

2-ينظر:تفسير بيوض إبراهيم بن عمر، ج8ص 18.

3-ينظر:المرجع نفسه، ج8ص17.

4-ينظر:تفسير سيد قطب، ج5ص2626.

8-كما أن من السنن الإلهية سنة الجزاء على الأعمال خيرا أو شرا، فذكر المقطع الأول التوفيق للهداية واستحقاق البشرى بالجنة، ورضوان الله لمن جعل القرآن دليلا له، ومرشدا، و الخسران المبين وفوت النعيم لمن عمه، وجانب الطريق المستقيم، وهو ما يفهم من إطار موضوع السورة لر سالة القرآن الهادية والمبشرة و المنذرة.

وباستعراض العلائق التي تربط المقطع الأول من سورة النمل مع موضوعها تظهر جليا شدة الإحكام الحاصل بينهما، وبذلك تكتمل جوانب التناسب المختلفة، إن على مستوى الآيات فيما بينها، وإن على مستوى المقطع الأول مع موضوع السورة، وهو ما يترجم بعض نواحي إعجاز القرآن الكريم.

خلاصة الفصل الأول:

افتتاح سورة النمل بما يشير إلى علو شأن القرآن، وأنه وحي الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم للهداية والتبشير والإنذار، وما منه نصيب أهل الإيمان فكانت لهم الهداية والبشرى، وما منه نصيب من حاد عن الطريق المستقيم، فهو ضال عمه.

والمقطع الأول من السورة يظهر جوانب التناسق العديدة بين آياته، ومع موضوع السورة، بما لا يدع مجالا للشك حول إعجاز القرآن الكريم في بعض نواحيه، وهو جانب العلائق والارتباطات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

الرسالية في قصة موسى عليه السلام
من الآية السابعة إلى الآية الرابعة عشر.
(7 - 14)

تمهيد:

الأنبياء كلهم عليهم السلام صفوة خلق الله، اصطفاهم برسالة الهداية للناس مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

وفي الفصل الثاني استعراض للجانب الرسالي لموسى عليه السلام، وما كان من استقبال فرعون وقومه لرسالته عليه السلام، وذلك ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول، وفيه: التكليف الرسالي لموسى عليه السلام، واستقبال فرعون وقومه له.

المبحث الثاني، وفيه: جوانب التناسب في هذا المقطع الثاني في سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

التكليف الرسالي لموسى عليه السلام، واستقبال فرعون و قومه له.

تمهيد:

في المقطع الثاني من سورة النمل استعراض لما كلف به موسى من رسالة إلهية هادية إلى فرعون وقومه، وما كان حالهم تجاهه وقد رأوا الآيات مبصرة، ومآلهم الذي صاروا إليه، وسيكون ذلك متناولا في:

المطلب الأول: التكليف الرسالي لموسى عليه السلام.

المطلب الثاني: استقبال فرعون وقومه لرسالته، وعاقبتهم.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: التكليف الرسالي لموسى عليه السلام.

توطئة: بين يدي القصص[1] القرآني.

من بين ميزات القرآن المكي ورود القصص فيه، و«القصة إحدى وسائل القرآن إلى أغراضه الدينية، و إبلاغ دعوته»[2].

و من الأغراض الدينية، التي سيقت القصة في القرآن لتحقيقها ما يأتي:[3]

1- إثبات الوحي و الرسالة، حيث أن ورودها في القرآن دليل على أنه وحي من عند الله عز و جل.

2- بيان أن الدين كله من عند الله، و أن المؤمنين كلهم أمة واحدة، و الله الواحد رب الجميع، وهو غرض أساسي في الدعوة تكرر كثيرا للتأكيد على ذلك.

3- بيان أن النصر في النهاية للفئة المؤمنة، ومصير المكذبين الهلاك والتدمير، و في هذا تثبيت للنبي صلى الله عليه وسلم و المؤمنين.

4- بيان نعمة الله على أنبيائه وأصفيائه، كداود و سليمان عليهما السلام.

1-تدل لفظة (قص) في اللغة على تتبع الأثر.

قال ابن فارس: القاف و الصاد أصل صحيح يدل على تتبع الأثر.معجم مقاييس اللغة، (مادة قص)، ج 5 ص11.

تقول: قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد الشيء، و منه قوله تعالى ﴿وقالت لأخته قصيه﴾ القصص. أي اتبعي أثره. ابن منظور: لسان العرب،(مادة قصص)، مج5 ج39 ص 3650.

وكذلك اقتص أثره، و تقصص أثره.إسماعيل الجوهري:الصحاح، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان،1990،ج3ص 1051.

و يسمى القصاص بكسر القاف كذلك، لأن فيه تتبع الأثر للجاني حتى يجازى بمثل جنايته.

ومنه القصة، والقصص، يتتبع فيذكر. ابن فارس: معجم مقاييس اللغة،ج5ص 11.

و«القصة الخبر، وهو القصص، وقص علي خبره يقصه قصا، وقصصا: أورده وتقصص الخبر:تتبعه».ابن منظور:لسان العرب، مج5ج39 ص3651 بتصرف.

والقصص: بكسر القاف جمع القصة التي تكتب. إسماعيل الجوهري:الصحاح، ج3 ص 1051.

و«القصص: الخبر المقصوص، و القاص: يقص القصص لاتباعه خبرا بعد خبر، و يسوق الكلام سوقا، فهو يأتي بالقصة على وجهها كأنه يتتبع معانيها وألفاظها». ابن منظور:لسان العرب، مج9ج39ص3651 بتصرف.

و القصص القرآني:«إخباره عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة، و الحوادث الواقعة.» مناع القطان: مباحث في علوم القرآن، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، 1420هـ/1999، ص 306.

2-سيد قطب: التصوير الفني في القرآن، ط10، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص143، بتصرف.

3-ينظر:المرجع نفسه، ص145 وما بعدها.

كما أن للقصص القرآني مزايا عديدة، يمكن ذكر بعضها[1]:

1-عند إيراد القصص القرآني يبرز الجانب التربوي جليا، فهو يعالج المشاكل و الوقائع والأحداث على ضوء المبادئ الأساسية والأحكام الشرعية، في قالب فني جمالي، فتعلق المفاهيم الحسنة في النفس الإنسانية، و تجتث الأفكار السيئة منها.

2-يمثل القصص القرآني حقائق واقعة بأحداثها بدقة متناهية، موافقة للواقع، « لم تعتمد على خيال و لم تجح إلى تمثيل، ولم تستعن باختلاق، و من أصدق من الله قيلا»[2]، و هي دليل صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في دعوى الرسالة، ووسيلة لثباته صلى الله عليه وسلم و الفئة المؤمنة معه، و من دعا إلى الله بدعوته، والتزم سبيلها.

3-القصص في القرآن صاحبه التكرار، و الحكمة يدركها من تأمله (التكرار)، من ذلك رسوخه وثباته في العقول والأذهان، و ليكون تكراره تذكارا لمبه من غفلة، ويوقظ من سنة، و يجدد العهد من حين لحين بشيء مضى، و عاملا قويا من عوامل التأثير في نفوس السامعين[3]، و فيه بيان«اختلاف الغاية التي تساق من أجلها القصة»[4]، و هذا «مع تلوين في العبارة، و تجديد في الأسلوب و تغيير في طريقة العرض»[5]، يناسب أهداف كل سورة ورد فيها، و ينسجم مع أغراضها[6].

4-يهمل القرآن في القصة أمورا كثيرة، كعنصر الزمان والمكان وأسماء الأشخاص، « ويكتفي من القصة والوقائع التاريخية الصحيحة بالقدر الذي يستخلص منه العبرة، و يقتضيه المقام»[7]، كما في قصة موسى عليه السلام على سبيل المثال.

1-ينظر:مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 200 و ما بعدها.

2-أحمد الشرباصي:من خصائص القصة في القرآن الكريم، مجلة كنوز الفرقان،عدد1، ط1،مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية، مصر،السنة الأولى،1426هـ/2005م، ص97.

3-المرجع نفسه: ص95.

4-مناع القطان:مباحث في علوم القرآن، ص 308.

5-حيث إن«تكرار القصة بعينها في القرآن الكريم بأساليب متنوعة، له غرضه التعليمي، والتهذيبي و التذوقي إلى جانب الغرض التاريخي...وراعى القرآن في هذا اللون من القصص أذواق المخاطبين المختلفة و طباعهم المتباينة، و قواهم و مداركهم العقلية و النفسية المتفاوتة فيما بينها، فقدم لكل ما ينشده و يؤثره، و يتأثر به ويؤثر فيه»محمد محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الإستشراقي، ط1، دار النشر للجامعات، القاهرة- مصر، 1423هـ/ 2002م، ص300 بتصرف.

6-أحمد الشرباصي: من خصائص القصة في القرآن الكريم، ص 95 بتصرف.

7-مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص 200 و ما بعدها

5-«إذا تعرض القصص القرآني لمعنى من المعاني في موضع، ثم تحدث عن القصة في موضع آخر فزيادة على ذلك، تضيف معنى جديدا لم يكن قد ذكر من قبل.»[1]

بعد هذه التوطئة يبدأ هذا المقطع الثاني[2]من السورة بذكر حلقة من قصة[3] موسى عليه السلام[4]، وهي حلقة تكليفه بالرسالة، و اصطفائه لحملها إلى فرعون و قومه، إثر تكليم الله له بوادي طوى[5].

ويبدأ هذا المقطع بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما كان من أمر موسى عليه السلام حينما أبصر نارا « وهو في مسيره من مدين[6] إلى مصر[7]، و قد آذاهم البرد»[8]، وكانت ليلة شاتية و مظلمة و ممطرة، و كان قد أضل الطريق، فأبصر من جانب الطور نارا[9]، فتوجه تلقاءها، آمرا أهله بلزوم مكانهم، حتى يأتيهم بخبر يدلهم على الطريق، أو يقتبس شعلة من النار يستدفئون بها من

1-محمد عمر باحذق:أسلوب القرآن الكريم، ط1، دار المأمون للتراث، دمشق، 1414هـ/1994م، ص281 بتصرف.

2-ينظر في باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

-محمد محيسن: الإرشادات الجلية، ط1، دار محسين، القاهرة، 1426هـ/2005، ص 584.

-أبو زرعة:حجة القراءات، ص 523.

-تفسير ابن الجوزي: ج6ص 157.

-أحمد النبا:اتحاف فضلاء البشر، ج2 ص 324.

-ابن خالوية: الحجة في القراءات السبع، ط3، دار الشروق، بيروت، 1979/1399، ص 269.

3-ذكرت قصة موسى عليه السلام في مواطن عديدة من القرآن، من بينها: سورة النمل،وورد اسمه(166)مرة في القرآن الكريم.محمد بسام رشدي الزين. مدرسة الأنبياء، طبعة أولى معادة، دار الفكر، دمشق، 1422هـ/ 2001، ص 179.

4-هو موسى بن عمران، وأمه يوخابد، وقيل كان اسمها باختة، وامرأته صفورا بنت تيرون، وهو شعيب النبي صلى الله عليه وسلم.ابن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2،دار المعارف،مصر،[د.ت]، ج1ص385-386 بتصرف.

وموسى اسم علم أعجمي، ممنوع من الصرف للعلمية و العجمة، مركب من جزأين، و معناه: ماء و شجر. صلاح الخالدى: الأعلام الأعجمية في القرآن، [د،ط]، دار القلم، دمشق، [د،ت]، ص145.

5-«طوى: وردت فيه أقوال عديدة،منها:أنه اسم للوادي».مصطفى بن العدوي، التسهيل لتأويل التنزيل،ط1، مكتبة طنطا، 2002/1423، ج1ص 63-64 بتصرف.

6-مدين: اسم قبيلة قديمة أرسل الله إليهم شعيبا-عليه السلام- نبيا.أشرف طه أبو الذهب:المعجم الإسلامي، ص548.

7-مصر:جمهورية تقع في شمال شرقي إفريقيا على البحر المتوسط، بين فلسطين، وخليج العقبة والبحر الأحمر شرقا، والسودان جنوبا، وليبيا غربا.المرجع نفسه: ص562.

8-تفسير الطبرى: ج 18ص 8 بتصرف.

9-الطور: الجبل الذي كلم الله سبحانه و تعالى عنده موسى عليه السلام. مصطفى بن العدوى:التسهيل لتأويل التنزيل، ص103.

البرد، قال تعالى أيضا: ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾ القصص 29، «و العدتان على سبيل الظن ولذلك عبر عنهما بصيغة الترجي في سورة طه، فلا تدافع بين ما وقع هنا، و ما وقع هناك، و الترديد للدلالة على أنه عليه السلام إن لم يظفر بهما لم يعدم أحدهما، ثقة بسنة الله أنه لا يكاد يجمع حرمانين على عبده»[1]، فلما وصل إلى المكان رأى منظرا عجيبا، رأى «النار تضطرم[2]في شجرة خضراء،لا تزداد النار إلا توقدا، و لا تزداد الشجرة إلا خضرة و نضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء»[3] ، فخوطب عليه السلام بنداء علوى من قبل الله عز وجل، «فيه التعظيم و الإجلال»[4] .

و أعلمبقدسية ذلك المحل، و نماء خيره و كثرته، فبورك من في النار، و من حولها، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ القصص30،«و من بركته أن جعله الله موضعا لتكليم الله لموسى وندائه و إرساله»[5]، ﴿وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ[6] رَبِّ[7] ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾تنزيه لله عز و جل، « الذي يفعل ما يشاء و لا

1-تفسير الألوسي: ج19ص159.

2-تضطرم: تلتهب بسرعة.

3-أحمد شاكر:عمدة التفسير عن ابن كثير، ج2ص737.

4-تفسير سيد قطب:ج5ص2629.

5-تفسير السعدي:ص601.

6-لفظ الجلالة "**الله**": هو الاسم المفرد العلم لذاته المقدسة الجامع لجميع الصفات الإلهية و الحياة الأزلية القدرة و الإرادة و السمع والبصر و الكلام، المنعوت بنعوت الربوبية، المتفرد بالوجود ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم**﴾ البقرة، الباقي بعد فناء خلقه ﴿ **كل من عليها فان. و يبقى وجه ربك ذو الجلال و الإكرام**﴾ الرحمن78. أحمد عبد الجواد: ولله الأسماء الحسنى، [د،ط]، دار الريان، القاهرة، [د،ت]، ص13و ورد اسم (الله) في القرآن: 2602 مرة. حامد أحمد طاهر: الجامع لأسماء الله الحسنى، ط1، دار الفجر،القاهرة،1423هـ/2001م، ص11.

7-مادة **رب** تدور حول:الملك والسيادة والسياسة و الإصلاح، جاء في لسان العرب:أن الرب لغة«يطلق على المالك والسيد والمدبر و المربي والقيم والمنعم.»ابن منظور:لسان العرب، مج3ج17ص1546.

و«الرب:هو الله عز و جل، رب كل شيء، أي مالكه، و له الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، و لا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة».ابن منظور:لسان العرب، مج3ج17ص1546بتصرف.

وهو «رب الأرباب ومعبود العباد، يملك المالكوالمملوك و جميع العباد، وهو خالق ذلك ورازقه.»القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، ط1، دار الصحابة، طنطا، 1416هـ/1995م، ج1ص394.

وجعله الإمام القرطبي، في عداد أسماء الله، و ذكر إجماع الأمة عليه. المصدر نفسه، ج1ص391.

يشبه شيئا من مخلوقاته، و لا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم، المباين لجميع المخلوقات، ولا يكتنفه الأرض و السموات، بل هو الأحد الصمد، المنزه عن مماثلة المحدثات»[1].

وشرفه الله بندائه مباشرة، مخاطبا إياه أن الذي يكلمه هو الله عز وجل رب العالمين المستحق للعبادة الذي «عز[2] كل شيء وقهره و غلبه، الحكيم في أقواله و أفعاله»[3]، قال تعالى: ﴿ **إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ** ﴾ طه 14، و بشره بالنبوة وكلفه بالرسالة إلى فرعون و قومه، و رسالته هي رسالة الأنبياء جميعا، و هي الدعوة إلى عبادة الله ،قال تعالى (**أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ**)النمل45، وأمره بإلقاء العصا كواحدة من تسع معجزات أيده الله بها، فانقلبت بإذن الله حية عظيمة، تهتز اهتزازا شديدا، و تتحرك حركة سريعة كأنها جان، وهو«صغار الحيات»[4] ، أي أنها« في اهتزازها، وخفة حركتها و سرعتها كالجان في صورة ثعبان»[5]، و عاين موسى عليه السلام الأمر فولى هاربا من هول ما رأى، و «لحقه ما لحق طبع البشر»[6] من وقع المفاجأة، « وجرى بعيدا عن الحية دون أن يفكر في الرجوع»[7]، و هربه هذا، لأنه« لم يستوعب الأمر بعد، ومازال الغموض و الرهبة يملأن جوانب اللقاء الأول بالله رب العالمين»[8]، فناداه الله عز وجل مطمئنا له، بأن رسل الله لا يخافون عنده و معه،«فكأنه نبهه على أن من آمنه الله بالنبوة من عذابه لا ينبغي أن يخاف من

1-أحمد شاكر:عمدة التفسير عن ابن كثير، ج2ص737.

2-من أسماء الله عز و جل: العزيز، و معناه « الغالب على أمره المنفرد بالعزة و الجلال، يعز من يشاء و يذل من يشاء». أحمد عبد الجواد:ولله الأسماء الحسنى، ص38.

«فلا ترقى الأوهام إلى كماله و جلاله، ليس له مثال و لا نظير، لا يذل و لا يضام، و لا ترقى إليه الخواطر و الأفهام.» عبد المقصود سالم: في ملكوت الله مع أسماء الله، ط17،شركة الشمرلي،القاهرة،[د،ت]، ص49.و ورد اسم العزيز في القرآن 62 مرة. أحمد عبد الجواد:ولله الأسماء الحسنى، هامش ص38.

3-وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج 19ص265.

4-بدر الدين بن جماعة: كشف المعاني في المتشابه من المثاني، تحقيق: عبد الجواد خلف، ط1، دار الوفاء، المنصورة، 1410هـ/ 1990، ص282.

5-عبد الله بن ناقيا: الجمان في تشبيهات القرآن،تحقيق:محمود حسن الشيباني،ط1،[د.م]،[د.ت]، 1407هـ/1987م، ص 131.

6-تفسير الصابوني: ج2ص402.

7-تفسير سيد قطب:ج5ص2629.

8-محمد مشرف خضر:بلاغة السرد القصصي في القرآن الكريم، ص63.

حية»[1]، قال تعالى: ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ القصص31، لكن من ظلم نفسه بفعل القبيح من غير الرسل، ثم أقلع عن الذنب و رجع، فإن الله يتوب عليه[2]، والاستثناء منقطع، و فيه بشارة عظيمة لمن أخطأ من البشر، قال تعالى﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ طه 82، ثم المعجزة الثانية، حيث أمر موسى عليه السلام بإدخال يده في فتحة ثوبه فتخرج بيضاء تتلألأ كقطعة نور بغير لون موسى عليه السلام، من غير برص[3] و لا علة قال تعالى ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ﴾ طه 22، و قال تعالى أيضا ﴿ اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ القصص 32 و هاتان المعجزتان في ضمن أي «مع تسع آيات مرسلا [بها] إلى فرعون»[4،5] و قومه، مما أيد بها موسى عليه السلام، و هي برهان صدق على رسالته، إذ أن فرعون و قومه كانوا أهل معصية، خرجوا عن جادة الصواب، و تعدوا حدود الله،« لم يعدد هنا بقية الآيات التسع، لأن التركيز هنا على قوة الآيات لا على ماهيتها، و على وضوحها وجحود القوم لها»[6].

لقد كانت رسالة موسى عليه السلام هادية إلى الله عز وجل، مؤيدة بدلائل تؤكد صدق دعوى من جاء بها، وتظهر الآيات في المطلب الموالي موقف القوم منها، و مآلهم الذي آلوا إليه.

1-تفسير ابن الجوزى: ج6ص15.

2-ختمت الآية بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى، وهما:الغفور و الرحيم.

-واسم الغفور معناه:الذي يكثر منه الستر على المذنبين من عباده، و يزيد غفره على مؤاخذته. القرطبي:الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، مج1ص164.

-أما الرحيم، فمعناه:صاحب الرحمة العامة بالمؤمنين و غيرهم في الدنيا، أما في الآخرة فهو رحيم بالمؤمنين دون غيرهم.محمد بكر إسماعيل: أسماء الله الحسنى وآثارها،ط1،دار المنارة،القاهرة،2000/1429،ص18.وورد اسم الرحيم في القرآن95 مرة. حمزة النشرقي وعبد الحفيظ فرغلي و عبد الحميد مصطفى:سلسلة القصص القرآني[د،ط]،[د،ن]،[د،م]،[د،ت]،مج16ص41.

و اسم الغفور فورد11مرة في القرآن، وقد اقترن باسم الرحيم في القرآن08مرات.أحمد عبد الجواد:ولله الأسماء الحسنى، هامش ص96.

3-البرص:(البهاق)(vitiligo):أحد الأمراض الجلدية المنتشرة في العالم، ويعرف تحديدا بزوال اللون الطبيعي للجلد على شكل بقع لونية واضحة في الجلد.من موقع ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

4-محمود بن حمزة الكرماني:أسرار التكرار في القرآن،تحقيق:عبد القادرأحمد عطا،[د،ط]،دارالفضيلة،[د،م]،[د،ت]،ص192 .

5-و قيل:"آيتان من تسع آيات".أبو جعفر النحاس: معاني القرآن الكريم، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط1، معهد البحوث وإحياء التراث الإسلامي،مكة المكرمة، 1410هـ/1989م، ج5ص118.

6-تفسير سيد قطب: ج5ص2630.

المطلب الثاني: استقبال فرعون و قومه لرسالة موسى عليه السلام و عاقبتهم.

وبعد هذا اللقاء الإيماني يطوي القرءان مرحلة ذهاب موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه، وتفاصيل ما زود به من وصايا إلهية لتبليغ الدعوة مع أخيه هارون، وكان الامتثال و التوجه إلى فرعون، و عرض الدعوة عليه مع لين القول له، وما تبع ذلك من حوار في مجلس الطاغية[1]، و إظهار الحجة عليه كما جاء في سور أخرى، وهذا للاختصار، وما انتهى إليه اللقاء بتهديد موسى عليه السلام، عند ذاك عاين القوم آيات الله البينة الواضحة التي تبصرهم «بأن موسى وهارون ر سولان من رب العالمين صادقان، وأن ما جاءا به من قضايا الدين حق وصدق يبلغانه عن الله جل جلاله»[2] وهي« يد موسى والطوفان[3] والجراد و القمل[4]، والضفادع، و الدم والسنين[5] في بواديهم و مواشيهم،ونقص من الثمرات في أمصارهم»[6] ، وقد بسطت في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟[7] بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ الأعراف 130_133

﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً ﴾النمل13 توضح السبيل للناس و تهديهم إلى التي هي أقوم، «كما يهدي النور من يبغي فهو لا يخطئ شيئا ينبغي أن ينتفع به»[8]، فوقف القوم منها موقف الجحود و الإنكار و الإدعاء بأنها «سحر لائح يدل على مهارة فاعله و حذق صانعه»[9] وأتوا ببهتان

1-الطاغية: الجبار العنيد. ابن منظور:لسان العرب، مج4ج29 ص2723.

2-تفسير الميداني: ج9ص49.

3-الطوفان، الماء الذي يغشى كل مكان.ابن منظور:لسان العرب، مج4ج29ص2723.

4-القمل: السوس.سعد الحصين: مهذب تفسير الجلالين، ط1،[د،ن]، [د،م]، 2002/1423، ص169. وقيل: البراغيث.تفسير ابن كثير: ج6ص375.

5-السنين، القحط. سعد الحصين: مهذب تفسير الجلالين، ص169.

6-السيوطي:الدر المنثور، ج11ص338.

7-يطيروا: يتشاءموا. سعد الحصين:مهذب تفسير الجلالين، ص168.

8-تفسير البقاعي: ج14ص137 بتصرف.

9-تفسير المراغي :ج19ص125.

كبير، و افتراء عظيم، قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَـٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ﴾ القصص36.

و هذا الإنكار و الجحود إنما كان في الظاهر بألسنتهم، وقد علمت نفوسهم و أيقنت قلوبهم أنها حق من عند الله « ظلما للآيات حيث حطها عن رتبتها العالية و سموها سحرا»[1] وترفعا عن الإيمان بها، ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ﴾المؤمنون 46، قال ابن القيم في تفسير قوله تعالى ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾النمل13-14،«فأخبر سبحانه أن تكذيبهم وكفرهم كان عن يقين، وهو أقوى العلم، ظلما منهم وعلوا لا جهلا.»[2]

«وكذلك كان كبراء قريش يستقبلون القرآن و يستيقنون أنه الحق، ولكنهم يجحدونه ويجحدون دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إياهم إلى الله الواحد [3]، ذلك أنهم كانوا يريدون الإبقاء على ديانتهم وعقائدهم، لما وراءها من أوضاع تسندهم، ومغانم تتوافد عليهم، وهي تقوم على تلك العقائد الباطلة، التي يحسون خطر الدعوة الإسلامية عليها، و يحسونها تتزلزل تحت أقدامهم، و ترتج في ضمائرهم، ومطارق الحق المبين تدمغ الباطل الواهي المريب.»[4]

ولفت القرآن الكريم النظر في ما آل إليه أمرهم بسبب الجحود و التكذيب، دون ذكره تعظيما وتهويلا، لتكون العبر ة أشد وقعا، وأعمق أثرا، فقال﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾، وختمت الآية بذكر ﴿ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ تنبيها على«الوصف الذي سببا كان لأخذهم تهديدا لكل من ارتكب مثله»[5]، وقد ذكر في مواضع أخرى ما حل بهم، منها قوله تعالى (فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَـٰهُمْ

1-المرجع نفسه: ج19ص125.

2-على الحمد محمد الصالحي:الضوء المنير على التفسير، [د،ط]، مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، الرياض ، السعودية، [د،ت]، مج4ص445.

3-كما كان من موقف الوليد بن المغيرة من القرآن، حيث زعم بأنه سحر«يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وعشيرته.»عبد السلام هارون: تهذيب سيرة ابن هشام، ط4، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلية، الكويت،1406هـ /1985م، ص60.

4-تفسير سيد قطب: ج5ص2630.

5-تفسير البقاعي: ج14ص138.

فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ) الأعراف136.[1]

وهكذا تظهر الآيات ضلال فرعون وقومه طريق الاستقامة الذي أرسل موسى ببيانه، وما كانت العاقبة التي آل إليها القوم المفسدون.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-ومنها أيضا قوله تعالى:﴿ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلۡيَمِّ مَا غَشِيَهُمۡ ﴿٧٨﴾ ﴾ طه78، وقال تعالى﴿ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾) الشعراء 65_66، و قال تعالى أيضا ﴿ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾القصص 39.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

هذه لطائف و هدايات قرآنية مستنبطة من هذا المقطع الثاني:

1. ورود القصص في القرآن للعبرة وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له أما مشاق الرسالة، كما كان من أمر فرعون مع موسى-عليه السلام-في سورة النمل،قال تعالى﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾النمل14.

2. رسالة الأنبياء واحدة في منطلقاتها و أهدافها، رغم اختلاف الأزمنة و الأمكنة،﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾النمل9.

3. هذا المقطع فيه دلالة قوية على نبوة النبي -صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗاۖ سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾النمل7، وقوله تعالى﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ ﴾النمل7، منصوب باضمار أي: اذكر[1]، وإنما يتلقى الرسول-صلى الله عليه وسلم- أخبار الأقوام الماضية من الله عز وجل، وهذا برهان نبوته.

4. في قوله تعالى﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ النمل10، إخبار من الله تعالى باصطفاء موسى عليه السلام لتبليغ الرسالة إلى فرعون و قومه.

5. « تجلي الرب تعالى لموسى عليه السلام في البقعة المباركة و مناجاته»[2] .

6. بيان الآيات بأن الله منزه على كل سوء ونقص، فهو ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾الشورى 11، قال تعالى﴿ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ النمل8.

7. الإعداد الرباني للرسل عليهم السلام، وتأهيلهم لتحمل أعباء الرسالة، وتكاليف الوحي، كما حصل في تكليم الله لموسى وتأييده بالمعجزات، كما في قوله تعالى﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾النمل10، وقوله تعالى

1-ينظر:السمين الحلبي، الدر المصون، تحقيق:أحمد الخراط،[د.ط]، دار القلم، دمشق-سوريا،[د.ت]، ج8ص572.

2-أبو بكر جابر الجزائري:أيسر التفاسير، ط1، مكتبة أضواء المنار، السعودية، 1419هـ/1999م، ج3 ص130.

﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾النمل12.

8. بيان قدرة الله عز وجل المطلقة في كل شيء، فأمره بين الكاف والنون، ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ يس 82.

9. «دلت الآيات على صفات فرعون وقومه، و هي الفسق »[1]،﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴾ النمل12.

10. في المقطع وجوه إعجازية، وأخرى سننية:[2]

أ–فمن الوجوه الإعجازية: الإعجاز الغيبي التاريخي، باشتماله على الدقة في المعلومات، و الصدق في الأخبار، دالة بذلك على مصدرية القرآن، وأنه تنزيل من حكيم عليم،كما هو ظاهر من قصة موسى–عليه السلام– وفرعون، ابتداء من قوله تعالى (إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ) النمل7.

ب– ومن الوجوه السننية (سنن إلهية) :

أولا: سنة الله في تأييد الرسل بالمعجزات تقوية لحجتهم وبرهانا على صدقهم، وأنها«تختار من بيئة القوم الذين يرسل إليهم الرسل، ومن نوع المشهور في عصرهم مما يتلاءم مع مستواهم الفكري ورقيهم الحضاري، لتكون الحجة أقوى»[3]، قال تعالى﴿ وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾النمل10،وقال تعالى﴿ وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖۖ فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ النمل12.

ثانيا: سنة الله في نصر الأنبياء و أتباعهم، وإهلاك المكذبين المعاندين بعد إقامة الحجة عليهم، وفيه إنذار لمن كان على آثار القوم في العصيان و الاستنكاف عن إتباع الحق، كما قال تعال﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ النمل14.

1–محمد المطني:سورة القصص،دراسة تحليلية، ص355بتصرف.

2–السنن الإلهية:مجموعة من القوانين والقواعد الثابتة والمطردة التي تحكم حياة الخلق وحركة التاريخ في نظام دقيق،ترتبط فيه المقدمات–سلبا وإيجابا–بالنتائج،بمقتضى حكمة الله تعالى وعدله.حسين شرفة:سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة،رسالة دكتوراه غير مطبوعة،كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية،جامعة الحاج لخضر، باتنة، نوقشت بتاريخ 2004م، ج1ص46.

3–مصطفى مسلم: مباحث في إعجاز القرآن، ص24.

ثانيا: سنة الله في نصر الأنبياء وأتباعهم، وإهلاك المكذبين المعاندين بعد إقامة الحجة عليهم، وفيه إنذار لمن كان على آثار القوم في العصيان والاستنكاف عن إتباع الحق، كما قال تعال ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ النمل14.

ثالثا : « إن سنة الله في نصر الدعوات تكمن في كون منطلقات حاملها سليمة »[1]، قال تعالى ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾ النمل13،مع استيقانهم بصدقها،كما قال تعالى﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ ﴾ النمل14.

11.في الآيات دليل على أن «للرجل أن يذهب بأهله حيث شاء مما يرضي الله لما له عليها من فضل القوامة و زيادة الدرجة، إلا أن يلتزم لها أمرا، فالمؤمنون عند شروطهم»[2] ،كما في سفر موسى- عليه السلام-مع أهله،قال تعالى﴿ إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ﴾ النمل07.

جاء المقطع الثاني ببيان التكليف الرسالي من الله عز وجل لموسى عليه السلام لهداية فرعون و قومه مما ضلوا فيه من ألوهية مزعومة ادعاها فرعون و مالأه عليها قومه ظلما وعدوانا، وما كان من جحود القوم لها استكبارا وعلوا رغم وضوح الدلائل،و انتهاء بالعاقبة التي آلوا إليها، بعد قيام الحجة عليهم.

و في المبحث الموالي ذكر جوانب التناسب المختلفة في هذا العرض القصصي الوجيز.

1- مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص205.

2-محمد المطني،سورة القصص، دراسة تحليلية، ص341بتصرف.

المبحث الثاني
جوانب التناسب في المقطع الثاني من سورة النمل.

تمهيد:

يعرض المقطع الثاني من سورة النمل لجوانب التناسب المختلفة في الآيات، وبين المقطع الثاني وموضوع السورة، للدلالة على قوة الترابط وشدة الإحكام، وتناوله سيكون ضمن الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الثاني من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني: تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الثاني من سورة النمل فيما بينها.

المقطع الثاني من سورة النمل فيه ذكر لخبر حلقة من قصة موسى عليه السلام، «قد استوعبت شأن بني إسرائيل من إرسال موسى عليه السلام حتى نهاية فرعون»[1]

و الملاحظ على هذا الجزء من قصة موسى عليه السلام هو التناسب المحكم و الترابط المتين بين فقراته، بداية من نداء الاصطفاء، والتأييد بالمعجزات–الآيات التسع– إلى الإرسال وعرض الدعوة، عز وجل على موقف التكذيب و الجحود من القوم، وختاما بالمصير الذي آل إليه المكذبون، مع إعجاز في العرض و تأكيد على جانب العبرة.

ففي هذه الحلقة من قصة موسى عليه السلام، ذكر لتكليفه عليه السلام برسالة الهداية إلى فرعون وقومه،(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)النمل9، بندائه اصطفاء له، في ليلة مباركة، وفي مكان مبارك، شملت«جميع سيناءو كامل الطور، وكل البلاد المقدسة التي قال الله تعالى فيها في شأن إبراهيم عليه السلام(وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ)الأنبياء71»[2]

و نداؤه هذا اصطفاء له، تمهيدا لإظهار معجزاته، حيث أمر عليه السلام بإلقاء العصا من يده على الأرض، تنبيها على أنه المتصرف في ملكه كما يشاء بعزة و قهر، و لا يخرج ذلك عن إطار التدبير الحكيم، ومنها عصا موسى عليه السلام الصماء، وأنه يعزه بها على عدوه، و يحيلها حية تسعى، لتكون آية على رسالته، ودليلا على نبوته.

وما حدث لموسى عليه السلام من الخوف مما يعتري النفس البشرية، مما عاينه من حال المعجزة، قد جاء التطمين من الله عز وجل، وجاءت البشرى بالرسالة:(وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ) النمل10.

ومن التناسب الحاصل في آيات المقطع ما كان من ذكر المعجزة الأخرى، وهي اليد آية أخرى، تأييدا لموسى عليه السلام، وجاءت جملة(وَأَدۡخِلۡ يَدَكَ)معطوفة على قوله تعالى(وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ)فهي من تمام النداء لموسى عليه السلام، مع التأييد بالمعجزات الدالة على صدقه فيما ادعاه وقد كانت تسع آيات أجملت في هذه السورة، وفصلت في سور أخرى[3]، قال عزوجل (فِي تِسۡعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ

1–تفسير بيوض إبراهيم بن عمر، ج8 ص 22.

2–المرجع نفسه: ج8ص22.

3–كما في سورة الأعراف: الآيات 130–133.

فِرۡعَوۡنَ وَقَوۡمِهِۦۚ)النمل12.

وهذا الاصطفاء لموسى عليه السلام بهذه الرسالة الهادية إنما هو بسبب كون فرعون وقومه خارجين عن ربقة الانقياد لأمر الله والعبودية لألوهيته التي ادعاها فرعون كذبا وزورا و مالأه عليها قومه.

ومن التناسب الحاصل بين الآيات مما يتعلق بشأن إرسال موسى عليه السلام، هو ذكر استقبال فرعون و قومه لدعوته عليه السلام، فوصفوها بالسحر الظاهر، انتقاصا لرتبتها، قولا ظاهرا بألسنتهم، و استيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا، إنكارا لها مع العلم بها،و ختمت الآيات بذكر عاقبة من تنكب عن رسالة الهداية التي جاء بها موسى عليه السلام(**فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**) النمل14.

و هكذا تلوح جوانب العلائق والوشائج بين آيات المقطع الثاني، ابتداء بالتكليف الرسالي، وانتهاء بعاقبة القوم المفسدين.

وأما علائق و ارتباطات المقطع الثاني مع سابقه فسيكون الحديث عنها في المطلب الآتي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع سابقه.

عند التأمل في المقطع الثاني من سورة النمل مليا، وبالتعريج على المقطع الأول منها، يظهر بجلاء أن هناك وشائج و علائق تحكم الربط بينهما، يمكن استعراضها فيما يأتي:

1- لما أخبر سبحانه في المقطع الأول بأن هذا القرآن ملتقى منه، كان ذلك حجة للرسالة المحمدية على القوم، وتمهيدا وبسطا للأقاصيص التي تساق من بعد[1]، وهي من آثار لطائف حكمة الله عز وجل ودقائق علمه، وفيها التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من جحود القوم و صدودهم.

2- ومما يذكر أيضا في سياق الترابط بين المقطعين، كون وحي الله هاديا لمن سلك طريقه، واتبع آثاره، فهذه آيات القرآن هادية ومبشرة للمومنين، كما قال تعالى(هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)النمل2، وهذه الآيات – آيات الله –التي أيد بها موسى عليه السلام مبصرة أي هادية لهم السبيل، كما قال (فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً) النمل13.

3- يلاحظ كذلك في العلائق و الوشائج، التي تربط المقطع الثاني مع سابقه، بيان مصدر التلقي للوحي من عند الله عز وجل للرسل ، فهذا الرسول صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى له(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)النمل6، و هذا موسى عليه السلام ناداه الله وكلمه قائلا(إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)النمل9.

4- يلتقي المقطعان الثاني والذي سبقه في جانب إثبات نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وموسى عليه السلام، إذ قال تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم في ختام المقطع الأول (وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ...)، وقال لموسى عليه السلام مطمئنا له، ومبشرا إياه بالنبوة (لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ)النمل10.

5- كما يلتقي المقطع الثاني من السورة مع الذي سبقه، في أنه قد أرسل عليه الصلاة و السلام إلى فرعون مؤيدا بالمعجزات، وكذلك الرسول صلى الله عليه وسلم، فموسى عليه الصلاة و السلام أيد بمعجزات تسع، منها ما ذكر في هذه السورة كاليد والعصا، و الرسول – صلى الله عليه وسلم – لا

1-ينظر:تفسير الطبطبائي، ج19 ص342.

يختلف عليه الأمر، حيث أيد بمعجزات كثيرة، أعظمها وأهمها القرآن الكريم الذي تلقاه من عند الحكيم العليم.

6- إن المقطع الأول أجمل أصول الإيمان و قواعده في قوله تعالى(لِّلْمُؤْمِنِينَ)، وهي الأصول الستة، أعظمها الإيمان بالله عز وجل، و في المقطع الثاني ذكر لهذا الأصل العظيم، وذلك في قوله تعالى(يَٰمُوسَىٰٓ)، إذ أخبر عن ذاته العلية لموسى عليه السلام، تعريفا له بها.

7- ومن أوجه الارتباط بين المقطع الأول و الثاني في السورة، أن المقطع الأول قد ورد فيه ذكر من زينت لهم أعمالهم، فكان أثر ذلك أنهم في أودية الضلال يعمهون، حيارى ضائعين، وكذلك فرعون وقومه كانوا على نفس الشاكلة من الضلال، ولذلك لما جاءهم موسى بالآيات ادعوا بأنها سحر، وهذا من العمه الذي كانوا فيه منغمسين.

8- كما أن المقطع الأول للسورة يرتبط مع الثاني، في جانب التعظيم للآيات والرفع من شأنها، فذكر الله تعالى آيات القرآن باسم الإشارة (تِلْكَ) البعيد، للدلالة على علو منزلتها، في مصدرها وأحكامها و إعجازها، وكذلك عظمت آيات الله التي أرسل بها موسى عليه السلام، إذ أضيفت إلى الله تعالى، فقال تعالى(فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً)النمل13.

9- و هذه مسألة الدعوة وعناصرها، تشكل نقطة لقاء و ارتباط بين المقطع الأول والثاني، ففي المقطع الأول ذكرت عناصر الدعوة، من المدعو إليه، وهو الله عز و جل، والداعي إلى الله عز وجل،وهو الر سول صلى الله عليه وسلم، وكتاب الدعوة وهو القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)النمل6، والمدعوين من الذين اهتدوا بالقرآن و الذين ضلوا عنه [1]، و في المقطع الثاني اشتمل على ذكر بعض عناصر الدعوة، من المدعو إليه وهو الله عز وجل في قوله تعالى(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)النمل9، والداعي إلى الله، وهو موسى عليه السلام في قوله تعالى (لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ)النمل10، والمدعوين في قوله تعالى (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ)النمل12.

وبما سبق ذكره يظهر التناسب و الارتباط بين هذا المقطع الثاني من سورة النمل والذي قبله.

و في المطلب الثاني ذكر المناسبات بين المقطع الثاني وموضوع السورة.

---

[1]- قال تعالى: ﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۝٥ ﴾النمل.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع موضوعها.

إن موضوع سورة النمل هو رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، وحال المدعوين معها، وذكر المطاعن التي أثيرت حول ما جاء به من أصول كالتوحيد والنبوة والبعث، وإبطالها بمختلف الأدلة.

ويلتقي المقطع الثاني لسورة النمل مع موضوعها في النقاط الآتية:

1- رسالة موسى عليه السلام إلى فرعون وقومه كانت هادية لهم إلى تبصر السبيل لأقوم ألا وهو طريق العبودية لله عز وجل، وكذلك كانت رسالة القرآن الكريم هادية للناس جميعا إلى هذا السبيل السوي.

2- ما ذكر من قصة موسى عليه السلام هو توكيد لرسالة القرآن الكريم، وذلك من حيث التقاء دعوة الأنبياء – عليهم السلام – جميعا في المنطلقات والأهداف لبيان طريق العبادة للناس، وهدايتهم إلى الله عز وجل، وتبشيرهم وإنذارهم.

3- قصة موسى عليه السلام بيان لمصدرية تلقي الأنبياء الوحي من الله عز وجل، وبالتالي فليس لهم فيه إلا التبليغ، وهو ما ترشد إليه رسالة القرآن من أنها دعوة ربانية، يبلغها الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل للناس،وليس هو – صلى الله عليه وسلم – بدعا في هذا الاصطفاء لحمل هذه الرسالة الهادية وتبليغها، كما كان الشأن لموسى عليه السلام.

4-تلتقي قصة موسى عليه السلام مع موضوع السورة في ما كان من موقف الناس تجاه دعوات الرسل، فهذا فرعون وقومه كان ردهم بالجحود و اختلاق الإدعاءات الباطلة حولها كالقول بأنها سحر، و هذا الحال نفسه ينسحب على من أعرض عن رسالة القرآن زاعما بأنها سحر مفترى، وهذه سنة الله في الدعوات.

5-كما تأتي قصة موسى عليه السلام لبيان عاقبة من ضل، وعاند الحق الصراح، وهو التعرض للعقاب الإلهي العادل، كما حصل لفرعون وقومه، وهذا من باب الإنذار، لذلك رسالة القرآن جاءت هادية ومبشرة لمن نهج سبيلها، ومنذرة من سلك سبيل الشيطان واتبع هواه، فإنه سيتعرض للمصير نفسه.

6- ومن الوشائج التي تربط المقطع الثاني بموضوع السورة، ما عرضت له قصة موسى عليه السلام من إبطال ما كان يدعيه فرعون من ألوهية مزعومة، والإتيان عليها من القواعد، وطرح المفهوم الصحيح في هذا الجانب، وهذا بعض ما تناوله موضوع السورة في معرض الرد على المطاعن التي

أثيرت حول هذه القضايا من المشركين والكفار.

7-إيراد القصص في القرآن الكريم، ومنه قصة موسى عليه السلام بهذه الدقة المتناهية والإحكام الشديد في الإخبار، لهو بعض ما يرشد إليه هذا القرآن الكريم من آثار حكمة الله وعلمه الدقيق.

8-من العلائق الظاهرة بين المقطع الثاني وموضوع السورة، هو مجيء القصص القرآني تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم، وتسلية له عما يلقاه من صدود و تكذيب، ودفعا لما يثار من مطاعن وشبهات، وإنذارا لمن عاند واستكبر، وهو بعض ما حوته رسالة القرآن الكريم في سبيل هداية الناس و تعبيدهم لله عز وجل، ببسط القصص في ذلك.

9-يلتقي المقطع الثاني مع موضوع السورة في مسألة التأييد بالمعجزات، إذ أن موسى عليه السلام لما بعث رسولا، كان لابد من الحجة تؤازر صدق دعواه، وهو ما زود به من الآيات التسع تأكيدا لهذا الجانب، كذلك رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، كانت تحمل في طياتها مؤيدات صدقها ونقائها، وإلا لنبذها القوم، وتفرقوا عنها، وهي أعظم معجزة أيد بها الرسول صلى الله عليه وسلم لتبقى حجة الله على الدهر كله.

وبعرض المناسبات المختلفة بين المقطع الثاني من سورة النمل وموضوعها يظهر جليا الارتباط بينهما بشكل واضح.

خلاصة الفصل الثاني:

إن المقطع الثاني من سورة النمل عرض لقصة نبي الله موسى عليه السلام موجزة، بذكر رسالته إلى فرعون وقومه، لهدايتهم إلى الحق الذي جحدوه رغم مجيء الآيات المبصرة الدالة عليه، وما كان من مآلهم الذي صاروا إليه بما كانوا يفسقون.

كما جاءت آيات المقطع الثاني تؤكد شدة الإحكام، وعمق الترابط، إن على مستوى المقطع، أو بينه وبين موضوع السورة، وذلك بوجود العلائق والوشائج المختلفة.

الفصل الثالث

قصة داود و سليمان عليهما السلام.

من الآية الخامسة عشر إلى الآية الرابعة والأربعين (15- 44)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

من القصص الوارد في سورة النمل، قصة سليمان عليه السلام في هذا المقطع الثالث، وما ذكره الله بشأن النمل والهدهد، وما كان من استقبال ملكة سبأ لرسالته الهادية إلى عبادة الله دون غيره من الموجودات، فكانت النهاية اهتداء وشادا، و كل هذا سيبحث في ما يأتي :

المبحث الأول : أفضال الله على داود وسليمان عليهما السلام.

المبحث الثاني: سليمن عليه السلام وملكة سبأ.

المبحث الثالث: جوانب التناسب في المقطع الثالث من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول

أفضال الله على داود وسليمان عليهما السلام ، وقصته مع الهدهد.

تمهيد :

في هذا المبحث عرض لآلاء الله وأنعمه على عبديه داود وسليمان عليهما السلام، فاتخذاها وسيلة للدعوة إلى الله عز وجل، وفيه أيضا ما يكون من شأن النمل و الهدهد سفير الخير مع سليمان عليه السلام، وسيكون ذلك متناولا في المطالب الآتية :

المطلب الأول : أفضال الله على داود و سليمان عليهما السلام.

المطلب الثاني: قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول : أفضال الله على داود و سليمان عليهما السلام.

هذه هي القصة[1] الثانية من جملة القصص الوارد في سورة النمل، وهي قصة داود[2]، و سليمان[3] عليهما السلام[4]، و قد ابتدأت بذكر ما تفضل الله به عليهما من أنعم جليلة، ومنح جزيلة، «و ما جمع لهما بين سعادة الدنيا و الآخرة، و الملك والتمكين في الدنيا، و النبوة و الرسالة في الدين»[5]، و أبرز ما امتن الله به عليهما من نعمة العلم الواسع مما يتعلق بالدنيا و الدين، فآتى الله كل واحد منهما «طائفة من العلم لائقة به من علم الشرائع والأحكام و غير ذلك مما يختص بكل منهما»[6]، وتنكير علما لبيان العلم الذي احتاجاه تأييدا لرسالتيهما[7]، و أجمل ما أوتي داود عليه السلام و ذكر في سورة أخرى[8]، وفصل ما أوتي سليمان هنا في هذه السورة، يضاف إلى ذلك ما ذكر في سور أخرى.[9]

و نعم الله عز جل يقابلها الاعتراف بها، و التوجه إلى الله بالشكر عليها، وهو ما كان من داود و سليمان عليهما السلام، إذ حمدا الله على ما أولاهما به من النعم، و ما اختصهما به من المواهب والمنن، و التي فضلا بها على كثير من عباده المؤمنين الذين لم يؤتوا مثل ما آتاهما الله عز و جل.

1-ينظر في باب القراءات الواردة في المقطع :

-أبو زرعة:حجة القراءات، ص584.

-أحمد البنا:اتحاف فضلاء البشر، ج2ص324.

-محمد محيسن:الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية،ص584.

-تفسير الميداني:ج9 ص 50.

2- «هو داود بن إيشا بن عويد، يتنهي نسبه إلى إبراهيم عليه السلام». السيوطي:الإتقان، ج5ص1976بتصرف.

3- «هو سليمان بن داود عليهما السلام».المصدر نفسه: ج5 ص 1977 بتصرف.

4- وردت قصة داود عليه السلام في تسع سور من القرآن، منها سورة النمل، وذكر اسمه عليه السلام 16 مرة في القرآن. محمد بسام رشدي الزين: مدرسة الأنبياء، ص267.

ووردت قصة سليمان عليه السلام في سبع سور من القرآن،و ذكر اسمه عليه السلام 16مرة في القرآن. المرجع نفسه، ص2.

5- تفسير ابن كثير : ج 10ص 395.

6-تفسير الألوسي : ج19 ص 169.

7-ينظر:تفسير الطبرسي،ج5ص

8-كما في سورة الأنبياء الآية 80 ، و في سبأ الآية 10-11، و في الأنبياء الآية 78-79، و غيرها من المواضع. ينظر: محمد بسام رشدي الزين: مدرسة الأنبياء، ص 268-269.

9-كما في سورة الأنبياء الآية:163، و الأنعام الآية: 84، وغيرها من المواضع.المرجع نفسه:ص282-283، ومصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 ص 436-439.

وقد تحدثت الآيات عن وراثة سليمان لأبيه داود عليهما السلام من بعده وهي وراثة « نبوته وعلمه وملكه»[1]، وليس وراثة مال، إذلو كان الأمر كذلك لما حيز الميراث لسليمان دون باقي إخوته، ولأن الأنبياء عليهم السلام لا تورث أموالهم، قال النبي صلى الله عليه و سلم من حديث عائشة-رضي الله عنها-: **[لا نورث ما تركنا فهو صدقة]**[2]، ولأن«السياق السباق يأبيان أن يكون المراد وراثة مال كما لا يخفى على منصف»[3]، قال قتادة في الآية:ورث نبوته وملكه وعلمه، و أعطى ما أعطى داود، وزيد له تسخير الريح والشياطين، وكان أعظم ملكا منه، وأقضى منه، وكان داود أشد تعبدا من سليمان، شاكرا لنعم الله تعالى.[4]

وها هو سليمان عليه السلام يعلن في ملأ من الناس مقالته ، متحدثا بنعمة الله عليه، وشاكرا ما حباه الله به من فهمه لمنطق الطير[5]، ولغة الحيوان، وهذا على سبيل الخارقة وليس في معهود البشر، « فما يملك تعليم منطق الطير لبشر إلا الله»[6] وهذه العوالم من العجماوات تنطوي على أسرار وخفايا لا تغيب عن علم خالقها- و منها معرفة منطقها- يخص به بعض أنبيائه و رسله دون سائر خلقه، فضلا منه ونعمة، كما كان الحال لسليمان عليه السلام، فكان يعرف لغاتها، وهو أمر لم يعطه أحد من البشر، ومن زعم من الجهلة أن الحيوانات كانت تنطق كنطق بني آدم قبل سليمان بن داود فهو قول بلا علم، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة، إذكلهم يسمع كلام الطيور و البهائم ويعرف ما تقول، وليس الأمر كما زعموا، بل لم تزل البهائم وسائر المخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا على هذا الشكل، ولكن خص سليمان عليه السلام بفهم منطق الطيور و الحيوان هبة من الله عزو جل[7]، وفي هذا تصديق له بكونه مرسلا من عند الله عز و جل بهذه المعجزة.[8]

1- تفسير ابن الجوزي: ج 6 ص 159.

2-أبو الحسين مسلم بن الحجاج: صحيح مسلم، ترقيم وترتيب:محمد فؤاد عبد الباقي،ط1،دار الأصالة، الجزائر، 2010م، كتاب:الجهاد والسير،باب: قول النبي-صلى الله عليه وسلم-:**[لا نورث ما تركنا فهو صدقة]**،حديث رقم1758، ص426.

3-تفسير الألوسي :ج 19 ص 171.

4-تفسير المراغي : ج 19 ص 127.

5-«وهو صوت تتفاهم به في معانيها على صيغة واحدة، بخلاف منطقنا فإنه على صيغ مختلفة، نفهم به معانيها.»ابن العربي: أحكام القرآن، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1424هـ / 2003 م، ج 3ص 472.

6-تفسير سيد قطب:ج 5 ص 2634.

7-ينظر:مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج 5 ص 440.

8-ينظر:محمد المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ج 4 ص 416.

وزيادة على فهم لغة الطير و الحيوان فقد أعطي عليه السلام« من كل شيء يكمل به ذلك من أسباب الملك والنبوة وغيرها»[1] مما تدعو إليه الحاجة. وتحدث سليمان بهذا كله من باب الاعتراف للمنعم بما تفضل به عليه، وليس تكبرا ولا مباهاة ومفاخرة، ليعلم الناس قدره، ويعرفوا واجب الطاعة له[2]، وهذا مراعاة لقواعد السياسة عند الملوك والحكام وهذا الأسلوب لبيان الكثرة من كل شيء[3]، ومثله قوله تعالى(**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ**)النمل23،والذي أوتيه سليمان عليه السلام من صنوف النعم والعطايا الإلهية، لهو فضل وإحسان من الله عز و جل ظاهر لكل أحد «ولكل من ينظره، الموضح لعلو قدر صاحبه، ووحدانية مفيضه ومؤتية»[4] وختام الآية إعلان من سليمان عليه السلام «هذا البيان فضل الله عليه وعلى أبيه، وأشعر ضمنيا بأن من الواجب عليه تجاه ربه أن يشكر هذا الفضل المبين ، ومن شكره لربه أن يقيم العدل، ويجاهد في سبيل الله حق جهاده، ويكثر من عبادته له بما يرضيه، ولهذا قال بعد ذلك(**رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ**)النمل19.»[5]

ويخرج سليمان عليه السلام في موكب عسكري مهيب، كما تقص علينا الآيات الكريمة، وتجمع له جنوده من كل مكان بترتيب ونظام، من الجن والإنس والطير، والجن[6] أمة مخلوقة من مارج من نار، وقد شملهم التكليف الإلهي كالإنس تماما، وهم يرون البشر ولا يراهم البشر، لقوله تعالى(**إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ**)الأعراف27، ولهذا «سموا جنا لاجتنانهم أي استتارهم عن العيون »[7،8]، وأنهم « قادرون على الوسوسة في صدور الناس بالشر عادة والإيحاء لهم بالمعصية وأن

1-تفسير البقاعي : ج14ص140.

2-ينظر:تفسير ابن عاشور، ج19ص236.

3-ينظر:تفسير المراغي، ج19ص128.

4- تفسير البقاعي: ج 14ص141.

5-تفسير الميداني: ج9ص59.

6- «الجن عالم آخر غير عالم الإنسان وعالم الملائكة، بينهم وبين الإنسان قاسم مشترك في مقدار معين من الاتصاف بصفة العقل بالإدراك والقدرة على التمييز بين الخير والشر، ويفترقون معه في أشياء منها أصلهم الذي خلقوا منه».عمر سليمان الأشقر: عالم الجن والشياطين، مكتبة فلاح، الكويت، 1404هـ/1984م، ص11بتصرف.

7- المرجع نفسه:ص11.

8- ينظر:المرجع نفسه، ص 11 وما بعدها.

منهم المؤمنون و منهم الكفار. كما ورد في سورة الجن(قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا) الجن1-2، وقوله(وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا)الجن14-15»[1]، وأما الإنس فهم معروفون و هذا الحشد الكبير في سيره يرد أوله على آخره، فلا يتقدم أحد عن منزلته، فهم يمنعون بهذا الترتيب والتنظيم من التفريق والانتشار[2] منعا للفوضى، ليكون «ذلك أجدر بالهيبة و أعون على النصرة و أقرب إلى السلامة.»[3] و عند مسير الموكب أشرف على وادي النمل[4]، به نمل كبير، «انتدبت نملة منهم، قد رزقت فطنة شديدة، و معرفة دقيقة»[5] و اهتداء ربانيا،«فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها فبادرت بالإنذار»[6]،آمرة جموع النمل بالوسيلة التي تفاهم بها، و باللغة المخاطب بها، بدخول المساكن المختصة بهم،«فقد عرفت هي و النمل أن لكل طائفة منها مسكنا لا يدخل عليهم فيه سواهم»[7]، و هذا حماية لهم من الكسر دون شعور من سليمان و جنوده، أو قصد منهم للإيذاء، وهذه«النملة تعلم أنها وقومها في قارعة الطريق، و أن هذه طريق سليمان الذي لا بد أن يمر عليه، وليس عليه أن يغير طريقه من أجل النمل، وإنما على النمل أن يراعي حق الطريق فيخليه للمرور و من بقي في الطريق فقد أضر بنفسه.»[8]

و فهم سليمان عليه السلام مقالة النملة لبني جنسها، فانشرح صدره و حصل له الرضا بما وقع من عجيب أمرها[9]،وحسن منطقها، و هداية الله لها في تدبير مصالحها ومصالح بني جنسها،وعميق إدراكها لما اتصف به هو و جنوده من الرحمة والعدل، ولو كان مع مخلوق ضعيف كالنمل،والتزامها جانب التقوى، و بما اختصه الله به دون سائر خلقه من نعمة « تصله بهذه العوالم المحجوبة المعزولـــة

1- مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5ص 441.

2-ينظر:تفسير الميداني،ج 9 ص 62.

3-تفسير البقاعي:ج 14 ص 141.

4- النمل: اسم جنس لحشرات صغيرة ذات ستة أرجل تسكن في شقوق الأرض.تفسير ابن عاشور:ج19ص241.

5- بدايع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم: يسرى السيد محمد طه، دار ابن الجوزى، السعودية، 1427، مج 1ص280 بتصرف.

6-تفسير ابن باديس: مج 2 ص 217.

7- يسرى السيد محمد طه :بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم، مج 1 ص 280.

8-تفسير إبراهيم بيوض :ج 8 ص 48.

9- ينظر:طنطاوي جوهري:الجواهر في تفسير القرآن الكريم،ط2،انتشارات آفتاب، تهران،1350،ج 13 ص137و ما بعدها.

عن الناس لاستغلاق التفاهم بينها و قوام الحواجز.»[1] فكان منه التبسم ضاحكا من قولها «و هذا حال الأنبياء عليهم الصلاة و السلام، الأدب الكامل والتعجب في موضعه ، و أن لا يبلغ بهم الضحك إلا إلى التبسم، كما كان الرسول صلى الله عليه و سلم جل ضحكه التبسم»[2]، و توجه إلى الله متضرعا أن يلهمه دوام الشكر على ما أسداه إليه وإلى والديه من نعم و منها فهم منطق الطير والحيوان ، وأن يوفقه إلى عمل صالح يحبه ويرضاه، و أن يجعله على الدوام و احدا من عباده الصالحين، ويثبت اسمه بينهم، و يدخله برحمته الجنة معهم،قال ابن عباس«يريد مع إبراهيم وإسماعيل ويعقوب ومن بعدهم من النبيين.[3]

وأما قصته مع الهدهد سفير الخير إلى بلقيس وقومها، فهو ما سيكون الحديث عه في المطلب الموالي.

1- تفسير سيد قطب :ج 5 ص 2636.

2-تفسير السعدي :ص 603.

3-ينظر:البغوي، معالم التنزيل، تحقيق:محمد النمر و عثمان ضمرية وسليمان الحرش،[د.ط]، دار طيبة،الرياض،1411هـ،مج 6ص152.

المطلب الثاني:قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام.

و تبدأ هذه القصة الثانية[1] بتفقده عليه السلام كل الطير، و معرفة ما غاب عنه من أحوالها، عناية بأمور ملكه، وقياما بشؤونه، واهتماما برعيته، و ذلك أنه عليه السلام نزل منزلا في بعض أسفاره مع جنده ، بعدما اجتازوا وادي النمل، فاحتاجوا إلى الماء و بحثوا عنه فاستعصى عليهم إيجاده، فطلب سليمان عليه السلام الهدهد[2] فلم يجده، فتساءل عن غيبته، إذ كان قد عرض له مانع يمنعه من رؤيته و هو حاضر مع المجموع، أم كان غائبا في ذلك الوقت فلم يره، فقال متعجبا(**وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ**)النمل20، و قد لاح له أنه غائب، « و يعلم الجميع من سؤال الملك عنه أنه غائب بغير إذن »[3] فلا بد من عقاب المخالف و الأخذ على يديه حفاظا على النظام، فأقسم سليمان عليه السلام على إنزال العقاب بالهدهد، إما بالعذاب الشديد، بنتف ريشه و إلقائه في الشمس تأكله هوام الأرض، أو الذبح، أو تقديم حجة واضحة تبرر غيابه، و تعفيه من وعيد الملك، و يسلم من العقوبة، فسليمان عليه السلام ملك عادل يسمع الحجة،ثم يقضي بعد ذلك بما فيه الحق، و الهدهد لما« فارق وترك الفرجة في صفه و أوقع الخلل في جنسه، استحق العقاب الصارم الذي لا هوادة فيه.»[4]

و غيبة الهدهد لم تطل إذ أقام مدة يسيرة، ثم حضر مجلس سليمان عليه السلام، و هذا « دلالة على إسراعه خوفا من سليمان، و ليعلم كيف كان الطير مسخرا له، و لبيان ما أعطي من

1-ينظر في باب القراءات الواردة في المقطع:

-أحمد البنا: اتحاف فضلاء البشر، ص 324-325.

-ابن خلف: العنوان في القراءات السبع، دراسة و تحقيق: عبد المهيمن الطحان، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية الشريعة و الدراسات الإسلامية ، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، السعودية، 1403هـ ، ص 769 مع الهامش.

-محمد محسين: الإرشادات الجلية، ص 587.

-طاهر بن غليون: التذكرة في القراءات الثمانية، تحقيق: أيمن رشدي سويد، [د.ط]، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، جدة،[د.ت]، مج 2 ص 475.

-الحسن بن عبد الغفار الفارسي: الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، و بشير حويجباتي، ط1، دار المأمون للتراث، 1413 هـ/ 1994، ج 5 ص 383.

2-الهدهد:نوع من الطير وهو ما يقرقر وفي رائحته نتن وفوق رأسه قزعة سوداء.تفسير ابن عاشور:ج19ص245.

و «كانت وظيفة الهدهد على ما ذكره ابن عباس و غيره، أنهم كانوا إذا أعوزوا الماء في القفار في حال الأسفار ، يجيء فينظر لهم الماء تحت الأرض، فاستخرجوه».تفسير ابن كثير : ص 416 بتصرف.

3-تفسير سيد قطب :ج 5 ص 2638.

4-تفسير ابن باديس : مج 2 ص 230.

المعجزة الدالة على نبوته و على قدرة الله.»[1] فأسرع بالجواب و الاعتذار عن الغيبة والدفاع عن نفسه، و قدم بين يدي حديثه ما يضمن إصغاء الملك له،فقال(**أَحَطتُ[2] بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ**)،أنت ولا جنودك من الأمر وخبرته من كل نواحيه وشؤونه، و قص عليه النبأ اليقين ، ذا الشأن الخطير الذي جاء به من سبأ[3] باليمن[4]، فقد وقف على مملكة عظيمة، يخضع أهلها لسلطان امرأة مهابة الجانب، هي بلقيس بنت شراحيل ورثت الملك عن أبيها، ولها من الحكمة والفطانة و الحكم بالعدل ما أهلها لأن تكون ملكة عليهم،(**وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ**)النمل23، يصلح للملك من «حزم وعزم وسطوة و مملكة عريضة كنوزوجنود مجندة و رعية مطيعة»[5]، و مما زاد في عظمة شأنها، أن لها سرير ملك عظيما تجلس عليه بين أهل مملكتها و هو شيء ينبئ عن سبق يعيد في الغنى والرفاهية و رقي المدنية.

و أخبر عنهم الهدهد بأنهم مع مملكتهم قد صرفوا عبادتهم للشمس ، فيسجدون لها من دون الله ، فهم قوم وثنيون[6]، قد تمكن الشيطان منهم بتزيينه لهم هذه الأعمال منهم، من عبادة الشمس و الكواكب، والوقوع في صنوف المعاصي، فرأوا الحق باطلا « وصدهم عن الطريق القويم الذي بعث به الأنبياء والرسل وهو إخلاص السجود و العبادة لله وحده »[7]، فهم لا يهتدون إلى الله و توحيده، وإنما صدهم الشيطان ومنعهم من طريق الحق، حتى لا يسجدوا لله الذي يكشف كل سر مخبوء في السموات وفي الأرض، فيخرج ما كان في عالم الغيب فيجعله في عالم الشهادة العالم،« بيواطن الأشياء وظواهرها، وبما تنطوي عليه السرائر أو تواريه الستائر ،[فهو يعلم الجهر وما أخفى]،و بما هو

1- تفسير أبي حيان: ج7ص 62-63.

2- الإحاطة : العلم بالشيء من جميع جهاته.تفسير البقاعي : ج14ص150.

3-سبأ:اسم عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام.الصنعاني: الأنباء عن دولة بلقيس و سبأ، [د.ط]، مكتبة اليمن الكبرى، 1404 هـ/ 1984 م، ص12-13.

و أطلق هذا الاسم هنا على ديارهم.تفسير ابن عاشور: ج 19 ص 250، وهي«أرض باليمن مدينتها مأرب، سميت بهذا الاسم لأنها كانت منازل ولد سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. ياقوت الحموي: معجم البلدان، [د.ط]، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، مج1ص181.

4- اليمن :جمهورية تقع في آسيا جنوب غربي شبه الجزيرة العربية بين السعودية وسلطنة عمان والخليج العربي والبحر الأحمر، وعاصمتها صنعاء.أشرف طه أبو الذهب:المعجم الإسلامي،ص671.

5-تفسير الطباطبائي :ج19ص356.

6-القوم الوثنيون، هم:« من جعلوا مع الله إلها آخر، أو اتخذوا أي معبود يعبدونه من دون الله» عبد الله ناصح علوان: حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية، [د.ط]، دار السلام، [د.م]،[د.ت]، ص 36.

7- تفسير المراغي:ج 19ص132.

ظاهر للعموم»[1]، قال تعالى نظير القسم الأول من هذه الآية(وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ)فصلت37، وقال تعالى نظير القسم الثاني منها(سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ) الرعد 10، وقال تعالى أيضا(وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ) إبراهيم 38، وقال تعالى (قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ) آل عمران 29.

وهو الله مالك الملوك لا معبود بحق سواه المتفرد بالعظمة والجلالة صاحب العرش العظيم الذي لا يدانيه أي من عروش الدنيا كلها « فلا يستحق العرش العظيم إلا الرب العظيم عز وجل.»[2،3]

و هذا الموقف من الهدهد يدعو إلى العجب العجاب فهو«صاحب إدراك وذكاء وإيمان، وبراعة في عرض النبأ، و يقظة إلى طبيعةموقفه، وتلميح وإيماء أريب، فهو يدرك أن هذه ملكة، و أن هؤلاء رعية، و يدرك أنهم يسجدون للشمس من دون الله، و يدرك أن السجود لا يكون إلا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، وأنه هو رب العرش العظيم»[4]، و بهذا فهو يستحق لقب السفير الناجح في الدعوة إلى الهداية، وسلوك السبيل المستقيم إلى الله عز وجل.

وقد هز سليمان عليه السلام ما هاله من خبر قوم سبإ، حيث عبادتهم للشمس من دون الله، فأجاب الهدهد بالتحقق من حكاية نبإ القوم واختبار مقالته، أصادق هو فيما جاء به، أم هو من الكاذبين فيخلص من العقوبة، فلا يبت سليمان عليه السلام في أمره إلا أن يتثبت من هذا النبأ الخطير، (أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ)،النمل27وهذا يدل على كمال عقله عليه السلام وتمام عدله وثاقب حكمته في النظر في الأمور.

1-تفسير ابن باديس :مج 2 ص 244 .

2-تفسير بيوض إبراهيم بن عمر: ج 8 ص 66.

3-لما كان الهدهد داعيا إلى الخير، و عبادة الله وحده و السجود له نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن قتله ، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال :[**إن النبي صلى الله عليه و سلم نهى عن قتل أربع من الدواب : النملة و النحلة و الهدهد والصرد**].أبو داود سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، تخريج وتعليق:ناصر الدين الألباني،ط2،مكتبة المعارف،الرياض،1424هـ،باب في قتل الذر، رقم5267، ص951، وقال:صحيح.

4-تفسير سيد قطب: ج 5 ص 2639.

وهذا النظر من سليمان عليه السلام في صدق النبأ أو كذبه، ترجمه في كتاب وأرسله مع الهدهد إلى بلقيس وقومها يأمرهم فيه بإسلام الوجه لله تعالى و نبذ ما كانوا يعبدون من دون الله، وطلب من الهدهد أن يلقيه إليهم، ثم يتنحى جانبا تأدبا و ينظر ما يرجع به بعضهم البعض من القول بشأن الكتاب ويأتيه بالجواب.

إن حيوان الهدهد بتصرفه هذا يمثل جانب الداعي اليقظ والنبيه، الغيور على دعوة الحق، فيعلم المسلم استسهال كل صعب من أجل إبلاغها مهما كلف ذلك من أمر.

وأما ما يستخلص من القصة من الهدايات واللطائف القرآنية فسيكون ذلك في المطلب الموالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث:اللطائف المستنبطة.

وردت في المقطع الثالث لطائف وهدايات قرآنية، يمكن استنباطها فيما يأتي:

1- التنويه بشأن العلم وبشرف مكانته وتقدم أهله وحملته فهو « الأصل الذي تبنى عليه سعادة الدنيا والآخرة، وأنه الأساس لكل أمر من أمور الدين والدنيا، وأن الممالك إنما تبنى عليه وتشاد، وأن الملك إنما ينظم به ويساس»[1]، وفي هذا ترغيب في طلبه والجد في تحصيله.

2- « بيان فضيلة داود وسليمان واختصاص الله لهما بخصائص ليس لغيرهم »[2]، وهذا لكرامة الر سل عند الله عز وجل.

3-بيان الآيات ما كان « من موقف سليمان تجاه نعم الله عليه،إذ كان حر يصا على استخدامها في الدعوة إلى الله عز وجل وهداية الناس إلى سبيله.»[3]

4- « يجوز الفرح بنعمة الله وإظهار ذلك في معرض حمد الله عليها، قال تعالى (**قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ**) يونس58. »[4]

5- هدايات الله عز وجل في مخلوقاته كلها، ومنها النملة والهدهد، « فالنملة بجمال منطقها وحسن تدبيرها لمصالح قومها، وإدراكها بالفطرة وجود خالقها ورازقها، والهدهد بعلمه بحقيقة التوحيد وعداوة الشيطان لبني آدم وتزيينه الضلال لهم، وعلمه بأن السجود لا يكون إلا لله عز وجل، والحرص على هداية الناس مهما كثرت الصعاب في هذا الطريق»[5] ، وهي رسالة عملية في الدعوة إلى الله عز وجل من حيوان ضعيف يعلمها الداعي إلى الله عز وجل،كما ورد في قصة النملة والهدهد في السورة.

6-في قوله تعالى(**أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**)النمل25، بيان أن المستحق للعبادة وحده هو الله عز و جل، الذي يكشف المخبوء في السماء والأرض، العالم بما خفي و ما أعلن.

7- دلت الآية (**يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ**)النمل25، على

1-تفسير ابن باديس: مج 2 ص 201.

2-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 ص 444.

3- علاء الدين محرم: قصص من القرآن، ط1، مطبعة الاتحاد، مصر، 2008، ص 88 بتصرف.

4- تفسير ابن باديس :مج 2 ص 212-213 بتصرف.

5- علاء الدين محرم: قصص من القرآن، ص 89 بتصرف.

وصف الله بالقدرة و العلم[1]، و هو رد منهم على الآلهة المزعومة التي تعبد من دون الله بتزيين من الشيطان لعبادة للشمس من قوم سبأ،و هي وسيلة للداعية يستفيد منها في دعوته إلى الله عز وجل.

8-في الآيات دليل على تفقد لإمام أحوال رعيته، و النظر في شؤونهم و المحافظة عليهم.[2]

9 -«في[الآيات]دليل على اتخاذ الإمام و الحكام وزعة يكفون الناس و يمنعونهم من تطاول بعضهم على بعض، إذ لا يمكن الحكام ذلك بأنفسهم.»[3]

10-بيان الآيات ما كان عليه نظام الجندية عند سليمان من انضباط تام، وتنظيم محكم، فالنظام أساس كل مجتمعواجتماع، وأنه لا غنى للقوة والكثرة إلا بو جود النظام.[4]

11-في موقف النملة بيان لما ينبغي أن يكون عليه القائد في أمته من «بعد النظر و صدق الحدس، و صائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمور قبل وقوعها، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع.»[5]

12-بيان الآيات في موقف سليمان عليه السلام مع الهدهد بعض مميزات القائد نحو جنوده، من حزم و صرامة في التعامل عند الإخلال بالواجب، تذكيرا بالمسؤولية و إظهارا للعبرة، و درءا لمفسدة الفوضى والتسيب.

13-بيان الآيات لمسألة قبول العذر وسقوط المخالفة، وذلك عند تقديم الحجة، كما كان من صنيع سليمان عليه السلام مع الهدهد، وفي السياق نفسه « إن المخالف للأمر من غير انتهاك للحرمة لا يؤاخذ بتلك المخالفة.»[6]

14- في قوله تعالى(**أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**) النمل21، يفهم منه جواز التصرف للمرؤوس دون انتظار الإذن من رئيسه لمصلحة الجماعة الذي لا يستدعي التأخير، و على الرئيس تقدير اجتهاد المرؤوسين، والتماس العذر لهم.[7]

15- في قوله تعالى(**اذْهَب بِّكِتَابِي هَـٰذَا**) النمل28، دليل على إرسال الكتب إلى المشركين وتبليغهم الدعوة، و دعائهم إلى الإسلام، كما فعل النبي -صلى الله عليه و سلم- مع ملوك وأمراء

1-تفسير الرازي: ج24ص192.
2-ينظر:تفسير القرطبي،ج 16 ص 131.
3- المصدرالسابق: ج 16 ص 118.
4-ينظر:تفسير ابن باديس،ج2 ص 202.
5-المرجع نفسه: مج 2 ص 203.
6-المرجع نفسه : مج 2 ص 234.
7-تفسير الشعراوي :ص10768.

عصره[1].

16- في الآيات « دليل على أن الحد على قدر الذنب لا على قدر الجسد.»[2]

17- يؤخذ من الآيات مسألةالتحري في تلقي الأخبار والتثبت منها، و هذا في باب العلاقات العامة فالحكم والأسرة، والعلاقات الاجتماعية و غيرها.

18-ما كان في جواب الهدهد لسليمان عليه السلام من تنبيه على براعته في تجسيد الرسالة الإعلامية بامتياز، و في هذا تعليم منه لعملية أداء الواجب الإعلامي، والتعامل مع الأخبار.

19 -و في باب الإعجاز القرآني تلوح أنواع منه، يمكن ذكر بعضها:

أ- ما كان من إعجاز بلاغي في مثل قوله تعالى(**قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ**) النمل18، حيث اشتملت الآية على أحد عشر نوعا من البلاغة يتولد بعضها من بعض:أولها:نادت بـ"**يا**"، و ثانيها:كنت بـ"**أي**"، و ثالثها:نبهت بـ "**ها**" التنبيه، و رابعها: سمت بقولها : "**النمل** "، و خامسها: أمرت بقولها "**ادخلوا**"، وسادسها:نصت بقولها "**مساكنكم**"، و سابعها: حذرت بقولها"**لا يحطمنكم**"، و ثامنها: خصصت بقولها "**سليمان**"،و تاسعها: عممت بقولها"**وجنوده**"، و عاشرها:أشارت بقولها:"**وهم**"، و حادي عشرها عددت بقولها:"**لا يشعرون**"[3].

ب- و من أسرار الإعجاز اللغوي: نظامه الصوتي البديع بجرس حروفه، حين يسمع الإنسان حركاتها وسكناتها، ومداتها، وغناتها، و فواصلها، و مقاطعها، فلا تمل أذنه السماع، بل لا تفتأ تطلب المزيد[4]، و هذه الحقة ماثلة في آيات سورة النمل، و كمثال على ذلك(**وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ**)، فقوله تعالى(سبأ)، (نبأ) يظهر فيه نظام الصوت البديع، بجرس الحروف فيما يسمى تجانس الحروف، فلو قال(خبر) مكان (نبأ) لم يختل المعنى، ولكن تفوت فائدة الكلمة و تأثيرها في الموضع.

جـ- ما كان من إعجاز تشريعي في سن الأحكام والقواعد و النظم التي تحكم الأفراد و المجتمعات والأمم، وتنتظم شؤون الاجتماع والسياسة والاقتصاد، ومنها:

-سياسة الأمة بالحق والعدل دون حيف ولا جور.

1-ينظر:تفسير القرطبي،ج 16 ص 145.

2-مصطفى مسلم : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص445.

3-ينظر:محي الدين الدرويش،إعراب القرآن وبيانه، مج5ج19ص497.

4-ينظر:سامي محمد هشام حريز،نظرات من الإعجاز البياني،ص47.

-رفض الهدايا وردها إن اشتملت على ما يفهم منه المساومة على ترك الحق، والتغاضي عن إقامته، كما هو صنيع سليمان عليه السلام مع هدية بلقيس، للحيلولة دون تبليغ دعوته.

د-ما كان في هذا المقطع من إعجاز غيبي تاريخي في حكاية الأحداث الغابرة بدقة متناهية و إحكام شديد،لا يتأتى في مصدر إخباري آخر، دلالة على مصدرية القرآن الكريم، وأنه وحي من عند الله سبحانه وتعالى.

هـ- إعجاز علمي في قوله تعالى(**لَا يَحْطِمَنَّكُمْ**)، وأن جسم النملة يحتوي على نسبة كبيرة من مادة الزجاج.[1]

و- إعجاز عددي حيث إن « سورة النمل هي السورة 27 في ترتيب المصحف، وعدد آياتها 93 آية، حيث تبدأ سورة النمل بالحرفين (ط- س)، وإذا عرفت هذا فإليك الملحوظة الآتية:

تكرر حرف (ط) في سورة النمل 27 مرة، وهذا هو ترتيب السورة في المصحف.

تكرر حرف (س) في سورة النمل 93 مرة، وهذا هو عدد آيات السورة.»[2]

20- و في ««معاملة الحيوان تكون عقوبته متجاوزة المعتاد في أحواله، و تشمل ما يحصل منه من أذى كالهر يخرج عما كان معتادا ،والنمل يؤذي و لم يقدر على تركها فهذه تقتل.»»[3]

لقد آتى الله عز وجل داود و سليمان عليهما السلام أفضالا عديدة، و آلاء متنوعة، فأديا شكر الله على ما أنعم، و كان من ذلك ما ألهم الله سليمان عليه السلام من فهم منطق النمل الذي يمثل جانبا من هداية الوجود كله، وما ذكر من قصته مع حيوان الهدهد الذي كان مثال السفير الناجح لدعوة الخير والهدى إلى بلقيس و قومها، و قد فطر على معرفة الله و استحقاقه للعبودية دون غيره من مخلوقاته.

و في المبحث الثاني سيكون الحديث على استقبال بلقيس و قومها لدعوة سليمان عليه السلام الهادية إلى الطريق الصحيح للعبودية، و ما كان من موقفهم تجاهها.

1-ينظر: موقع ويكيبيديا،www.wikipedia.org، الموسوعة الحرة.

2- بسام جرار:أمثلة مختارة من الإعجاز العددي، موقع:www.islamnoon.com، 5رجب 1422هـ/22-9-2001.

3-تفسير ابن عاشور:ج 19ص 247 بتصرف.

المبحث الثاني
سليمان عليه السلام و ملكة سبأ.

تمهيد :

مواقف الأقوام من دعوات أنبيائهم متباينة، وفي هذا المبحث بسط لما كان من حال ملكة سبأ وقومها مع دعوة سليمان عليه السلام إلى الخير و الهدى، بالوقوف على حقيقتها، وما انتهى إليه الأمر من الاهتداء والرشاد، وهذا سيبحث ضمن المطالب الآتية :

المطلب الأول: استقبال ملكة سبأ لكتاب سليمان عليه السلام وجوابها عليه.

المطلب الثاني: رد سليمان عليه السلام على موقف ملكة سبأ، وإحضار عرشها بين يديه.

المطلب الثالث: قدوم ملكة سبأ على سليمان عليه السلام وإعلان إسلامها.

المطلب الرابع: أهم اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: استقبال ملكة سبأ لكتاب سليمان عليه السلام و جوابها عليه.

تبدأ قصة[1] ملكة سبأ بتلقيها كتاب سليمان عليه السلام الذي جاء به الهدهد إليها من عنده، ففتحته واطلعت على ما فيه، وجمعت الملأ من قومها من خاصتها وأهل الرأي و المشورة عندها، تستشيرهم فيما عرض لها من الأمر الخطير و أخبرتهم بقصة الكتاب الكريم،« لما تضمنه من لين القول و الموعظة في الدعاء إلى عبادة الله، و حسن الاستعطاف و الاستلطاف من غير أن يتضمن سبّ و لا لعنا، و لا ما يغير النفس، ومن غير كلام نازل و لا مستغلق على عادة الرسل في الدعاء إلى الله عز وجل»[2]، و أن مضمونه (بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ) النمل30-31، في « استفتاح شريف بارع فيه إعلان الربوبية ثم الدعوة إلى توحيد الله والانقياد لأمره»[3]، هكذا في عبارات مختصرة وجامعة، تلخص محتوى الرسالة وتدل على كمال المقصود، بنهيهم عليه السلام عن الترفع وإتباع الأهواء، ودعوتهم إلى الانقياد له و الدخول تحت طاعته مستسلمين لله عز وجل، و قد جمع الكتاب بهذا « كل ما لا بد له منه، في الدين و الدنيا.»[4]

و طلبت الملكة بلقيس مشورتهم في أمر الكتاب بعد ما أطلعتهم على فحواه، و هذا دلالة على رجاحة عقلها، و حصافة رأيها في هذا التصرف، فلم يكن من عادتها أن تقطع بأمر دون الرجوع إليهم ومشورتهم،«فكانت عاقلة حكيمة مستشيرة لا تخاطر بالاستبداد بمصالح قومها، ولا تعرض ملكها لمهاوى أخطاء المستبدين.»[5]، و رد عليها الملأ بأنهم قوم أهل قوة و قدرة على القتال والمجابهة و الدفاع عن المملكة، ثم فوضوا إليها الأمر لترى ما هو الأصلح لها و لهم، لعلمهم بحسن نظرها وسديد رأيها، ولذلك بادرت بإعلامهم بطبيعة ملوك الدنيا وعادتهم في الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل، واستعباد الناس بالقهر والإذلال حين الغلبة والتمكن، و هي تخاف على قومها

1-ينظر في باب القراءات الواردة في هذا الجزء:

-محمد الرعيني الأندلسي، الكافي في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود عيسى عبد السميع الشافعي، ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، 1421 هـ/ 2000م،ص174.

-أبو زرعة : حجة القراءات، ص 529.

-تفسير ابن الجوزي: ج 6 ص 178.

-الحجة في القراءات السبعة،ج 5 ص 391.

-محمد محسين: الإرشادات الجلية، 588و592.

2-تفسير القرطبي:ج 15 ص 151.

3-تفسير الصابوني:ج 2 ص 408.

4-تفسير المراغي :ج 19 ص 135 بتصرف.

5-تفسير ابن عاشور:ج 19 ص 263.

وبلادها، و تحذر من محاربة سليمان عليه السلام و قتاله بما لا طاقة لهم به، فإن الحكمة -و الحال هذه- تقضي بإيثار المهادنة والمسالمة و تجنب ويلات الحرب، وذلك بإرسال هدية عظيمة من نفائس الأموال على سبيل التقرب و التودد إلى سليمان عليه السلام لتعرف حاله وتختبر أمره، « فإن كان ملكا دنيويا أرضاه المال وعملنا معه بحسب ذلك، وإن كان نبيا لم يرضه المال و لازمنا في أمر الدين ، فينبغي لنا أن نؤمن به ونتبعه على دينه»[1] على حسب قولها، وكان هذا هو الرأي السديد، فـ«رحمها الله ورضي عنها ما كان أعقلها في إسلامها و في شركها، علمت أن الهدية تقع موقعا من الناس.»[2]

إن الحكمة نعمة إلهية يمن بها الله عز وجل على من يشاء من عباده، وهذه الملكة برغم كفرها لم تعاند الحق الذي أنبئت به بل كانت ذات عقل راجح ولب راشد محصت به دعوة سليمان عليه السلام.

وفي المطلب الموالي بيان لموقف سليمان مما كان من حال ملكة سبأ مع دعوته.

1-تفسير القرطبي :ج 16 ص 156.

2-تفسير ابن كثير:مج 10 ص 405.

المطلب الثاني:رد سليمان عليه السلام على موقف ملكة سبأ، وإحضارعرشها بين يديه.

لا تزال الآيات الكريمة في سياق قصة ملكة سبأ مع سليمان عليه السلام، فتطوى-كشأنها في مجاوزة الأمور التي لا يتعلق بها كبير فائدة – حكاية إعداد الهدية و إرسالها إلى سليمان عليه السلام تقربا و توددا، وتقف على وصول رسل الملكة إليه، و مثولهم بين يديه، فإذا هو ينكر عليهم صنيعهم، و يعرض عما جاءوا به، و يقول أتمدونني بمال لأترككمعلى شرككم و كفركم، فما وهبني الله من النبوة والحكمة والملك و المال خير مما أتاكم، بل أنتم الذين تفرحون بمثل هذه الهدايا و تستعظمونها ،« و تهشون لهذا النوع من القيم الرخيصة التي تعني أهل الأرض الذين لا يتصلون بالله، ولا يتلقون هداياه»[1]، و لا أقبل منكم إلا الدخول في الإسلام و البراءة من الشرك.

وتوجه إلى وفد الملكة بالخطاب رافضا هديتهم، وتوعدهم بملاقاتهم بجيش كبير لا طاقة لهم به على قتاله ومدافعته، وإخراجهم من بلادهم وإجلاؤهم جميعا عنها، ويغنم أموالهم و يصيروا أذلة صاغرين إن لم يأتوا إليه طائعين مستسلمين .

وتطوي الآيات حكاية عودة رسل الملكة إليها وإطلاعها على ما كان من أمر سليمان عليهم السلام فاستجابت و تجهزت مع أشراف قومها للقدوم عليه و الوقوف بين يديه مطيعة لسليمان و معلنة الدخول في دين الله هي وقومها ، و متابعة سليمان في دعوته.

و تذاكر سليمان عليه السلام مع جلسائه من أشراف جنده من الجن و الإنس أمر إحضار عرشها بين يديه، وصنيعه هذا ينبئ على تأييد الله له بما يشهد على عظيم قدرة الله، وحقيقة نبوته و صدق دعوته، قبل أن يأتوا إليه مستسلمين طائعين، فقال(**أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ**)،النمل38، فأجابه عفريت[2] من الجن بقدرته على إحضار عرشها على كبره و ثقله قبل انتهاء مجلس سليمان عليه السلام، مع قدرته على حمله، وهو أمين على ما فيه، و«كان سليمان يجلس للحكم و القضاء إلى انتصاف النهار »[3]، فاستبطأ سليمان –عليه السلام– هذه المدة واستطولها، و قال أريد أعجل من ذلك، فأجابه من كان (**قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ**) النمل40، أي « عالم من علماء أسرار الكتاب الإلهي، أن يحضره في لمح البصر قبل أن يغمض سليمان عليه السلام عينيه،

1-تفسير سيد قطب :ج 5 ص 2640

2-العفريت : المارد من الجن.تفسير ابن كثير : مج10ص407

3-تفسير الطبري:ج 18ص67 بتصرف.

وقبل أن يرجع إليه نظره»[1]، ولا يذكر اسم هذا الرجل ولا ما عنده من علم الكتاب، وإنما الذي يفهم من ذلك أنه « رجل مؤمن على اتصال بالله، موهوب سرا من الله يستمد به من القوة الكبرى التي لا تقف لها الحواجز والأبعاد... ولم يكشف سره ولا تعليله لأنه خارج عن مألوف البشر في حياتهم العادية.»[2]

وعاين سليمان عليه السلام عرش بلقيس حاضرا عنده ورآه قائما بين يديه في لمح البصر، فتوجه إلى الله عز وجل بالشكر على ما أولاه من نعم، وأجرى على يديه من الخوارق فقال هذا من فضل الله علي، واستشعر أن النعمة على هذا النحو ابتلاء ضخم تنوء بحمله الأنفس، وتقصر دونه الألسن، هل يشكر فضله وإحسانه أم يجحده، «والشكر في حقيقته يعود نفعه على شاكره، كدوام النعمة وزيادتها في قوله تعالى(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ)إبراهيم7، وحصول الأجر عليها في الآخرة »[3]، ومن جحد فضل الله وإحسانه وآلاءه، ونعمه، فلا يضر الله شيئا، وهو سبحانه غني عن عباده، « كريم في نفسه، وإن لم يعبده أحد، لا يقطع النعمة عن عباده بسبب إعراضهم عن شكره، قال تعالى(وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ)إبراهيم8. »[4]

وأمر سليمان عليه السلام جنوده بتغيير بعض معالم عرش بلقيس، أي بعض أوصافه، لاختبار عقلها وذكائها بما يليق بملكها، « فيكون ذلك سببا لهدايتها في الدين. »[5]

وفي المطلب الموالي عرض لما كان من موقف ملكة سبأ من دعوة سليمان عليه السلام، وذلك بعد تحققها من أمرها ويقينها بصدقها.

1-الزحيلي: التفسير المنير ، ج 19ص302 بتصرف.

2-تفسير سيد قطب :ج5ص 2641.

3-تفسير الميداني :ج9ص 92 بتصرف.

4- الزحيلي: التفسير المنير، ج 19ص303.

5-تفسير البقاعي:ج14ص 167.

المطلب الثالث : قدوم ملكة سبأ على سليمان عليه السلام و إعلان إسلامها.

تحكي الآيات الكريمات قدوم ملكة سبأ بلقيس على سليمان عليه السلام، وعرضه العرش عليها، وقد كان فيه تغيير بعض معالمه، كما أمر هو عليه السلام، سئلت عنه – و قد تركته خلفها ببلاد سبأ مقفلا عليه، وقد أقامت عليه الحراسة– فقيل لها: أمثل هذا العرش الذي رأيته عرشك؟ فأجابت بما يدل على رجاحة عقلها، و بالغ فطنتها بأنه يشبهه و يقاربه(**قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ**) النمل42، « فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لما رأت من آثاره وصفاته وإن غير و بدل و نكر»[1]، وفي جوابها ذكاء وحكمة تدل على كمال عقلها ودهائها وثبات شخصيتها، وأنها في غاية الذكاء و الحزم، «فشبهت عليهم من حيث شبهوا عليها»[2]، و قالت إتماما لكلامها أنها أوتيت العلم بقدرة الله عز وجل و صدق نبوة سليمان عليه السلام قبل هذا، بما علمته من أمره عليه السلام مع قصة الهدهد و رفض الهدية، و«كانت منقادة مسلمة لله قبل قدومها عليه»[3]، و الذي منعها من إظهار إسلامها إلى هذا الوقت والاعتراف بوحدانية الله، عبادة الشمس و القمر حيث أنها نشأت في قوم أهل كفر يعبدون الشمس، فاتبعتهم في كفرهم وضلالهم.

و أعد سليمان عليه السلام قبل قدومها عليه قصرا عظيما شامخا، و هذا مزيد بيان لها بما حباه الله به من النعم، وأكرمه من الخوارق، وكان هذا القصر« صحنه من زجاج أبيض شفاف يجري من تحته الماء، وألقى فيه دواب البحر من سمك وغيره»[4]، و أمرت بدخوله، وحسبت أنها ستخوض لجة[5] ماء، فكشفت عن ساقيها لئلا تبتل ثيابها، فأخبرها سليمان عليه السلام بأنه قصر صنع« من الرخام الأمرد ذي السطح الأملس، ومن الزجاج الصافي، و أن الماء يجري تحته فيه، فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء»[6]، وبهر الملكة بلقيس ما عاينته من ملك سليمان عليه السلام وعز سلطانه، و ما أيد به من المعجزة فأدركت أنها كانت على غير هدى، فأعلنت في يقين رجوعها إلى الله، و اهتداءها إلى توحيده وعبادته مع سليمان عليه السلام، و توبتها مما ظلمت به نفسها من ثباتها على الشرك وإقامتها عليه، قائلة(**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**) النمل44.

1–مصطفى مسلم : التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 ص 454.

2–الزحيلي: التفسير المنير ، ج 19ص304 بتصرف

3–تفسير الألوسي: ج 19ص207 بتصرف.

4–تفسير المراغي : ج 19ص144

5–اللجة: الماء الغمر الكثير.تفسير الصابوني: ج2ص410.

6–الزحيلي : التفسير المنير ، ج 19ص305–306.

وهذه الملكة برغم ما أوتيت من أسباب الملك، لم يغرها ما فيه من قوة ومنعة، بل عندما وصلتها دعوة سليمان عليه السلام وأقامت على صدق نبوته، وعاينت ما أيد به من معجزات، لم تستنكف عنها بل استقبلت كتاب سليمان بالتوبة من الشرك وإسلام الوجه لله عز وجل بعد ظهور الدلائل، وهذا الموقف منها مناقض تماما لما كان عليه كفا مكة و كان ينبغي عليهم أن يسلكوا طريقها و يقتفوا آثارها، فينظروا في أمر هذه الدعوة، ويستبينوا حالها، ولكنهم استنكفوا عنها استكبارا وجحودا، « وما هذا إلا لسخافة أحلامهم أو لعمايتهم عن الحق وتمسكهم بالباطل وتصلبهم فيه»[1]، رغم وضوحها.

إن موقف الملكة أنموذج لمن يقف على حقائق الأمور بتبصر وروية، فيعرف الحق من الباطل، وما أسعد الواحد إذا كان كذلك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تفسير ابن عاشور :ج19ص277.

المطلب الرابع : اللطائف المستنبطة .

ينطوي هذا المبحث على جملة من لطائف وهدايات قرآنية، يمكن استنتاجها فيما يأتي :

1-« إلتزام الشورى في الشؤون العامة، وعدم الاستبداد بالبث فيها وتصريفها ودعوة أهل الحل والعقد للنظر فيها، وعرض ما جد من الأحداث على أنظارهم دون تحفظ ولا اختزال»[1]،كما هو صنيع ملكة سبأ مع قومها في السورة.

2-« تصدير الكتب و المراسلات ب: بسم الله الرحمان الرحيم، وهو استفتاح شريف في مبناه، فريد في معناه، ثم ذكر المرسل للكتاب قبل اسم المرسل إليه »[2]، كما هو شأن رسالة سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ، قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ ﴾ النمل30.

3-« ما يجب أن تكون عليه الرعية ونوابها من نصرة الراعي والاستعداد لبذل النفس والنفيس في حماية الأوطان، و الدفاع عنها كلما توقعت خطرا أو تعرضت لخطر، و الالتحام التام بين الراعي والرعية، مع الاعتراف بالمنزلة السامية التي تمتاز بها الرياسة القومية »[3]، وهو حال قوم سبأ مع ملكتهم.

4-«ما ينبغي أن يكون عليه الراعي من حصافة الرأي وتقليب وجوه النظر، و الجنوح إلى الوسائل السلمية في معالجة المشاكل السياسية ، بدلا من الوسائل الحربية »[4]، وهو ما كان من صفات ملكة سبأ.

5-من صفات الأنبياء قبول الهدية، و كان ذلك سنة للنبي صلى الله عليه و سلم[5]، وهي مندوب إليها تورث المودة و تذهب العداوة.

6- إن ما حباه الله به قريشا من نعم جليلة، من رغد العيش وأمن البلد يجعلها تسير في ركب الاهداء إلى الله، ولا تقابل هذه النعم بالكفر و الجحود، فهذا سليمان عليه السلام كان مثال العبد الشاكر على ما أولاه الله به من لنعم، فسخرها في الدعوة إلى دين الله و هداية الناس إليه، كموقفه لما ألهته الخيل الجياد عن صلاة المساء حتى غابت الشمس، فجعل يعقرها بسيفه في سوقها و أعناقها، تقديما لمحبة اللهعز وجل و رضاه عما سواه، فعوضه الله عز وجل خيرا من ذلك بتسخير الريح الرخاء

1-المكي الناصري:التيسير في أحاديث التفسير، ص 426.

2-المرجع نفسه : ص 420.

3،4-المرجع نفسه : ص 426.

5-ينظر:تفسير القرطبي،ج 16ص159-160.

اللينة له تجري بأمره حيث أراد.[1] قال تعالى﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ص31-40.

7-سنة ملوك الدنيا الغزاة عند دخول البلاد هي الإفساد وإهلاك الحرث والنسل، واستباحة الحرمات وإذلال الشرفاء، و استصحاب ذلك على ما يفعله المستعمر بالشعوب المغلوبة على أمرها عبر التاريخ.

8-« فضيلة ملكة سبأ ومسارعتها إلى الإسلام فور ظهور الدلائل و البينات، وهكذا شأن المنصف العاقل.»[2]

9-«ثبوت الكرامات[3] للأولياء وأن الله تعالى يظهر على أيدي عباده ما يشاء من خوارق العادات.»[4]

10- بيان ما أيد به سليمان عليه السلام من الخوارق تنبيها على قدرة الله عز و جل المطلقة، و تصديقا لنبوة سليمان عليه السلام.

11- بيان ما للمؤثرات المختلفة كالبيئة والرفقة و غيرها من أثر على فطرة الإنسان، إذ الأصل أن الإنسان خلق على فطرة مستقيمة ومهتدية،﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الروم30 ولكن قد تنحرف بتعرضها لهذه المؤثرات المختلفة.

12-« للقيام بدور الخلافة في الأرض على الوجه الصحيح لابد للحاكم أن يأخذ بطرفي المعادلة ويوازن بينهما، و ذلك :

1-ينظر:تفسير السعدي:ص 713-714.

2- مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 صفحة 457.

3-الكرامات:الكرامة:أمر خارق للعادة يظهره الله تعالى على يد ولي من أوليائه تكريما له، أو نصرة لدين الله. عامر عبد الله فالح : معجم ألفاظ العقيدة،ط1، مكتبة العبيكان، الرياض،1417هـ/1997م، ص332.

4-مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 ص 457.

أ- باتخاذ الأسباب الظاهرة التي تمكن من التصرف حسب سنن الله في هذا الكون لتسخيرها للمصالح المعتبرة.

ب- والاعتماد على الأسباب الخفية الغيبية (الإيمان بالغيب، بالوحي)، لإقامة العلاقات البشرية على ضوء الهدايات المستمدة منه.»[1]

13- ينطوي المقطع على مظاهر الإعجاز :

أ- إعجاز عددي : في عبارة بسم الله الرحمان الرحيم، إذ أن عدد أحرفها 19 حرفا.

ب- إعجاز بياني: في لفظ الشكر (**أأشكر**)، بدل الحمد، « لأن الشكر أخص من الحمد، فهو على النعمة خاصة، وهو بالقلب واللسان والجوارح »[2]، وهو هنا في مقابل النعمة في الموضعين، ولذلك جاء لفظ الشكر دون الحمد، لأن الحمد أعم منه « فهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها.»[3]

جـ- في قوله تعالى **(كَأَنَّهُۥ هُوَ)** النمل أتت بلقيس بضميرين عند تشبيهها لعرشها، الضمير الأول المتمثل في (كأن)، والثاني المنفصل (هـ) لإيجاد وجه الشبه بين الصرحين، فأتت إيجازا بهذين الضميرين اللذين كونا هذا التشبيه ليؤديا تلك الهيئة المعجزة في الآية.[4]

د-إعجاز غيبي تاريخي: في قص أحوال من سبق بتلك الدقة المتناهية في الإخبار، و الإحاطة بالأحداث جملة وتفصيلا.

إن موقف ملكة سبأ وقومها من رسالة سليمان عليه السلام متباين تماما لما استقبل به فرعون وقومه رسالة موسى عليه السلام، بمعاينتها لكتابه و اختباره بالهدية، وما كان من رده على ذلك، ثم قدومها عليه وإعلان إسلام الوجه بين يديه ، عقب يقينها بدعوته.

وفي المبحث الموالي استعراض لجوانب العلاقات التناسبية المختلفة في المقطع الثالث من سورة النمل.

1-مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي،ص302.

2-مختار عطية:الإيجاز في كلام العرب، [د.ط]، دار المعرفة الجامعية، مصر،[د.ت]، ص 150.

3-تفسير الزمخشري :ج1ص111.

4-ينظر:مختار عطية، الإيجاز في كلام العرب، ص256.

المبحث الثالث
جوانب التناسب في المقطع الثالث من سورة النمل.

تمهيد :

من تمام التناول للمقطع الثالث من سورة النمل بحث العلاقات التناسبية المختلفة، لما لها من أهمية في بابها، وهذا ما سيكون متناولا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الثالث من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني : تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الثالث من سورة النمل فيما بينها.

إن التأمل مليا في المقطع الثالث من السورة من كل جوانبه، يظهر بلا شك وجوها من العلائق والارتباطات في شكله الظاهري عموما، و حين التعرض لآياته.

فالمقطع يحكي حلقة من قصة داود و سليمان عليهما السلام، فيبدأ بما أولاهما الله به من أنعم جليلة، وينعطف سريعا بعد ذلك إلى الوقوف على تفاصيل حلقة سليمان عليه السلام، وما أوتيه من نبوة وملك وعلم، و توجيهها في سبيل الدعوة إلى الله عز وجل، والتي كانت مآلها اهتداء بلقيس و قومها إلى الله عز وجل، وإسلام الوجه له سبحانه.

و بداية المقطع الثالث إفصاح عن أبرز النعم التي أوتيها آل داود عليه السلام، وهي العلم، و أشير إلى داود ثم عطف عليه ابنه سليمان عليه السلام«و تقديم ذكر داود ليبني عليه ذكر سليمان عليه السلام، إذ كان ملكه ورثه من أبيه داود عليه السلام.»[1]

و مما أوتيه سليمان عليه السلام أن ورث عن أبيه النبوة والعلم والملك، فشكر الله عز وجل على ما أولاه به، ونبه الناس على ما شرف به، فعطفت جملة ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾النمل16، على قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ﴾النمل16، ذاكرا بعض ما أنعم الله به عليه من معرفة منطق الطير[2]، و«ما أوتيه من كل خير الدنيا يصلح للملك والسيادة، و هذا كله داخل في جملة ما ورثه من نبوة وعلم و ملك»[3]، فله تعلق وارتباط بقوله تعالى﴿وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾النمل، مضافا إليه مما هو من صنف الخوارق ما كان من ذكر حشر الجنود المسخرة له من جن و إنس وطير، وهي تصديق لما أخبر عنه مما أوتيه.

و مما هو من تعليم منطق الطير ما يعلم منه فهم منطق غيره من الحيوانات بالأحرى، كفهم منطق النمل في قوله تعالى﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا ﴾النمل19، و فيه دلالة على أنه علم منطق كل صنف من أصناف الحيوان[4]، وهذا على وجه الخارقة له عليه السلام، إذ أنها نبهت بني جنسها، و أرشدتهم إلى دخول المساكن، تجنبا للحطم والكسر من طرف جيش سليمان،﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن

1-تفسير ابن عاشور: ج 19ص233.

2-«وعلم منطق الطير أوتيه سليمان من طريق الوحي.»المرجع نفسه: ج 19ص236.

3-تفسير الرازي : ج 24ص186 بتصرف.

4-تفسير ابن عاشور: ج 19ص237.

قَوْلِهَا)النمل19، مدركا مقالة النملة، وما فيه من حسن المنطق، وتوجه إلى الله متضرعا بالدعاء(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ)النمل19، فالمقام مقام عرفان لمسديها عز و جل.

و من جوانب التناسب ما كان منه عليه السلام من القيام بأحوال وشؤون رعيته، و النظر فيها، فاحتاج إلى الهدهد، فلم يجده بين الطير هو غائب، ولذلك استحق العقوبة(لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ)النمل21، يدرأ عنه ما وجب عليه من العقاب.

وجملة (فَمَكَثَ)، الفاء لتفريج الحكاية عطفت جملة على جملة، فغيبته لم تطل، وعاد من سبإ بنبإ يقين، تأكيدا لإحاطته بالأمر بدقة و إتمام و أفصح عنه ذاكرا مدينة القوم و حكم بلقيس لهم، واتبعه بذكر الحالة الدينية، بعبادتهم للشمس من دون الله، وعطف عليه تزيين الشيطان أعمالهم، فحال دون سلوكهم السبيل السوي، فصدهم عن اتباعه، (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ) النمل24، بمثابة النتيجة الحتمية لما هم فيه، و قوله تعالى(أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ) النمل25، بقراءة التشديد، تعليل للصد عن سبيل الله، أي صدهم الشيطان عن سبيل الله لئلا يسجدوا له عز وجل.[1]

و من التناسب الحاصل في الآيات ما كان في جواب سليمان للهدهد، بإرسال كتاب منه إليهم(أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)النمل31، و ما كان منها من استقبال بلقيس له، و تشاورها مع قومها حوله (أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ)النمل32و كان الجواب منهم أن أرجعوا إليها المشورة والرأي بعد أن أظهروا قوتهم و بأسهم.

و من التناسب الحاصل أيضا في الآيات ما كان من اختبار ملكة سبأ حال سليمان، بهدية عظيمة تبعث بها إليه، وتنظر هل هي دعوة نبي، أم طموح ملك؟

ولما كان جواب سليمان هو الرفض و الإنكار عليهم مصانعته بمال حقير لصرفه عن دعوته، مع التهديد والوعيد بالمسير إليهم و إخضاعهم لسلطانه، تهيأت الملكة للقدوم عليه، و استحضر سليمان عليه السلام مع أهل مجلسه أمر إحضار عرشها بين يديه، اختبارا لعقلها، ومزيد بيـــــان لما

1-الذي لاينبغي أن تصرف العبادة إلا له، فهو المستحق لكل أنواع العبادة، ومنها السجود،(الله لا إله إلا هة رب العرش العظيم)النمل.

حصل من الخوارق إظهارا لقدرة الله تعالى، و تصديقا لنبوته، ليكون ذلك طريقا لاهتدائها إلى الإسلام.

و من التناسب الحاصل، ما كان من قدومها عليه، بعد إحضار عرشها وتغيير بعض معالم و سؤالها عنه اختبارا لها في أمره عمليا، و بالنظر لرجاحة عقلها و سديد نظرها، دل جوابها على صفاتها وعطف قوله تعالى(**وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ**) النمل42، إتماما لكلامها، بيانا منها لانقيادها و استسلامها لسليمان عليه السلام من الآية الظاهرة في العرش، أي لما حصل لها من معرفة بحال سليمان عليه السلام، وما أيد به من معجزات، أذعنت مع قومها،و جاءوه طائعين مذعنين.

و من التناسب الحاصل ما ذكر بعد ذلك مما أمرت به من دخول الصرح (**قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ**)النمل44، مما أظهره سليمان عليه السلام من الأمر الداعي إلى الاهتداء، و لما عاينت معجزة سليمان عليه السلام ووقفت على حقيقة ما أيد به ، مما يدل على صدق نبوته، و دعوته لها لطريق الهداية و العبودية لله عز وجل ، كان منها التوجه إلى الله معلنة تبرأها مما كانت تعبد من دونه و أسلمت وجهها (**مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ**) النمل44، فقولها(**رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِى**) النمل44، هذه درجة التخلية، أي تخليها عن معبوداتها الزائفة، وعطف عليه قوله تعالى(**وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ**) النمل44 وهذه درجة ثانية، و هي التخلي بالإيمان الحق بالله رب العالمين، والخضوع له عز وجل.[1]

1-ينظر:المرجع السابق، ج 19ص 276.

المطلب الثاني : تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع سابقه.

يرتبط المقطع الثالث في سورة النمل مع ما سبقه بلائق عديدة، تظهر جليا بعد التأمل، كما يأتي :

1-سياق القصص في القرآن الكريم للعبرة بأحوال الأمم السابقة،وبالنظر في المقطعين الثالث و الذي قبله من السورة، يتضح أنهما من ضمن القصص القرآني الذي يساق للاعتبار بحال فرعون وبلقيس و قومها.

2-المقطعان يبينان وظيفة الرسل جميعا عليهم السلام، ألا وهي الدعوة إلى الله عز و جل، و هداية الناس إليه، مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل عليهم السلام.

3- يظهر المقطعان جملة ما أيد به موسى و سليمان عليهما السلام من خوارق، تدل على صدق دعواهم، فموسى عليه السلام أيد بتسع معجزات، منها العصا واليد، و سليمان عليه السلام أيد بمعجزات اقتصرت سورة النمل على بعضها، كفهم لغة الطير والحيوان ، وتسخير الجنود من إنس و جن وطير لخدمته، و إحضار عرش بلقيس بين يديه.

4- المقطعان يبنيان كيفية استقبال كل قوم لرسولهم الذي أرسل إليهم، و ما تصرفوا به اتجاه دعوتهم، فكذب فرعون و قومه جحودا واستكبارا بالآيات مع اليقين بصدقها في قرارة أنفسهم، وآمنت بلقيس وقومها بعد ظهور الآيات الواضحة، ومعاينتهم لها بعين العقل، فكانت عاقبة مآلهم اهتداء و رشادا، إضافة إلى ما ورثوه من الذكر الحسن.

5-قصة موسى عليه السلام كان جانب الإرسال فيها لهداية فرعون من ألوهية مزعومة ادعاها، ووافقه عليها قومه فهم يعمهون ، و أما قصة سليمان عليه السلام فكان جانب الإرسال فيها لهداية بلقيس و قومها من ضلال مبين في الألوهية بصرفها لخلق من خلق الله بعبادتها للشمس والقمر، فالتقت الرسالتان في هداية الضالين إلى الله، الإله الحق و عبادته دون أحد من مخلوقاته.

6-تلتقي قصة موسى عليه السلام مع قصة داود و سليمان عليهما السلام في بيان مصدر التلقي، و هو القرآن الكريم ينبوع الحكمة والعلم الإلهي، وهما بعض آثار ذلك مع الإشارة-زيادة على ذلك- إلى ما احتوته من الإعجاز الغيبي التاريخي، بتلك الدقة والإحكام في الأخبار، وهذا ما لا عهد للعرب و لا لغيرهم به، و له تعلق بالمقطع السادس من ناحية إخبار رد القرآن على بني إسرائيل[1] أكثر الذي هم فيه يختلفون.

1-بنو إسرائيل: «إسرائيل : كلمة عبرية مكونة من إسرا بمعنى عبد أو صفوة، و من إيل بمعنى الإله أو الرب أو الله، و بهذا يكون معناها عبد الله، و إسرائيل: اسم بديل ليعقوب عليه السلام».محمد بيومي مهران: بنو إسرائيل ، [د.ط] ، دار المعرفة=

7- تلتقي قصة موسى عليه السلام مع قصة داود و سليمان عليهما السلام في بيان الامتداد التاريخي لدعوتهما، و تواليهما لتوالي زمانهما، فهما رسولان من بعد موسى عليه السلام،يجتمعان معه في الانتساب إلى بني إسرائيل، فهم من أنبياءها، و لهذا ارتباط مع قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾النمل76، من ذلك ما قصه القرآن الكريم مما جرى بين ملكة سبأ و سليمان عليه السلام، مما يخالف ما في كتب اليهود ، وإغفالها لحقيقة التوحيد التي دعا سليمان عليه السلام الملكة بلقيس إليها.[1]

8- و للمقطع الثالث من سورة النمل ارتباط مع ما قبله في بيان طبيعة الملك، فملك سليمان عليه السلام مؤيد بالوحي ومستنير بالاهتداء بالله ولعبودية له، و قائم على رعاية شؤون الرعية بالحق و العدل، ولو مع أضعف المخلوقات (النمل و الهدهد) و الملك الفرعوني قائم على الألوهية المزعومة لفرعون واستبداده، واستعباده للرعية، حتى مع أشرف المخلوقات و هو الإنسان، وملك بلقيس تائه في عمه العبودية لغير الله عز و جل بتزيين من الشيطان، ما حال دون سلوك السبيل الأقوم، فملك سليمان عليه السلام ملك حق وعدل مستنير بالوحي، وملك فرعون وبلقيس تائه في العمه والضلال، وبعيد عن الاهتداء بنور الحق و الإيمان.

9- كما يمكن ذكر التناسب بين المقطع الثالث و الذي قبله في جانب التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، و تثبيته مع الفئة المؤمنة عما يلاقيه في طريق لدعوة إلى الله عز وجل من صدود و تكذيب، و ذلك «بذكر أحوال إخوانه النبيين من قبل، و بيان أن هذه هي سنة الدعوات الربانية، قال تعالى﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾الأحقاف35.»[2]

10-المقطعان الثالث و الذي قبله يلتقيان في بيان السنن الإلهية التي تتعلق بالهداية والضلال، وذلك ماثل في موقف فرعون و قومه مع دعوة موسى عليه السلام بالجحود والتكذيب، فكانت سنة الله فيهم بقاؤهم في العمه و التيه جزاء وفاقا على كفرهم، كما هو ماثل في موقف بلقيس وقومها الذي كان على العكس من ذلك بتطلبها سبيل الهداية و الرشاد، فكانت النتيجة أن جرت سنة الله فيهم بتوفيقهم لهذا السبيل،و الإنعام عليهم بسلوكه مع سليمان عليه السلام.

=الجامعية، الإسكندرية، 1999، ص 34-35 بتصرف.

1-ينظر:تفسير ابن عاشور، ج20ص31.

2-موسى إبراهيم الإبراهيم:بحوث منهجية في علوم القرآن، ص187.

11- كما يرتبط المقطع الثالث مع الذي قبله في التركيز على الجانب المهم في كل قصة، والذي يتوافق مع هدف السورة وموضوعها، وهو حلقة الجانب الرسالي لهداية الناس إلى الله، مع زيادة تفصيل في قصة سليمان عليه السلام بما يقتضيه المقام و يتطلبه.

12-ومن الوشائج التي تربط المقطع الثالث بما قبله التعريف بالله عز و جل الإله الحق المستحق لكل أنواع العبادة، ومن ذلك السجود له، فهو رب كل شيء و مليكه، ورب العرش العظيم ﴿ **ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ** ﴾النمل26 و أن كل تأليهلما سواه من بشر وجماد فهو محض افتراء و زعم باطل.

13-يظهر المقطع الثالث مع ما قبله اصطفاء الله عز وجل لموسى وداود و سليمان عليهم السلام رسلا مبشرين ومنذرين، فقال تعالى مخاطبا موسى عليه السلام﴿ **لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ** ﴾النمل10، وقال تعالى﴿ **وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ** ﴾النمل16، والمعلوم أنها وراثة نبوة وعلم وملك، فداود عليه السلام نبي، و سليمان عليه السلام نبي.

14-كما يلتقي المقطع الثالث مع سابقه في بيان قدرة الله المطلقة، قال تعالى﴿ **وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ** ﴾النمل10،وقال تعالى﴿ **يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ** ﴾النمل25، وذلك ماثل في المقطع الثاني في معجزات قلب العصا حية تسعى، وإخراج يد موسى عليه السلام بيضاء تلألأ من غير برص ولا علة، وهو ماثل أيضا في المقطع الثالث بإخراج الله المخبوء في السموات والأرض، وغير ذلك.

15-وتظهر وشائج بين المقطع الثالث و الذي سبقه في بيان حال من ظلم نفسه بعمل السيئات ثم تاب ورجع ، قال تعالى﴿ **إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ** ﴾النمل11، وقوله تعالى﴿ **قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ** ﴾النمل44، وما يقابله الله به من مغفرة ورحمة و قبول لديه، فيصدق هذا على بلقيس ملكة سبأ، حينما وضحت الدلائل أمامها، و أقيمت البراهين على صدق دعوة سليمان عليه السلام، فاعترفت بذنوبها وأنابت إلى الله و اهتدت إلى طريقه مع سليمان عليه السلام.

16-يلتقي المقطع الثالث مع ما قبله في الاشتراك في عناصر الدعوة، من المدعو إليه وهو الله جل جلاله، بتوحيده وعبادته، والدعاة إلى الهداية، وهم موسى وداود وسليمان عليهم السلام، وفرعون

وبلقيس، و هم المعنيون بالدعوة إلى طريق الهداية، والمنهج الذي سلكه هؤلاء الرسل الكرام لتعريف الناس بسبيل الهداية، و المعجزات التي تؤيدهم في بيان صدق ما يدعون الناس إليه.

17-ومن الوشائج ماتخلل المقطع الثالث مع ما قبله من تو جيهات أثناء عرض القصة، كأحكام تشريعية ولفتات عقائدية ، ومعالم تربوية، وحكم توجيهية، وما إلى ذلك، و مثاله ما عرضه المقطع الثالث من يقين بلقيس بصدق دعوة سليمان عليه السلام، واهتدائها إلى الله عز وجل، قال تعالى﴿ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴾النمل42، وقوله تعالى﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا ﴾النمل 14، وفي مقابله في المقطع الثاني يقين فرعون وقومه بصدق دعوة موسى عليه السلام، واستنكافهم عن اتباعها، فأبان المقطع الثالث نفسية ضائعة تبحث عن الحق، و لما وجدته التزمت به، وبين ما يبينه المقطع الثاني من نفسية مستعلية تأبى الخضوع للحق رغم ظهور الدلائل والبينات.

وفي المطلب الموالي عرض لجوانب التناسب بين المقطع الثالث و موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع موضوعها.

يرتبط المقطع الثالث من سورة النمل مع موضوعها بوشائج وعلائق يمكن استنتاجها في ما يأتي:

1-يستهل المقطع الثالث حديثه بذكر نعمة العلم والتنويه بشأنه وشرف أهله، وهو من أبرز النعم التي أوتيها داود وسليمان عليه السلام، وقد كان له كذلك ذكر وتنويه في موضوع سورة النمل، وذلك عند الحديث عن رسالة القرآن الكريم المتلقى من لدن حكيم عليم، فهو قد حوى العلوم والمعارف المتنوعة، وطريق الهداية لابد أن يتأسس على العلم.

2-من ضمن ما يتحدث عنه المقطع الثالث أيضا اصطفاء سليمان عليه السلام رسولا من الله عز و جل لتبليغ رسالة الله، حيث ورث عن أبيه نبوته وعلمه وملكه، وبالنظر لموضوع السورة فرسالة القرآن حتما يختار لها رسول لحملها وتبليغها، وهو ما تحقق في اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم من عند الله عز و جل.

3-اشتمل المقطع الثالث على ذكر الهداية إلى طريق الله عز و جل التي تضمنتها رسالة سليمان عليه السلام إلى المدعوين ومنهم بلقيس ملكة سبأ وقومها الذين كانوا في عمه وتيه بعبادتهم لغير الله عز وجل، كما أشار المقطع في لسياق نفسه لبعض مظاهر الهداية والتي كانت ماثلة في مجتمع النمل بمعرفته لموجده سبحانه وتعالى، وقيامه بمصالحه، وتدبير معاشه، وماثلة أيضا في الهدهد الذي كان داعية إلى توحيد الله وعبادته وسفير خير وجنديا من جنود الحق، مستدلا بأمور معاشه على ذلك، وبما حباه الله من فطنة وذكاء، وهو ما يجسده موضوع السورة بالحديث عن الهداية الشاملة للوجود كله ومنه الإنسان.

4- تحدث المقطع الثالث عن جملة ما أيد به سليمان عليه السلام من معجزات كثيرة، اقتصرت سورة النمل على ذكر بعضها، مما جعل بلقيس في نهاية المطاف تذعن لدعوته وتسلم وجهها لله عز وجل مع سليمان عليه السلام، وبالنظر إلى موضوع سورة النمل فإن رسالة الهداية إلى الله عز و جل التي حملها الرسول صلى الله عليه و سلم للتبليغ، مؤيدة بمعجزات أهمها القرآن الكريم لتكون شاهد صدق على دعوته صلى الله عليه وسلم.

5-كما يلتقي المقطع الثالث مع موضوع سورة النمل في نقطة اشتمالها على ذكر الرسالة، ففي المقطع الثالث ذكر الله عز و جل رسالة سليمان إلى بلقيس وقومها يدعوهم فيها إلى الهداية، وهذا باسم الله، وبإذن منه عز و جل، وموضوع السورة كان هو رسالة الله لهداية الناس إليه باسمه هو عز

وجل، وبأمر منه فرسالة سليمان عليه السلام هي جزء من رسالة الله، باسم الله و بتفويض منه عز وجل لهداية الناس إليه.

6-من بين ما يدل عليه المقطع الثالث من سورة النمل أنه يعرف بالله عز و جل الإله الحق المستحق لكل أنواع العبادة، ومنها السجود له عز و جل، وهو رب كل شيء و مليكه حتى عرشه العظيم مربوب له سبحانه(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ)النمل26، واعتلاقه بموضوع السورة، من ناحية كونه جزءا من هداية الناس لمعرفة الله و الإيمان به عز وجل و صرف العبادة له دون أحد من خلقه.

7-يحكي المقطع الثالث موقف النملة العاقلة الحريصة على مصالح بني جنسها، بتبيهها لهم على كل ما فيه إهلاك وإفناء، و مرشدة إياهم لما يصلحهم ويحفظ كيانهم ويقيم وجودهم، و بالنظر في موضوع السورة يظهر جليا غاية اصطفاء الرسول صلى الله عليه وسلم لحملها وتبليغها، و هو الاهتمام بما فيه صلاح القوم و خلاصهم، فهو داعي خير وناصح أمين لبني جنسه، ومنذر لهم مما يهددهم و يستأصل شأفهم، و يقوض أركانهم.

8- ما أوتيه سليمان عليه السلام من خوارق العادات كان أحد أبلغ الردود على بطلان ما كان قوم سبأ يعتقدونه من ألوهية مزعومة للشمس والقمر، و فساد ما كانوا يتوجهون به إليها من عبادة وخضوع، ومنها السجود لها، إذ وقفت بلقيس على حقيقة ذلك و عاينته بظهور البينات و الدلائل، فعلمت بذلك حقيقة توحيد الله عز و جل، وصدق نبوة سليمان عليه السلام، و هذا له نوع تعلق بما أشار إليه موضوع السورة من رد حول ما أثير من شبه تتعلق بقضايا التوحيد و النبوة و البعث.

9-في المقطع الثالث برزت مظاهر الحكمة و العلم في محطات عديدة، أما الحكمة فمنها حسن تدبير النمل لمعاشه ومصالح بني جنسه، و منها سياسة بلقيس في جوابها على رسالة سليمان عليه السلام، و أما العلم فمنه ما أنعم الله به على داود وسليمان عليهما السلام، و منه علم الله بما خفي وما أعلن، ومنه التنويه بشأن الذي آتاه الله علم الكتاب، وهذه المظاهر لها نوع تعلق و ارتباط بموضوع السورة من حيث دلالة رسالة لقرآن عليها، فهو ينبوع الحكمة والعلم الإلهي، وما كان كذلك كانت رسالته بعض آثار حكمة الله وعلمه عز و جل.

10-ومن الوشائج و العلائق التي تربط المقطع الثالث بموضوع السورة، أنه حلقة من حلقات القصص القرآني الذي سيق للاعتبار بحال سليمان عليه السلام، فهو مثال العبد الشاكر لله عز وجل، وداعية خير للناس، و ثانيا للاعتبار أيضا بحال بلقيس و قومها في تحققها من أمر دعوة سليمان عليه

السلام، بعد ظهور الدلائل والبينات، فأذعنت، وأسلمت وجهها لله تعالى، وهذا له تعلق بموضوع سورة النمل، من حيث عرض رسالة الاهتداء مدعمة بوسائل تعين على ذلك، ومن ضمنها القصص للاعتبار و النظر في هذه الأحوال.

إن المقطع الثالث من سورة النمل بعد بحث العلاقات التناسبية المختلفة فيما بين الآيات، وما بين المقطع وموضوع السورة، يترجم تلاحما قويا وترابطا رصينا و إحكاما شديدا.

خلاصة الفصل الثالث:

لقد عرض الفصل الثالث في مستهله لأنعم الله على داود وسليمان عليهما السلام وما كان منهما من واجب الشكر عليها، ثم انعطف سريعا إلى بعض ما اختص به سليمان عليه السلام من فهم منطق الطير والحيوان، و ما كان من قصته مع نبأ الهدهد حول قوم سبأ وملكتهم، وقد كان هذا الحيوان سفير الخير و الهداية، بحمله كتاب سليمان عليه السلام إلى بلقيس وقومها، والذي استقبلوه بعقلية المبصر، فأثمر اهتداء و رشادا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الرابع

قصة صالح عليه السلام مع قومه

من الآية الخامسة والأربعين إلى الآية الثالثة والخمسين (45- 53).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

المقطع الرابع هو لقطات من قصة صالح عليه السلام وردت في هذه السورة الكريمة تحمل معاني عميقة، تلخص رسالته لقومه ثمود، وما كان من موقفهم مع رسولهم، مع التعريج على العلاقات التناسبية المختلفة، وسيكون ذلك كله متناولا ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: رسالة صالح عليه السلام وموقف قومه منها.

المبحث الثاني: جوانب التناسب في المقطع الرابع من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
رسالة صالح عليه السلام وموقف قومه منها.

تمهيد:

في هذا المبحث عرض لما دعا إليه صالح عليه السلام قومه، ككل الأنبياء عليهم السلام إذ كانت رسالتهم واحدة، واستقبال أقوامهم لهم مختلف، ومن ذلك ما وقفه قوم ثمود من رسالة صالح عليه السلام، ومآلهم الذي صاروا إليه، وسيكون البحث في هذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدعوة إلى عبادة الله وجدال القوم.

المطلب الثاني: التآمر على قتل صالح وعاقبة ذلك.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الدعوة إلى عبادة الله وجدال القوم.

هذه هي القصة الثالثة[1] من القصص الواردة في سورة النمل، وهي قصة صالح عليه السلام[2،3]، الذي أرسله الله إلى ثمود، وهي قبيلة عربية من بعد عاد، كانت تعبد الأصنام والأوثان، ومساكنهم تقع «بين الحجاز والشام إلى واد القرى وما حوله»[4]، في أرض الحجر[5]، افتتحها الله عز وجل بالقسم على إرسال عبده صالحا رسولا، يدعوهم إلى ما دعا إليه الأنبياء جميعا- عليهم السلام- أقوامهم كما تقدم ذكره من قصص موسى عليه السلام مع فرعون وسليمان مع بلقيس، يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده ويهديهم إلى صراطه المستقيم، قال تعالى(**وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ**)النحل36. وهذه الحقيقة «هي القاعدة التي ترتكز عليها رسالة السماء إلى الأرض في كل جيل، ومع كل رسول»[6]. ورسالة صالح في الإطار نفسه الذي يرد به القرآن ويعقب على ضلال كفار مكة، مما ورد في هذه السورة الكريمة، في قوله تعالى (**ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**) النمل59.

وكان موقف قوم صالح عليه السلام أن انقسموا فريقين تجاه رسالته، فريق آمن بدعوته واهتدى إلى الله، وفريق مكذب بالرسالة وكافر بها، وصار القوم يختصمون ويتجادلون، «فالمؤمنون بصالح عليه الصلاة و السلام يجادلون بالحق ويقدمون بين يدي كلامهم حججا وبراهين تدل على وجوب توحيد الله تعالى وعبادته، والكافرون يجادلون بالباطل، ويعاندون ويصرون على كفرهم، فهم

1-ينظر في باب القراءات في المقطع:

-محمد محسين: الإرشادات الجلية، ص590-591.

- أبو زرعة:حجة القراءات، ص531.

2-صالح عليه السلام: ابن عبيد بن جابر بن حمود بن جابر بن سام بن نوح عليه السلام. السيوطي: الإتقان ج5 ص1972 بتصرف.

3-ذكرت قصة صالح عليه السلام في مو اطن عديدة من القرآن الكريم: في إحدى عشر سورة، منها سورة النمل الآيات (45-53). ينظر:محمد بسام رشدي الزين،مدرسة الأنبياء، ص49.

4-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5 ص485.

5-"الحجر أرض بين الشام والحجاز، إلى واد القرى، وتقع في الطريق البري للمسافر من الشام إلى الحجاز، وآثار مدائن هؤلاء القوم ظاهرة حتى الآن، وتسمى (مدائن صالح)، وتعرف ديارهم أيضا باسم (فج الناقة)." تفسير الميداني:ج9 ص104، وسميت سورة في القرآن باسم الحجر **(ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين)** الحجر 80. محمد بسام رشدي الزين: مدرسة الأنبياء، ص49.

6-تفسير سيد قطب:ج5 ص2644.

يعمهون في ضلالهم»[1]، قال تعالى(**قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ٧٥ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ**) الأعراف 75-76، وكان الفريق المكذب ذا قوة ومنعة وكثرة على ما دلت عليه مواقع أخرى من القصة في القرآن الكريم، ويدل عليه هنا مخاطبتهم بقوله "يا قوم".

ومن خصومة الذين كفروا، وضلوا طريق الهداية استعجالهم صالحا العذاب من الله عز وجل، حينما توعدهم به إن لم يؤمنوا ويقبلوا دعوته، فقالوا له(**يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ**) الأعراف 77، وقال تعالى: (**أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**) العنكبوت 29، وقوله تعالى (**فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**)الأعراف 70، وهذا بدل أن يكون طلبهم الهداية إلىطريق الله والرحمة منه عز وجل، بل زاد طغيانهم بعقر الناقة، كما قال تعالى(**فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ**[2] **وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ**)الأعراف 77.

وصالح عليه السلام رسول من عند الله مشفق على قومه، يرجو الهداية لهم، ويعز عليه – كما هو حال الأنبياء كلهم عليهم السلام – ما عليه أهل ثمود من ضلال وتيه، وغفلة عما أنذرهم به من العذاب، فينكر عليهم بلين ورفق إصرارهم على طلب العذاب بدل طلب الرحمة منه عز وجل، وهذا استهزاء منهم به، « فقد كان الكفار لفرط الإنكار يقولون: ايتنا بالعذاب»[3]، وحثهم صالح عليهالصلاة و السلام على طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى والتوبة إليه من الشرك، لعل في ذلك أن يشملهم الله تعالى برحمته بقبول توبتهم ؛ « إذ جرت سنة الله ألا تقبل التوبة بعد نزول

1-تفسير الميداني: ج9 ص105 بتصرف.

2-يذكر أن قوم صالح طلبوا منه معجزة تدل على صدقه فيما يدعوهم إليه من الهداية، فأجابهم الله إلى طلبهم بأن جعل الناقة خلقا عظيما، لها شرب يوم ولهم شرب يوم، تدر عليهم جميعا لبنا، قال تعالى: **(قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم)** الشعراء 155، وهو ما كان من الذين كفروا حينما طلبوا العذاب استعجالا به، في قوله تعالى: **(اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم.)**الأنفال 32.

3-تفسير لقرطبي: ج16 ص181.

العقوبة»[1]، ويعتذر المكذبون بدعوته بتشاؤمهم منه ومن أتباعه، فهم يعتقدون أن ما حل بهم من بلاء كان بسببه، فكان لا يصاب أحد منهم بسوء إلا قالوا هذا من قبل صالح وأصحابه، كما ذكر تعالى في القرآن إخبارا عن فرعون مع موسى عليه السلام في قوله تعالى(**فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ**) الأعراف 131، وكما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم مع كفار مكة إذ تشاءموا به صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى(**وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ**) النساء 78، وكما قال تعالى إخبارا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون (**قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ**)يس18.

وقوله تعالى(**قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا[2] بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ**) النمل47، دل على نزول الشدائد بثمود رغبة في توبتهم ورجوعهم إلى الله عز وجل بامتحانهم.

والحقيقة الواضحة التي غفل عنها القوم في هذا الأمر قد أبانها صالح عليه السلام فيما نسبوه إليه من الشؤم، أن حظكم ومستقبلكم ومصيركم عند الله، والله قد سن سننا وأمر الناس بأمور وبين لهم الطريق المستنير، فمن اتبع سنة الله، وسار على هداه، فهناك الخير، بدون حاجة إلى زجر الطير، ومن انحرف عن السنة وحاد عن السبيل المستقيم، فهناك الشر بدون حاجة إلى التشاؤم و التطير[3].

بل هم يختبرون بالخير والشر،كما قال تعالى(**وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً**) الأنبياء 35، «وهكذا ترد العقيدة الصحيحة الناس إلى الوضوح والاستقامة في تقدير الأمور، وترد قلوبهم إلى اليقظة والتدبر فيما يقع لهم أو حولهم، وتشعرهم أن يد الله وراء هذا كله، وأن ليس شيء مما يقع عبثا أو مصادفة، وبذلك ترتفع قيمة الحياة وقيمة الناس، وبذلك يقضي الإنسان رحلته على هذا الكوكب غير مقطوع الصلة بالكون كله من حوله، وبخالق الكون ومدبره، وبالنواميس التي تدبر هذا الكون وتحفظه بأمر الخالق المدبر الحكيم»[4] .

1-تفسير المراغي: ج19 ص147.

2- «أصل التطير من زجر العرب للطير، فإذا سارت ذات اليمين، وتسمى السانحة: استبشروا، وإن سارت من ناحية الشمال، وتسمى البار حة: تشاءموا».تفسير الميداني: ج9 ص109 بتصرف.

3-ينظر:تفسير سيد قطب، ج5 ص2645.

4-المرجع نفسه: ج5 ص2645.

المطلب الثاني: التآمر على قتل صالح عليه السلام وعاقبة ذلك.

وكان في قوم صالح عليه السلام تسعة من عظماء مدينة الحجر وكبرائها وأغنيائها وفساقها[1] ، شأنهم الإفساد في الأرض ولا يصلحون، بل قد أوغلوا في الفساد، فلا يكون منهم صلاح ولا إصلاح،«فكانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح، وهم الذين تواطؤوا على عقر الناقة، وعلى قتل صالح ومن آمن به »[2] ووصفهم القرآن بالشقاوة، فقال تعالى(**إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا**)الشمس12،مما يفهم منه أن مدينة ثمود كانت مرتعا للفساد الكبير، فاجتمع هؤلاء الرهط على التخلص من صالح عليه السلام، بأن يقتلوه مع أهله ليلا، وهم غافلون،انتقاما مما أنذرهم به من العذاب في قوله تعالى(**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖۖ ذَٰلِكَ وَعۡدٌ غَيۡرُ مَكۡذُوبِۭ**)هود 65، وينفوا شهود ذلك لوليه حدثا وزمانا ومكانا [3]، ويحلفوا على ذلك تأكيدا على صدقهم فيما أخبروا به.

وتدبير هؤلاء الأشقياء ومكرهم لصالح وأهله، كان الله له بالمرصاد،«فقد أهلك هؤلاء الطغاة المجرمين بالصيحة بحجارة ودمرهم بها»[4]، وهم لا يشعرون، وجعل الله عز وجل الدائرة تدور عليهم، و(**وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦ**) فاطر 43، حيث إن الرهط التسعة اجتمعوا بعد عقرهم الناقة وقالوا «هلم فلنقتل صالحا، فإن كان صادقا عجلناه قبلنا، وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلا ليبيتوه في أهله، فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطؤوا على أصحابهم ، اتو منزل صالح، فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة، فقالوا لصالح: أنت قتلتهم، ثم هموا به، فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح، وقالوا لهم: والله لا تقتلونهم أبدا، وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث، فإن كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا، وإن كان كاذبا فأنتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنه ليلتهم تلك.»[5]

و قد دعا القرآن الكريم إلى التأمل في ما حاق بالقوم من السوء، وما آل إليه أمرهم، فإن

1-"وفسادهم: كفرهم ومعاصيهم، وكانوا يسفكون الدماء ويثبون على الأموال والفروج وهم الذين عملوا في قتل الناقة." تفسير ابن الجوزي: ج6 ص181.

2-الز حيلي: التفسير المنير ج19 ص319.

3-ينظر:مصطفى مسلم،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5 ص461.

4-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5 ص461.

5-تفسير ابن كثير: ج 10 ص 417.

ذلك سنة الله فيمن كذب الرسل، وتنكب طريق الهداية، وفي هذا تحذير لكفار مكة من أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء؛ إذ دمر الله عليهم وقومهم، وجعل بيوتهم خاوية منهم كأن لم تسكن من قبل، قال تعالى عن ثمود(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ)الأعراف 78، وقال عز وجل(وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ)هود67-68، وقال تعالى أيضا(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) الحجر 83-84، فما أغنت عنهم قوتهم ولا جبروتهم، ولا ما أوتوا من قصور وأبنية فارهة، وزروع ونخيل،إذ جاءتهم رجفة وصيحة فأصبحوا جاثمين كأن لم يكونوا، وكان إهلاكهم بسبب ظلمهم أنفسهم وكفرهم برسالة صالح عليه السلام، وما فعله الله بثمود هو موعظة زاجرة وعبرة بالغة «لمن كان من أولي المعرفة والعلم، فيعلم ارتباط الأشياء بمسبباتها، والنتائج بمقدماتها، على حسب السنن التي وضعها الله في الكون»[1]، وفيه إنذار وتحذير لمن عاند الحق وجانب سبيل الهداية، ورد على الله أمره، من كفار مكة وغيرهم.

وأما صالح والذين آمنوا معه، فقد أنجاهم الله من عذابه، بما آمنوا وكانوا يتقون، قال تعالى(فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ)هود 66،فإن الذي «يخاف الله يقيه سبحانه من المخاوف فلا يجمع عليه خوفين.»[2].

1-تفسير المراغي:ج19 ص149.

2-تفسير سيد قطب:ج 5 ص 2646.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

إن المقطع الرابع من سورة النمل ينطوي على لطائف قرآنية، يمكن استنباطها كما يأتي:

1. المقطع الرابع من سورة النمل فيه بيان أن دعوة الأنبياء جميعا عليهم السلام واحدة، هي توحيد الله وعبادته، وإن اختلفت أزمانهم وأماكنهم، ومنها دعوة صالح عليه السلام، قال تعالى ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾النمل45.

2. كما يبين المقطع الرابع من سورة النمل سننا إلهية عديدة:

أ-سنة الله في الدعوات «أن يستجيب لها أقل الناس تعلقا بالحياة الدنيا وأثقالها وأوثاقها، وأن يستجيب لها أقل الناس وجاهة ومكانة في القوم»[1]،كما هو حال الفريق الذي آمن بصالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾النمل45،ففيه إشارة إلى انقسام فريقين من قوم صالح أمام دعوته،ومنهم الفريق المؤمن، وهو الفئة القليلة، وإن من سنن الله كذلك أن يقف في وجهها، ويصد عنها كل سبيل ويكيد لها المكائد المترفون، أصحاب الوجاهة والنفوذ في المجتمعات، قال تعالى عن الذين كفروا من قوم صالح-عليه السلام-﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾النمل48، وقال أيضا ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾النمل50.

ب-سنة الله في إهلاك الظالمين بظلمهم، وهي سنة سببية، قال تعالى(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟)النمل52، وسنته تعالى في نصر المؤمنين ونجاتهم من العذاب بما آمنوا وكانوا يتقون، (وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟) النمل 53.

ج-سنة الله في أن عاقبة المكر السيئ يحيق بأهله، كما قال تعالى(وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ)فاطر43، وهذا ما حدث لقوم صالح عليه السلام لما تآمروا على الإيقاع به.

3. كما بين المقطع الرابع من سورة النمل أنواعا عديدة من الإعجاز:

1-مصطفى مسلم: مباحث في التفسير الموضوعي، ص223.

أ- إعجاز غيبي تاريخي في ما يخبر به الله تعالى عن قوم ثمود، وحالهم مع نبيهم صالح عليه السلام، صدقا في الإخبار ودقة في الوصف، وإحاطة بالأحداث والوقائع.

ب-إعجاز تشريعي في ما شرع الله من أحكام وتكاليف تنظم الحياة وتقودها إلى الهدى والخير، كما ذكر في القصة من نبذ التطير، لأنه شرك كما في الحديث[**الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن يذهبه الله بالتوكل**][1]، فهو يصادم رسالة الهداية إلى الله التي تتضمنها سورة النمل[2].

4. الإيمان والتقوى سبيل لرحمة الله والنجاة من عذابه، والكفر والعصيان شقاء وبلاء، وسبيل إلى عذاب الله، قال تعالى﴿ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ ﴾النمل53،وقال تعالى ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾النمل51-52.

5. بيان المقطع لكبر إجرام رؤساء الشر وقادة السوء، وزعماء الكفر، وعظيم إفسادهم في الأرض ومآلهم المخزي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد بما كانوا يصنعون،قال تعالى﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾النمل48،وقال﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾النمل52.

6. إيراد القصص في القرآن عموما وفي سورة النمل خصوصا للعبرة بمن سلف، وتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه وتثبيتالهم،﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾النمل51.

1-أبو داود:سنن أبي داود،كتاب الطب،باب في الطيرة،حديث رقم3910،ص702،وقال:صحيح،ومحمد ناصر الدين الألباني:صحيح سنن ابن ماجة،ط1،مكتبة المعارف،الرياض-السعودية،1418هـ/1997م،كتاب الطب،باب:من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة، ج3ص182،وأحمد بن علي التميمي:مسند أبي يعلى الموصلي،تحقيق:حسين سليم أسد،ط1،دار المأمون للتراث ، دمشق-سوريا،1407هـ/1987م،حديث رقم5219، ج9ص140-141.

2- ينظر: عمر الأشقر، عالم السحر والشعوذة: ط 3، دار النفائس، الأردن، 1415/ 1997م، ص298 وما بعدها.

7. سنن الله يتعظ بها من تدبرها(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)النمل52.

8. من كبائر الذنوب الطيرة، وهي من الشرك بالله عز وجل.[1]

والمقطع الرابع من سورة النمل قد عرض لدعوة نبي الله صالح عليه السلام مع قومه، وهدايتهم إلى الله سبحانه بعبادته، وما كان من جدال القوم له، وتمالئهم على قتله إعراضا واستكبارا، ثم ما آل إليه أمرهم من الإهلاك والتدمير بما ظلموا.

وفي المبحث الموالي عرض لجوانب العلاقات التناسبية المختلفة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-ينظر:شمس الدين الذهبي : الكبائر، تحقيق : عبد الرزاق المهدي، [د.ط]، دار الكتاب العربي، بيروت- لبنان، 1425هـ /2005م، ص122.

المبحث الثاني
جوانب التناسب في المقطع الرابع من سورة النمل.

تمهيد:

كما كان بحث الجوانب التناسبية المختلفة في المقاطع السابقة من سورة النمل، فكذلك سيكون بحث هذه الجوانب التناسبية في المقطع الرابع أيضا من السورة، وذلك ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الرابع من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني: تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الرابع من سورة النمل فيما بينها.

يحكي المقطع الرابع من سورة النمل خلاصة رسالة صالح عليه السلام إلى قومه.

ورسالة صالح عليه السلام يلخصها قوله تعالى(أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ)النمل45، وهذه رسالة الأنبياء جميعا عليهم السلام، هداية الناس إلى الله، فالقصد من هذا الإرسال توحيد الله وعبادته.

وهؤلاء القوم كان موقفهم من هذه الرسالة في تباين،(فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ) النمل45، نتيجة تباينهم في أمر العقيدة والإيمان؛ إذ كل فريق يجادل عما اعتقده وآمن به.

ومن الاختصام الواقع من الفريق المكذب استعجال العذاب من الله كما طلبوا من صالح (ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)الأعراف 77، فأرشدهم عليه السلام إلى ما جاءهم به من عند الله، فـ«حضهم على ما فيه درء السيئة عنهم، وهو الإيمان واستغفار الله مما سبق من الكفر»[1].

وختمت بـ(لَوۡلَا تَسۡتَغۡفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ) النمل46 أي رجاء أن يرحموا فلا يعذبوا[2].

ومن التناسب الحاصل بين الآيات ما كان من جدال القوم لصالح عليه السلام، في شأنه وما أرسل به، بأنه كان شؤما عليهم، فجاء جوابهم فضا غليظا (قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ)النمل47، فكان رده عليهم مشاكلة لقولهم لإصلاح اعتقادهم[3]، وختمت الآية (بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ) النمل55، ببيان جهلهم وسبب ما ينزل بهم من الشر بأنهم قوم يختبرون فيطيعون فيكون لهم حسن الجزاء من الله، أو يعصون فيحل عليهم العذاب[4].

ومن التناسب الحاصل بين الآيات ما كان عليه أهل القرية من الفساد والشر، ومنه المكر بصالح عليه السلام وما جاء به إليهم من رسالة التوحيد والعبادة، للإيقاع به وأهله ليلا غيلة، إذ (قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)النمل49، وينفوا فعلتهم تلك لأوليائه، وتأكيدا على ذلك كان ختام الآية(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ) النمل49، «تأكيدا للقسم إيهاما لتحقق الصدق. »[5]

1-تفسير أبي حيان:ج7 ص79.

2-ينظر:تفسير محمد الهرري،ج 20 ص473.

3-ينظر:تفسير ابن عاشور،ج 19 ص281.

4-ينظر:تفسير المراغي،ج 19 ص147.

5-ينظر: تفسير البقاعي، ج14ص177.

المطلب الثاني: تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع سابقه.

يندرج المقطع الرابع من سورة النمل ضمن القصص الوارد فيها، ويمكن بعد النظر فيه مع سابقه أن نلاحظ العلائق الآتية:

1-الذي سبق هذا المقطع الرابع من القصص كان النبيان المذكوران فيه من بني إسرائيل وفي هذه القصة ذكر صالح عليه السلام، وهو من العرب، وهذا لتذكير قريش والعرب وتنبيههم أن من تقدم من الأنبياء عليهم السلام من العرب كانوا يدعون إلى إفراد الله بالعبادة، ليعلموا أنهم في عبادة الأصنام على ضلالة، وأن شأن الأنبياء عربهم وعجمهم قد أرسلوا لهداية الناس إلى الله عز وجل، بتوحيده وعبادته [1].

2-هذا المقطع الرابع بدأ بحرف الواو في قوله تعالى(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا**) النمل45،فهو معطوف على ما قبله،وهو قوله تعالى(**وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا**)النمل15، وهو من جملة بيان قوله تعالى(**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) [2].

3-كما يلتقي هذا المقطع الرابع مع ما قبله في لب الرسالة الإلهية، وهي توحيد الله وعبادته، بهداية الناس إليه، ففي المقطع الثالث بقراءة التخفيف (**أَلَّا يَسْجُدُوا**) النمل25، يكون المعنى «ألا يا هؤلاء اسجدوا» [3]، دعوة إلى السجود، وهو بعض عناصر الخضوع والاستسلام لله رب العالمين، ونبذ الأنداد والشركاء، فهو طريق الضلال والغواية، وفي المقطع الرابع دعوة إلى التوحيد والعبادة في قوله تعالى(**أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ**)النمل45، وهذه رسالة الأنبياء عليهم السلام جميعا، وهو ما تعرضه بداية سورة النمل بذكر صفات من آمنوا، فكان القرآن هداية لهم وبشرى، وهذه الصفات هي (**ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ**)النمل3، وهي أساسيات في باب العبادة البدنية والمالية، وكذا ما يعرضه ختام السورة من دعوة إلى عبادة الله وتوحيده للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى(**إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**) النمل91، أي: «الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له. » [4]، وهو ما كان

1-ينظر:الزحيلي، التفسير المنير، ج 19 ص 316.

2-ينظر:تفسير محمد الهرري،ج 20 ص 471.

3-المرجع نفسه: ج 20 ص 415.

4-تفسير ابن كثير: ج10ص439.

مضمون دعوة سيدنا موسى –عليه السلام– إلى فرعون وقومه فقال تعالى(يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ) النمل9، وفي طه(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ) طه 14.

4–ثم إن من العلائق الرابطة بين المقطع الرابع وما قبله، هو التكليف الرسالي لداود وسليمان عليهما السلام وصالح عليه السلام، فقوله تعالى في المقطع الثالث (وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَ)النمل16، ومعلوم أن الوارثة هنا إنما هي في أشياء منها النبوة، وفي هذا إشارة إلى التكليف الرسالي لسليمان كما كلف أبوه داود عليه السلام من قبل، وفي المقطع الرابع يخبرنا الله تعالى في مستهله عن إرسال صالح عليه السلام إلى ثمود رسولا للدعوة إلى الله، وهدايتهم إلى طريقه، فقال تعالى(وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ) النمل45.

5–كما يشكل موقف المدعوين من دعوة الله عز وجل نقطة التقاء وارتباط بين المقطع والذي قبله، إذ أن موقف ثمود قد انقسم إلى فئة مؤمنة مستضعفة، وفئة كافرة مستكبرة (فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ)النمل45، بينما كان موقف بلقيس وقومها إسلام الوجه لله تعالى وسلوك سبيل الهداية مع سليمان عليه السلام، عقب ظهور الآيات ووضوحها، وهذا الموقف للفريقين من قوم صالح عليه السلام كانت بداية سورة النمل مبينة له بذكر شبيهه فيمن حصلت له الهداية والبشرى بإتباع القرآن وما جاء فيه، ومن تنكب الطريق وأصابه العمه بإنكاره للآخرة ، وإعراضه عن القرآن الكريم ورسالته الهادية.

6–لما ختم الله عز وجل المقطع الأول بقوله تعالى(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)النمل6، ذكر بعده جملة من القصص، هي من آثار حكمة الله وعلمه، وهذا ما يتقاطع فيه المقطع الرابع مع ما قبله، ففي المقطع الثالث يبدأ بالتنويه بالعلم، ويذكر تعالى فيه ما تضمنه جواب الهدهد من علمه بأحوال سبأ وقومها، وفيه ذكر ما نوه الله تعالى به على الذي عنده علم من الكتاب، وما أخبر به من سليمان عليه السلام عن أحوال النمل مع بني جنسها، كما يظهر المقطع الثالث جانبا من الحكمة الإلهية ممثلا في حسن تدبير النملة لمعاشها، وقيامها بما فيه مصلحتها، وكذا ما يمثله موقف ملكة سبأ من حسن تصرف في مملكتها، ومع رسالة سليمان عليه السلام التي أثمرت اهتداء ورشادا، وفي المقطع الرابع تظهر آثار حكمة الله وعلمه كذلك بجلاء، فتظهر حكمة صالح عليه السلام في رده الجميل على جدال قومه، ويظهر التدبير المحكم لله عز وجل في إهلاك القوم المفسدين

مع إبراز علم الله وإحاطته بمكر القوم وما بيتوه من أذى لصالح عليه السلام(وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) النمل50.

7-ومن جوانب التناسب بين المقطعين الثالث والرابع أن « الانتقال من ذكر ملك سليمان وقصة ملكة سبأ إلى ذكر ثمود ورسولهم دون ذكر عاد لمناسبة جوار البلاد، لأن ديار ثمود كانت على تخوم مملكة سليمان وكانت في طريق السائر من سبأ إلى فلسطين »[1].

8-يلتقي أيضا المقطع الرابع من السورة مع ما قبله في جانب التذكير بالنعم الجزيلة لله عز وجل، ففي المقطع الثالث نعمة العلم وتسخير الجنود ومنهم منطق الطير والحيوان لسليمان عليه السلام،وما بلغه جانب المدنية في زمانه، وما كان عليه حال قوم سبأ أيضا من رقي المدينة وتطورها، وفي المقطع الرابع إشارة إلى هذه النعم الإلهية أيضا في إطار الحديث عن تشاؤم قوم ثمود من صالح عليه السلام، حيث عند مبعثه زامن ذلك توالي الشدائد عليهم من قحط وغيره، وهو قدر الله فظنوه لجهلهم بسبب صالح عليه السلام وهم قبل ذلك كانوا في رغد من العيش، ونحتوا بيوتا فارهة في الجبال لمساكنهم، كما ذكر في الشعراء(أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ) 149-150.

9-وفي جانب العظة والعبرة والتسلية للرسول صلى الله عليه وسلم يمكن أن يشكل ذلك وجه ارتباط وتناسب بين المقطع الرابع والذي قبله، فما أوتيه سليمان عليه السلام من ملك واسع عريض لم يبطره ذلك، بل جعله وسيلة للدعوة إلى الهداية، وما كان عليه أيضا قوم سبأ من سعة الملك ورغد العيش، فإن ذلك كله لم يصدهم عن إتباع دعوة سليمان عليه السلام، وكل هذا ترغيب لكفار مكة بمثل صنيعهم، وفي مقابله في المقطع الرابع تحذيرهم من العناد والمكابرة ببسط قصة صالح عليه السلام وبيان ما حل بقومه برغم قوتهم ورغد عيشهم، فلم ينفعهم كل ذلك ولم يغن عنهم من الله شيئا.

10-ومن وجوه الارتباط بين المقطع الرابع والذي قبله من السورة، ما كان عليه قوم سليمان و قوم ثمود من الجدال حول الشرك بالله عز وجل، وما يستتبعه ذلك من تلبسهم بصنوف المعاصي والذنوب، فقد كان قوم سبأ مشركين يعبدون الشمس من دون الله، غارقين في صنوف الآثام، لا يعرفون حقا ولا يهتدون سبيلا، وهو الحال نفسه الذي يستصحب على قوم ثمود بعبادتهم

1-تفسير ابن عاشور:ج 19 ص 277.

للأصنام من دون الله عز وجل، وغرق بيئتهم في ألوان الفساد، كما أخبر بذلك الله عز وجل عنهم(وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)النمل48، وهو الحال نفسه الذي نعاه الله تعالى على كفار مكة في رده على شركهم وضلالهم، لقوله (ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) النمل59.

11-وقد كانت سمة الإعجاز حاضرة في وجوه العلائق بين المقطع الرابع من سورة النمل والذي قبله، وخصوصا الإعجاز الغيبي التاريخي، بالدقة في الإخبار والإحاطة بالأحداث، فلا يمكن الوقوف على وقائع غابرة موغلة في التاريخ وحكايتها بمثل هذه الصفة من الدقة والإحاطة التامة إلا ممن وسع كل شيء علما عز وجل.

12-ويلتقي المقطع الرابع مع ما قبله في جانب التأييد بالمعجزات، وهذا تصديقا للرسل في دعوة الرسالة، فقد أيد صالح عليه السلام بمعجزة الناقة، وقد ذكر ذلك في سور أخرى، كما في قوله تعالى (وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ) هود 64، لكنه يمكن أن يستشف من رد صالح عليه السلام على قومه في قوله تعالى (لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ) النمل46، فقد انتهى جدالهم إلى طلب العذاب بعدما أقدموا على عقر الناقة (فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)الأعراف77، ويؤيده ما اجتمع عليه الرهط التسعة من التبييت لإهلاك صالح عليه السلام، وهذا بعد تعديهم على الناقة،وسليمان عليه السلام كذلك أيد بمعجزات عديدة كفهم منطق الطير والحيوان، وتسخير الجن والشياطين لخدمته، كما هو الشأن في مسألة إحضار عرش بلقيس إليه، وهذا كان داعيا لبلقيس للاهتداء إلى طريق الله عز وجل.

13-ومن العلائق التي تربط المقطع الرابع بما قبله، ما يظهر من تباين مواقف المدعوين تجاه رسالة الأنبياء عليهم السلام الهادية، فهؤلاء قوم صالح عليه السلام قد أغمضوا أعينهم عن إبصار الحق، وغيبوا عقولهم عن النظر في حقيقة دعوة صالح عليه السلام، فعاندوا وكابروا وأعرضوا، وبقوا في ضلالهم يترددون، وهذه بلقيس-ملكة سبأ- استقبلت دعوة سليمان عليه الصلاة و السلام بالوقوف على حقيقتها فرزقت هداية وتوفيقا ورشادا.

العلائق والارتباطات كثيرة، وهذا ما وفق الله عز وجل لاستنباط بعضها.

وفي المطلب الموالي استعراض لجوانب تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع موضوعها.

يلتقي المقطع الرابع مع موضوع السورة في المناسبات والعلائق الآتية:

1-إن مضمون رسالة صالح عليه السلام إلى قومه هو هدايتهم إلى الله عز وجل وسلوك سبيل الاستقامة، وهي رسالة الأنبياء جميعا عليهم السلام، قال تعالى **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ)** النمل45، وهذا بعد غرقهم في الضلال بعبادة الأصنام من دون الله، وهو عين موضوع سورة النمل الذي تحدد في رسالة القرآن لهداية الناس جميعا إلى الله عز وجل، فصالح عليه السلام عرفهم بالله واستحقاقه للعبودية دون غيره، وهذا لب رسالته الهادية كما أنذرهم عاقبة كفرهم وعنادهم باستعجال العذاب دون الرحمة، مع تبشيرهم برحمة الله حين استغفارهم وأوبتهم إلى الله بعد طول غياب.

2-و موضوع سورة النمل هو رسالة القرآن ينبوع الحكمة والعلم الإلهي، ودعوته أنها هادية ومبشرة ومنذرة، ومن السبل التي تجسد هذا المعنى إيراد القصص في السورة، فكان المقطع الرابع وهو قصة صالح عليه السلام مع قومه نموذجا في هذا الإطار.

3-ومن الوشائج التي تصل المقطع الرابع بموضوع سورة النمل ما كان الاستهلال به في المقطع نفسه من إرسال صالح عليه السلام رسولا إلى ثمود**(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا)** النمل45، وهذا تكليف رسالي من الله عز وجل له لتبليغ الدعوة إليهم، بعبادة الله وتوحيده**(أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ)** النمل45، وبالنظر في موضوع السورة، فهو رسالة القرآن الهادية التي كلف بها الرسول صلى الله عليه وسلم لتبليغها للناس جميعا.

4-ورسالة القرآن الهادية التي تضمنها موضوع سورة النمل، هي ينبوع الحكمة والعلم الإلهي، ومن آثار لطائف حكمته تعالى ودقائق علمه، ما قصه من أخبار صالح عليه السلام مع قومه، في المقطع الرابع بهذه الدقة في الإخبار، والإحاطة بالأحداث والوقائع بجميع نواحيها، وهذا لا يتأتى لأحد إطلاقا، وإنما مصدره وحي الله صاحب الحكمة والعلم.

5-يرتبط المقطع الرابع أيضا من سورة النمل مع موضوعها في الإشارة إلى المعجزات التي تساق تأييدا لمدعي النبوة، فصالح عليه السلام قد أيد بالناقة تصديقا لرسالته حتى تكون حجة وبرهانا وقد دل على ذلك ما كان من إنكار صالح عليه السلام استعجال قومه العذاب بعدما عقروا الناقة وهذا تحديا له، والحال نفسه يستصحب على رسالة القرآن إلى الناس قد كانت تؤيدها

معجزات تصديقا لنبوة النبي صلى الله عليه وسلم، أهمها القرآن الكريم نفسه حجة الله على الدهر كله.

6-قد حمل المقطع الرابع جانب الترغيب والترهيب في الدعوة، فحمل في جانب الترغيب ما تضمنته آياته من الرد الجميل لصالح عليه السلام بالإنكار عليهم استعجال العذاب، وأرشدهم إلى الاستغفار والتوبة ليكونوا من المرحومين، أما جانب الترهيب فيفهم من خلال استعجال العذاب لما أنذرهم به، في قوله (**فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**) هود65، فركبوا رؤوسهم وعاندوا واستعجلوا العذاب بدل طلب الرحمة من الله وهذا ما يرتبط مع موضوع السورة في أن رسالة القرآن إلى الناس هادية، تبشرهم بما ينالهم في الدنيا من الخير، وما لهم من الجزاء الحسن عند الله في الآخرة، فتخبت قلوبهم، وينذرهم إن هم كفروا وكذبوا، وهذا حتى لا يكون للناس على الله حجة بعد التبليغ مما يكون سببا لحلول العقاب العادل عليهم.

7-ومن العلائق التي تربط المقطع الرابع من سورة النمل بموضوعها، ما كان من دعوة صالح عليه السلام إلى عبادة الله (**أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ**) النمل45 وما أبطله بالحجة على ما تعلق به القوم من مزاعم في عبادتهم للأصنام من دون الله، وإبانته حقيقة التوحيد التي أفسدوها بالشرك[1]، وأقام الدليل على ذلك في قوله(**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**) هود 61، وهو ما يمكن أن يقال في رد القرآن على مزاعم كفار مكة من أباطيل يتبعونها في شركهم بالله في قوله تعالى(**ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ**)النمل59، مع تقديم الدليل على حقيقة وحدانية الله، وبطلان ما كانوا يعبدون فيما بعد ذلك من الآيات، وكذا ما يكون في الإطار نفسه في جواب الهدهد بإنكاره السجود لغير الله الذي(**يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ**)النمل25، وهو ما يمثل بعضا مما تناوله موضوع سورة النمل من الرد على الشبهة المثارة حول قضية التوحيد وغيرها.

1-كتطيرهم من صالح عليه السلام، فرد عليهم بإبطال الطيرة من أصلها(**قال طائركم عند الله**). ينظر : المكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، ص441.

8-يلتقي المقطع الرابع من السورة مع موضوعها في مباينة ثمود لرسالة الهداية التي جاءهم بها صالح عليه السلام، إذ أن الذين كفروا وقفوا موقف العناد والمكابرة لما جاءهم به من الحق،(فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ) فصلت17، وهو ما يتناسب مع موضوع السورة مما يترجمه موقف كفار مكة من رسالة القرآن الهادية لهم، فاستكبروا وعاندوا، وهو ما يتناسب مع الموقف الذي وقفه فرعون من رسالة موسى عليه السلام، إذ جحدوا(بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗا)النمل14، وهو على النقيض من موقف بلقيس التي تحققت من دعوة سليمان عليه السلام، فأذعنت و(قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ)النمل44.

9-المتأمل في المقطع الرابع من سورة النمل يجد قوم ثمود قد انقسموا فريقين أمام دعوة صالح عليه السلام، فريقا آمن واهتدى، وفريقا كفر وضل(فَإِذَا هُمۡ فَرِيقَانِ يَخۡتَصِمُونَ)النمل45، وبالرجوع إلى موضوع سورة النمل وتدبر الرابط معه، يتضح أن رسالة القرآن الهادية قد تباينت مواقف الناس بشأنها، فآمن واهتدى بها فريق، وكفر وكذب بها فريق آخر، وهو الموقف الذي ورد في صدر السورة ببيان حال من آمن بالقرآن فهدي وبشر، وحال من كفر بالآخرة فأعرض عن القرآن فضل وعمه فكان أخسر الناس.

10-ومن الوشائج التي تربط المقطع الرابع من سورة النمل بموضوعها، أن وظيفة صالح عليه السلام هي دعوة قومه إلى الله، يبشرهم وينذرهم، وليس له في ذلك إلا التبليغ، وهذا حال الأنبياء جميعا (رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)النساء165، وبالنظر في موضوع السورة يكون قد حصل التناسب والارتباط مما تحمله رسالة القرآن الهادية من تبشير وإنذار للناس ليس لصاحبها إلا التبليغ.

11-كما يلتقي المقطع الرابع لسورة النمل مع موضوعها في جانب السنن الإلهية، ومنها جانب الهداية والضلال، فقد عرض المقطع لسنة الله فيمن استحب العمى على الهدى بكفره وتكذيبه فحقت عليه الضلالة، ومن آمن بصالح واتبع طريقه، فكان من المهتدين، وبالربط مع موضوع سورة النمل، رسالة القرآن الهادية المبشرة والمنذرة فسنة الله تقضي بتوفيق من تلمس سبيلها، وتحق الضلالة على من عاند الحق واستكبر عن إتباعه فكان من الضالين.

12-ومن العلائق الرابطة بين المقطع الرابع لسورة النمل وموضوعها، ما توافق فيه أجواء نزول السورة مع أجواء قصة صالح عليه السلام مع قومه، إذ قد حوت القصة جانب الكفر والتكذيب والاستهزاء والتآمر على الإيقاع به، بتبييت قتله مع أهله، وهو كذلك عين ما حواه جو

نزول السورة من عناد وصدود واستهزاء، و تآلب على الدعوة وصاحبها ومن آمن معه، مع تضمنها رسالة الهداية إلى الله عز وجل.

13-كما أن مصدر التلقي للوحي لهداية الناس و تعبيدهم لله عز وجل، يشكل نقطة تلاق بين المقطع الرابع لسورة النمل وموضوعها، ففي قصة إرسال صالح عليه السلام ما يستشف منه مصدر التلقي للوحي (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا**) النمل45، ومثله ينسحب على موضوع سورة النمل في مصدرية تلقي القرآن رسالة الهداية أنه من الله عز وجل، وهذا ما ختم به المقطع الأول في قوله تعالى (**وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ**) النمل 6، وذلك من باب التناسب الحاصل.

14-ومن وجوه الارتباطات بين المقطع الرابع من سورة النمل وموضوعها، أن صالحا عليه السلام من أنبياء الله العرب، أرسل إلى ثمود، وكذلك حامل رسالة القرآن الهادية صلى الله عليه وسلم من أنبياء الله العرب، وهذا نقطة التقاء بيانا لكفار مكة بأن الأنبياء عليهم السلام جميعا، عربا أو كانوا عجما كما جاء في السورة من ذكر لموسى وداود وسليمان عليهم السلام، وهم من العجم، إنما هم دعاة إلى الله عز وجل، وأن خاتمهم صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من ذلك.

إن هذا المقطع الرابع من سورة النمل بعد بحث الجوانب التناسبية المختلفة، يظهر كما كان مع المباحث السابقة تلاحما كبيرا وترابطا متينا على مختلف مستوياته.

خلاصة الفصل الرابع:

لقد أرسل صالح عليه السلام برسالة الهداية إلى قومه لبيان طريق العبودية الحقة لله تعالى دون غيره من الموجودات مما ضل فيه القوم، قال الله تعالى (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ**)النمل45، وكما قال الله تعالى أيضا (**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ**) هود61، فما كان منهم سوى المجادلة بالباطل والإصرار عليه، بل التآمر على قتله، وانتهى المشهد بإهلاك القوم المعاندين بما كانوا يظلمون.

وباستعراض جوانب التناسب المختلفة في هذا المقطع الرابع من سورة النمل تبين مدى التلاحم والترابط الكبير فيه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الخامس

قصة لوط عليه السلام مع قومه.

من الآية الرابعة والخمسين إلى الآية الثامنة والخمسين (54-58).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

من القصص الواردة في سورة النمل قصة لوط عليه السلام مع قومه الذين طمست فطرتهم واستمرءوا الدنس، وكانوا قوما فاسقين بتلبسهم بفاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

وفي المقطع الخامس من السورة حديث عن رسالة لوط عليه السلام لقومه ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: استنكار لوط عليه السلام فساد قومه وعاقبة أفعالهم.

المبحث الثاني: جوانب التناسب في المقطع الخامس من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
استنكار لوط عليه السلام فساد قومه وعاقبة أفعالهم.

تمهيد:

إن مما أرسل به لوط عليه السلام هو هداية قومه إلى فطرة الله التي فطر الوجود كله عليها، وقد أوغلوا في الفساد، واستمرءوا الدنس وأعلنوه في مجالسهم وناديهم، فجاءت قصة لوط عليه السلام مع قومه بهذا الشأن موجزة في المبنى، وعميقة في المعنى، وسيكون الحديث عنها ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: استنكار لوط عليه السلام فساد قومه.

المطلب الثاني: جواب قوم لوط عليه السلام، وذكر عاقبتهم.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: استنكار لوط عليه السلام فساد قومه.

هذه هي القصة الرابعة [2،1]من القصص الواردة في سورة النمل، استهلت بذكر إرسال لوط[3] عليه السلام إلى قومه، أهل المدينة الفاسقة الذين مسخت فطرتهم ولستمرءو ا الدنس، وجعلوه علنا في مجالسهم ونواديهم.[4]وبعد دعوته إياهم إلى ما دعا إليه الأنبياء عليهم السلام جميعا من الهداية إلى الله بتوحيده وعبادته، قائلا لهم (**إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ**) الشعراء 162-163، توجه عليه السلام إليهم بالإنكار والتوبيخ على ما يقترفونه من الفواحش[5] بما دل عليه الاستفهام الإنكاري، بإتيانهم الذكور دون الإناث مخالفين ما هدى الله إليه الحياة كلها، كما قال تعالى(**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**)طه50، ففطرة الله تقضي حدوث التزاوج بين الذكر والأنثى عموما، لتتم بذلك حكمة الله فيما أراده، قال تعالى(**سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ** ﴾ يس36، فقال لهم لوط عليه السلام(**وَلُوطًا إِذْ قَالَ**

1-باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

- محمد محسين:الإرشادات الجلية، ص 591 .
- أبو زرعة:حجة القراءات، ص533.
- أحمد البنا: اتحاف فضلاء البشر، ج 2 ص 331.
- تفسير الميداني: ج9 ص117.

2-ذكرت قصة لوط عليه السلام في مواطن عديدة من القرآن الكريم، في ثلاث عشرة سورة، منها سورة النمل في الآيات 54-58.ينظر:محمد بسام رشدي الزين،مدرسة الأنبياء، ص109.

3-و لوط عليه السلام هو:ابن هارون بن آز ر، ابن أخي إبراهيم عليه السلام.السيوطي:ينظر:الإتقان، ج5ص 1971.

4-ينظر:محمد الغزالي،نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 293.

5-الفاحشة: هي « الفعلة المتناهية في القبح. » تفسير البقاعي: ج14ص 181.

ومن أوصاف قوم لوط عليه السلام أنهم كانوا أهل إجرام، قال تعالى(**فانظر كيف كان عاقبة المجرمين**) الأعراف 84، وأهل فسق وفجور، قال تعالى (**إنهم كانوا قوم سوء فاسقين**)الأنبياء 74، وأهل ظلم (**إن أهلها كانوا ظالمين**)العنكبوت31، ومن أوصافهم أيضا الإسراف، كما قال تعالى (**مسومة عند ربك للمسرفين**)الذاريات 34، قد ساءت فيهم الخبائث وعمت القرية كلها، قال تعالى: (**ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث**)الأنبياء 74، وهي التي ذكرت في قوله تعالى(**إنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون في ناديكم المنكر**)العنكبوت 29، مما جعلهم لا يتناهون عن منكر فعلوه.ينظر:محمد بسام رشدي الزين، مدرسة الأنبياء، ص 110-111.

لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)النمل54، وهذا إنكار منه على ما كانوا يفعلونه من الفاحشة التي لم يسبقهم إليهم أحد من العالمين، فأصبحوا بذلك شواذا بين جميع الأحياء بفعلتهم هذه، قال تعالى(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)الأعراف80، فهي مما تستقبحها العقول، وتنهى عنها الشرائع وتستهجنها الأعراف رغم علمهم يقينا أنها فاحشة، «ولأن الله إنما خلق الأنثى للذكر، ولم يخلق الذكر للذكر، ولا الأنثى للأنثى، فهي مضادة لله في حكمته وحكمه »[1]، وهم لشقائهم كانوا يفعلونها في ناديهم مجاهرة دون حياء أو استتار، بإجماع منهم ورضى.

وأفصح لوط عليه السلام ما كان أبهمه من إنكاره عليهم، باستفهام إنكاري تنديدي بما كانوا يفعلون من الشذوذ الجنسي[2]، وهذا« ليكون أوقع في النفس»[3] ، وقال تعالى(أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)الشعراء 165-166، وقال تعالى أيضا(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ)العنكبوت29، فهم يأتون الفاحشة لأجل شهوة نفوسهم وتلذذها، كالبهائم ليس فيها قصد إعفاف، ولا قصد ولد[4]، وهم قد تركوا ما أحل الله لهم من الاستمتاع بفروج النساء بالنكاح، وما وقع منهم من انحراف عن فطرة الله التي هدى إليها الحياة كلها هو جهل منهم بقبح ما اقترفوا، و بعاقبة ما أقدموا عليه وبهداية الله في اجتماع الذكر بالأنثى وفق الفطرة الربانية، فهم قد جهلوا منطق الفطرة فلا يعلمون شيئا أصلا، وقد مالوا عنها فهم سفهاء حمقى معتدون على جميع الحقوق.[5]

1-تفسير الزمخشري: ج4ص 462.

2-الشذوذ الجنسي: السلوك المنحرف من ناحية الشهوة الجنسية. موقع الاستشارات: www.islamweb.net.

3-تفسير المراغي: ج19ص 150.

4-ينظر:تفسير محمد الأمين الهرري، ج20ص 482.

5-ينظر:تفسير بيوض إبراهيم، ج8ص112.

المطلب الثاني: جواب قوم لوط عليه السلام وذكر عاقبتهم.

تخبر الآيات في هذه التتمة للقصة عن جواب القوم على إنكار لوط عليه السلام صنيعهم مما يأتونه من الفاحشة، بإصرارهم على ما هم فيه، وعزمهم على إخراج لوط عليه السلام وأهل بيته من بين أظهرهم وطرده من القرية، وقد جعلوا إقامته بينهم منة منهم عليه، فقالوا ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾النمل56، وعلة الإخراج من القرية[1] أنهم أناس يتنزهون عما يفعله القوم من إتيان الفاحشة،وقد قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء والتهكم بلوط عليه السلام، فهم لم « يكتفوا بمعصيتهم لنبيهم فيما وعظهم حتى وصلوا إلى إخراجه.»[2،3]

وهؤلاء القوم الذين استمرءوا الدنس، وارتضوه حالا بينهم، وعابوا كل من أنكر عليهم صنيعهم ذلك، قد تمحض فعلهم للفساد، حتى أنه لم يبق معهم منفذ للنصح، فاستحقوا الجزاء الوفاق من الله على ما اقترفوه، وجاءهم أمر الله مصبحين، وحق عليهم القول فأخذتهم صيحة العذاب، وجعل الله عالي القرية سافلها، ورماهم بحجارة من سجيل فأهلكهم جميعا، وقطع دابرهم، قال تعالى﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ﴾الحجر73، وقال تعالى أيضا ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾هود 83/82[4] قال السدي:« لما أصبح قوم لوط نزل جبريل فاقتلع الأرض

1-«القرية:المصر الجامع، وهي تطلق في اللغة على كل أرض فيها بيوت ومساكن مجتمعة، قلت أم كثرت، ولو بلغت مدينة عظيمة جدا».تفسير الميداني:ج9ص 120 بتصرف.7

2- تفسير السعدي:ص607.

3-«فعجبا لهؤلاء السفهاء، لقد صارت الرذيلة فضيلة في نظرهم، وصار من لا يفعل الرذيلة مجرما يجب أن يعاقب بالطرد والإبعاد من وطنهم، وصارت النجاسة طهارة، والقذارة شرفا يفخر به الإنسان، هذا هو منطق السفهاء في كل زمان ومكان، يسخرون ممن يجتنب القاذورات والموبقات ويعدونه متخلفا (رجعيا) لأنه لا يساير الناس في أهوائهم، وأما من غرق في الفسوق والمجون إلى الآذان، وسقط إ فهو الإنسان الألمعي المتقدم الذي يسمونه(تقدميا)، وما أكثر ما نسمع في عصرنا من يسخر من الشباب الملتزم المتمسك بدينه،المحافظ على آداب الإسلام الذي أبى الانحراف مع الشهو ات الدنيئة من نساء وخمور وفجور،ويعينهم من البله الذين لم يعرفوا طعم الحياة، ويصفونهم بألفاظ قبيحة، يقولون أنهم(رجعيون، متأخرون، متزمتون) تماما(**إنهم أناس يتطهرون**).» مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 466.

4-ينظر:محمد بسام رشدي الزين، مدرسة الأنبياء، ص 116.

من سبعة أرضيين فحملها حتى بلغ بها السماء فسمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم، ثم قلبها فقتلهم، ومن لم يمت أمطر الله عليهم حجارة من سجيل فقتلهم»[1] فساء هذا المطر الذي حاق بالقوم الظالمين الذين قامت عليهم الحجة بالإنذار، فلم يغن عنهم ما كانوا يصنعون، وجعلهم الله بذلك محلا للاعتبار، قال تعالى(**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ**) الحجر75-76، وقال تعالى أيضا(**وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾**) العنكبوت 35،« فطلب الله من كل من يمرون بتلك المنطقة أن يستخدموا عقولهم ويتعظوا بمن قبلهم، فقال(**وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**)الصافات137-138.»[2].

أما لوطعليه السلام، فقد نجاه الله من العذاب، ومن آمن معه برسالته، دون امرأته التي كانت على شاكلة القوم، راضية بأفعالهم،«ومتواطئة معهم، فتدل قومها على ضيفان لوط يأتون إليهم»[3]، فيراودوهم عن أنفسهم، فكان قدر الله أن جعلها باقية في العذاب مع القوم الظالمين، كما قال تعالى(**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**)الحجر60، وقال(**إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ**)هود81.

1- مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 466-467.

2- ينظر:محمد بسام رشدي الزين، مدرسة الأنبياء، ص 116.

3- الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص 06.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

ينطوي هذا المقطع على جملة من اللطائف والهدايات القرآنية، يمكن استنباطها بعد طول تأمل كما يأتي:

1- في قصة لوط عليه السلام مع قومه بيان أن «دعوة جميع الأنبياء متوافقة مع الفطرة، فلا يأمرون الناس إلا بما هو طيب، كما لا ينهون إلا عما تتجنبه الفطرة»[1]، قال تعالى(فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)الروم 30.

2- الراضي بالمنكر وإن لم يفعله، فهو مقر به، فله جزاء الفاعلين[2]، كما كان من تصرف امرأة لوط عليه السلام موافقة لقومه في معاصيهم و شذوذهم.

3- في المقطع جانب من السنن المتنوعة:

أ- سنة الله في المجاهرين بالفواحش المتوافقين عليها، أنهم يستحقون العقاب الإلهي العادل كما حدث لقوم لوط عليه السلام، لما جاهروا بارتكاب الفاحشة وأعلنوها في ناديهم ورضوا بها.

ب- سنة الله وهدايته في اجتماع الرجل بالمرأة بطريق مشروع، وفق قانون التزاوج الذي فطرت عليه الحياة كلها.

ت- سنة الله في إنجاء من آمن واتقى، قال تعالى(وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ)النمل53.

4-فاحشة الشذوذ الجنسي كبيرة من الكبائر[3] ، اختلفت آراء العلماء حول مرتكبيها[4]، مع اتفاقهم على شدة فحشها وقبيح فعلها، وعظيم جرمها .

1-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 468.

2-ينظر:الزحيلي،التفسير المنير، ج20ص06.

3- بنظر:الذهبي، الكبائر، ص 52.

4-ذهب فريق من العلماء ومنهم الشافعي و أحمد إلى رجم اللائط، سواء كان محصنا أو لا، ودليل ذلك الحديث الصحيح الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: [**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به.**]الألباني: صحيح سنن ابن ماجة،باب :من عمل عمل قوم لوط،مج2ص324،وقال:صحيح. وذهب أبو حنيفة إلى أن اللائط يلقى من شاهق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط،لقوله تعالى(**وما هي من الظالمين ببعيد**)هود83.ينظر:مصطفى مسلم،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص467.

5- في قوله تعالى (**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**)النمل56، تنبيه إلهي على تحول الحقائق إلى أباطيل والحسن إلى قبيح والطهارة إلى نجاسة في ميزان من ليس لهم مسحة من عقل اليوم، فأصبح من يدعو قومه إلى قيم العفاف والحشمة رجعيا متخلفا وجب نبذه وإخراجه كما حدث للوط عليه السلام، إذ هموا بإخراجه لما دعاهم إلى الطهارة من الرجس.

6- إيراد قصص الأولين للاعتبار بحالهم، وما حدث لقوم لوط عليه السلام هو «تحذير من ظهور بعض الفواحش، وبروز بعض مظاهر التحلل في أمور الدين»[1]، لئلا يكون ذلك سبيلا لإعلانها والرضا بها، فيحق العذاب الإلهي، كما حق على قوم لوط عليه السلام، وهذه مسؤولية الجميع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[**كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته**...][2]

7- أهمية الجانب الأخلاقي في القرآن الكريم من خلال عرض قصة لوط عليه السلام مع قومه، وتأكيد أواصر الارتباط بتوحيد الله وعبادته، كما كانت رسالة شعيب عليه السلام في الاهتمام بالجانب الاقتصادي انطلاقا من التوحيد والعبادة، و الجانب الأخلاقي في رسالة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلا انفكاك بين الجانب العقدي والجانب الأخلاقي في الإسلام.

8- احتواء المقطع على بعض أنواع الإعجاز:

أ-الإعجاز الغيبي التاريخي، والمتمثل في الإخبار عن أمة سابقة ضاربة جذورها في التاريخ بتفاصيل دقيقة، لا يمكن أن يحاط بها إلا ممن وسع كل شيء علما.

ب-الإعجاز البياني في لغة القرآن السامية، في حروفها وكلماتها وجملها، بما ينبئ لا محالة على مصدرية القرآن أنه من عند الله عز وجل، ففي قوله تعالى(**أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ**)النمل55، جملة تعبيرية تفصيلية عن واقع الجريمة الأخلاقية لقوم لوط عليه السلام بما يعكس الحالة الفسية للقوم المسرفين الذين استمرءوا الدنس و مسخت فطرتهم بإعلان الفاحشة في ناديهم ورضاهم بها، والتي توحي بشدة عذاب القوم وأليم وقعه عليهم.

ج-الإعجاز التشريعي في سن الأحكام ووضع التكاليف لتنظيم الحياة وحمايتها من كل ما يكدر صفوها، وينزلها عن مرتبة التكريم الإلهي، ويحيد بها عن فطرة الله التي فطر عليها الوجود كله،

1-تفسير بيوض بن إبراهيم: ج8ص113-114 بتصرف.

2-البخاري:صحيح البخاري، كتاب الأحكام،باب:قول الله تعالى(**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**)،حديث رقم7138، ص1317.

ومن ذلك تحريم فاحشة اللواط، وإيقاع العقوبة لمرتكبيها دون هوادة.

لقد عرض المقطع الخامس لقصة لوط عليه السلام مع قومه، وقد جاءت موجزة في هذه السورة الكريمة، تلخص الهداية إلى فطرة الله التي فطر الوجود كله وفقها، فكان الإعراض عنها والتآمر على طرد رسولها، وما انتهى إليه مصير القوم من التدمير و الإهلاك بما كانوا يفسقون.

وفي المبحث الموالي عرض لجوانب التناسب المختلفة في المقطع الخامس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني

جوانب التناسب في المقطع الخامس من سورة النمل.

تمهيد:

في هذا المبحث بسط للعلائق التناسبية المختلفة في المقطع الخامس من السورة، ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الخامس من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني : تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الخامس من سورة النمل فيما بينها.

المقطع الخامس يلخص رسالة لوط عليه السلام في هداية قومه إلى فطرة الله التي فطر عليها الوجود كله.

فابتدأ بذكر إرسال لوط عليه السلام بالعطف على قصة صالح في قوله تعالى (**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**)النمل54، و ما كان من إنكاره عليهم ما اخترعوه من فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين.

وهذه المعصية هي خروج عن الفطرة التي هدى الله عليها الحياة كلها، بإتيان الرجال شهوة من دون النساء، مما لا يقصد منه إعفاف ولا تحصيل الولد، وهذا من الجهالة، «وهي اسم جامع لأحوال أفن الرأي وقساوة القلب»[1]، فهم قد جهلوا منطق الفطرة، فلا يعلمون شيئا أصلا، وقد مالوا عنها فهم سفهاء حمقى معتدون على جميع الحقوق[2].

ومن التناسب الحاصل بين آيات المقطع الخامس، ما كان من موقف قومه من رسالته الهادية لهم إلى الفطرة الإلهية، بأن قالوا (**أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**)النمل56؛ إذ لم تكن لهم حجة فيما نهاهم عنه من المنكر إلا الإجماع على إخراجه عليه السلام و طرده من القرية، بل هذا من الجهالة التي وصفوا بها ولذلك عطف جملة(**فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ**) النمل56،على التي قبلها بالفاء العاطفة، وهذا الرد منهم على رسالة لوط عليه السلام كان لعلة التطهر والتنزه عما يأتيه القوم، فقال تعالى (**إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ** النمل56).

ومن التناسب الحاصل أيضا بين آيات المقطع الخامس، ما كان فيه الحكم الفصل على الكفران والتكذيب والتنكب عن طريق الهداية التي دعاهم إليها لوط عليه السلام، وهو الجزاء العادل بتدمير القوم وإهلاكهم لقوله تعالى(﴿ **وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا**) النمل58، « غير ما عهد من نوعه، فقد كان حجارة من سجيل »[3]، مع التذكير بما حل بهم عظة واعتبارا بحالهم بما اقترفوه من

1-تفسير ابن عاشور: ج19ص 288.

2-ينظر:تفسير بيوض إبراهيم، ج8ص112.

3- تفسير المراغي: ج20ص 4-5.

الفاحشة، وبما كذبوا به رسولهم عليه السلام، (**وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ**)النمل58، و نجى الله لوطا عليه السلام والذين آمنوا برسالته من أهله.

ومما يلاحظ في جو المناسبات ما كان ذلك بين أول المقطع الخامس وآخره؛ إذ أن بدايته كانت تعريفا برسالة لوط عليه السلام الهادية إلى الفطرة الإلهية، وختامها كان بيانا لعاقبة من كذبوا بها ونجاة لوط وأهله، مع ورود القصة موجزة بإعجاز.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع سابقه.

هناك علائق وارتباطات تربط المقطع الخامس من سورة النمل مع سابقه، يمكن ذكرها فيما يأتي:

1- يعتبر المقطع الخامس للسورة مع سابقه من القصص القرآني الوارد فيها فكلاهما يحكي قصص نبيين كريمين هما صالح و لوط عليهما السلام، وما أرسلوا به لهداية أقوامهم إلى الله عزا وجل وهو ما يرتبط مع قصص موسى و سليمان عليهما السلام مع من أرسلوا إليهم.

2- كما يلتقي المقطع الخامس لسورة النمل مع سابقه، في مجيئهما ضمن مجال الاعتبار والعظة مما حل بالأمم المكذبة من سوء الحال والمآل، فقال تعالى عن قوم صالح (**فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**)النمل52، وقال عن قوم لوط عليه السلام(**وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ**)النمل58، ويجيئان أيضا في مجال تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا معه عما يلاقوه من صدود وتكذيب من كفار مكة و مشركيها.

3- كلا المقطعين الخامس من سورة النمل والذي قبله، يرتبطان بأولها، من حيث إنه- أي أول السورة- مهاد «لهذه الأحداث ونذيرا بعقباها،(**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ**) النمل4-5»[1]

4- ويرتبط المقطع الخامس من سورة النمل مع سابقه في جانب لب دعوة النبيين الكريمين، وهو هداية الناس إلى الله عز وجل بتوحيده وعبادته، والاستقامة على الخير والمعروف، ومجانبة الشر والمنكر، فصالح قال لقومه(**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ**)النمل45، ودعاهم إلى التوبة مما هم فيه من الكفر، فيغفر الله لهم ويتجاوز عن خطاياهم، ولوط عليه السلام بدعوته قومه إلى الله وتوحيده، قائلا لهم(**فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ**)الشعراء144، ثنى ذلك بنهيهم عما صادموا به فطرة الله وهدايته مما اقترفوه من الفاحشة الخبيثة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين(**وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ**)النمل54، فكلا دعوة النبيين كانت هادية إلى الله.

1-محمد الغزالي:نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص 293.

5- ومن جوانب التناسب بين المقطع الخامس والذي قبله في السورة، ما استهل به من قوله تعالى (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ) النمل54، بالواو العاطفة، «و(لوطا) منصوب، بمضمر معطوف على (أرسلنا) في صدر قصة صالح عليه السلام داخل معه في حيز القسم أي (وأرسلنا لوطا).»[1]

6- ويلتقي المقطع الخامس من سورة النمل والذي قبله في إطار عادة القرآن في «ترتيب تقص هذه الأمم، فإن قوم لوط كانوا متأخرين في الزمن عن ثمود »[2] ، وأيضا«لمناسبة جوار ديار قوم لوط لمملكة سليمان ووقوعها بين ثمود وبين فلسطين»[3].

7- كما أن خلق الفساد في إطاره العام الذي اتصف به قوم صالح ولوط عليهما السلام، كان نقطة التقاء بين المقطع الخامس من السورة والذي قبله، فكان الفساد سمة لثمود، إذ قابلوا نعم الله بالتكذيب بالنذور وإنكار القيامة والحساب(كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ) الحاقة 4، وأنتجت هذه العقيدة الفاسدة استكبارا في الأرض وتبذيرا للأموال وإسرافا في الفساد ، وآل الأمر في مجلس المدينة إلى تسعة رؤساء يمثلون قمة الفساد، ولا يأتي منهم إصلاح البتة، (وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ)النمل48 [4]، وهو ما كان عليه الحال في قوم لوط عليه السلام من اجتماعهم على اقتراف الفاحشة في نواديهم جميعا، وبإجماع منهم(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ)النمل54، « وكانوا يقطعون الطريق على المارة ويستلبون أموالهم ويغتصبون أولادهم »[5]، كما يدل عليه إنكار لوط عليه السلام في قوله لهم (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ)العنكبوت 28 .

8- ومن وجوه التناسب بين المقطع الخامس في سورة النمل والذي سبقه، ما ذكر من عاقبة قومي صالح ولوط عليهما السلام الوخيمة، إذ حق عليهما العذاب بما ظلموا، حيث كذبوا رسلهم، وآذوهم واستعجلوا العذاب إصرارا على هذا الحال، فقال قوم صالح عليه السلام له (ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ

1-تفسير الألوسي: ج19ص215.

2-تفسير ابن عاشور: ج 19ص 287.

3-المرجع نفسه: ج19ص 287.

4-ينظر:محمد بسام رشدي الزين،مدرسة الأنبياء، ص 50.

5-المرجع نفسه: ص 112.

إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ)الأعراف77، وقال قوم لوط عليه السلام له (ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)العنكبوت 29، ولذلك قال تعالى عن قوم صالح عليه السلام(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ)النمل51، وقال عن قوم لوط عليه السلام(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ)النمل58، ونجى الله سبحانه وتعالى صالحا ولوطا عليهما السلام ومن آمن معهما من العذاب الأليم، فقال تعالى عن صالح ومن آمن معه(وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)النمل53، وقال عن لوط عليه السلام ومن آمن معه(فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ)الأعراف83.

9- ومن وجوه التناسب والرابط بين المقطع الخامس من السورة والذي قبله، ما كان في إيراد قصص النبيين من الإعجاز القرآني الغيبي التاريخي، مع الإيجاز بتلك الدقة المتناهية في الإخبار والإحاطة بجوانب الأحداث، مما لا يحتويه مصدر آخر غير القران الكريم، مما يدل على تلقيه من عند الله الحكيم العليم .

10- كما أن المقطع الخامس من سورة النمل يتلقى مع سابقه في مقابلة بين آيات العذاب والنجاة، فقال تعالى(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)النمل51-52، وقال تعالى(فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ)النمل57 وفي الآية الموالية (وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ)النمل53، وقال عن قوم لوط عليه السلام(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ)النمل58، فقوم صالح عليه السلام لما مكروا به وأهله، رد الله على مكرهم بإصابة القوم بإهلاكهم، ثم عقب على ذلك بنجاة صالح عليه السلام ومن معه، وقوم لوط عليه السلام لما أجمعوا على إخراجه وطرده ناسب ذكر نجاته وأهله أولا، ثم أعقبه بذكر الإهلاك بعد ذلك، والله أعلم .

المطلب الثالث تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع موضوعها .

بالوقوف على المقطع الخامس من سورة النمل وموضوعها الرئيس، تتجلى بعد طول تأمل وجوه الارتباطات والعلائق المختلفة بينهما كما يأتي:

1-أول هذه الارتباطات المستنبطة أن دعوة لوط عليه السلام هي في صميم هداية قومه إلى فطرة الله عز وجل، بإنكاره عليه السلام بعد دعوتهم إلى توحيده وعبادته على قومه ما يأتونه من فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين مجانبين بذلك لهداية الله في قانون التزواج الذي سنه الله للحياة كلها، قال تعالى (أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ)النمل55، وقال تعالى(أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)الشعراء165-166، وبالنظر إلى موضوع سورة النمل تظهر بذلك المناسبة مع المقطع الخامس في أن رسالة القرآن هداية للناس إلى الله عز وجل في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم وأخلاقهم، و رسالة لوط عليه السلام تندرج في مضمار رسالة القران الهادية.

2-كما تظهر العلائق بين المقطع الخامس لسورة النمل وموضوعها في جانب الإنذار والتحذير من استحقاق عذاب الله بالصد والتكذيب، فقد جاء الإخبار بما آل إليه قوم لوط عليه السلام، وما حل بهم

من الهلاك والتدمير في المقطع الخامس(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ)النمل58 و في هذا عظة وعبرة لغيرهم، و مما تضمنه موضوع سورة النمل إنذار المكذبين وتحذيرهم من أن يحق عليهم العذاب من الله عز وجل إن هم بقوا في غيهم وضلالهم، فكان بذلك التناسب بين المقطع الخامس للسورة وموضوعها واضحا .

3-كما أن إيراد القصص في القرآن، ومنه في سورة النمل هو نقطة تلاق بين المقطع الخامس للسورة و موضوعها، من حيث أن من أساليب رسالة هداية القران الناس إلى الله عز وجل هو ذكر قصص الأمم السابقة، ترغيبا وترهيبا وهو ما كانت قصة لوط عليه السلام مع قومه في المقطع الخامس نموذجا بارزا له في هذه السورة الكريمة.

4-ومن العلائق التي تربط المقطع الخامس لسورة النمل مع موضوعها هو ما كان من نقطة التقاء تكليف الرسول صلى الله عليه وسلم برسالة القرآن هداية وتبشيرا وإنذارا من الله عز وجل، وتكليف لوط عليه السلام بالرسالة لهداية قومه إلى الله(وَلُوطًا إِذْ قَالَ)النمل54، فالوحي بالرسالة

والتكليف بها للنبيين الكريمين صلى الله عليهما وسلم، هو من عند الله عز وجل، وفي الاتجاه نفسه يرد تكليف كل من موسى، وسليمان، وصالح عليهم السلام في هذه السورة، فيما سبق ذكره بالرسالة لهداية أقوامهم إلى الله في أصل واحد هو(أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ)النمل45.

5-ويرتبط المقطع الخامس لسورة النمل مع موضوعها في مسألة التأييد بالمعجزات؛ إذ أن إرسال لوط عليه السلام من عند الله قد كان مع تأييده بمعجزات تدل على صدقه في دعواه، قال تعالى(﴿ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ وَأَنتُمۡ تُبۡصِرُونَ) النمل54، فقد أيد بالملائكة الكرام في صورة بشر حسان، يدل على ذلك ما جاء في المقطع نفسه من استثناء امرأة لوط عليه السلام من النجاة من عذاب الله، لما كانت تدل القوم على ضيفانه، وهم الملائكة الذين سبق ذكرهم، وأيد أيضا بإهلاك قومه بحجارة من سجيل وتدمير القرية جزاء بما كانوا يفعلون،(وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ)النمل58، وبالنظر في موضوع السورة فإن القرآن هو أكبر معجزة أيد بها الرسول صبى الله عليه وسلم لتبليغها للناس، وهو ما جرى ذكره في بداية المقطع الأول في قوله تعالى(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلۡقُرۡءَانَ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)النمل6، وما ذكر كذلك من تأييد موسى وسليمان وصالح عليهم السلام بالمعجزات الدالة على نبواتهم في المقاطع السابقة في السورة، مما يظهر جانب الترابط بينها في هذه الناحية.

6-كما يلتقي المقطع الخامس لسورة النمل مع موضوعها في أن من بعض آثار حكمة الله وعلمه، ما حوته قصة لوط عليه السلام من وقائع إنما هي من آثار ذلك، ومنها حكمة الله في اجتماع الرجل بالمرأة بطريق شرعي وفق هداية الفطرة الإلهية للحياة كلها، كما كان من شأن لوط عليه السلام مع قومه من عرضه بناته عليهم للزواج الشرعي بهن في قوله تعالى(قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡ)هود 78، بدل الجنوح إلى سبيل هذه الفاحشة، وتنكب طريق الفطرة الإلهية وكذلك حكمته تعالى في استئصال القوم و إبادتهم جميعا وتدمير القرية بأسرها، تناسبا مع فاحشة لم يسبقوا بها، وهذا جزاء وفاقا، وهو بعض ما انطوت عليه رسالة القرآن الهادية موضوع سورة النمل، في كل أمور الدنيا و الآخرة وشؤونها.

7-ومن نقاط التقاء المقطع الخامس من سورة النمل مع موضوعها، ما كان من قوم لوط عليه السلام من صدود وتكذيب لما جاء به عليه السلام من الرسالة، كما قال تعالى(كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ

ٱلْمُرْسَلِينَ) الشعراء 160، وهو ما حمله موضوع السورة من ذكر الذين أعرضوا عن رسالة القرآن الهادية وكذبوا بمن جاء بها عليه الصلاة والسلام.

8-ومن وجوه الارتباطات المستنبطة بين المقطع الخامس من سورة النمل وموضوعها ما يهدف إليه القصص في القرآن الكريم من تسلية الرسول صلى الله عليه وسلم، ومن معه على ما يلقونه من إنكار وجحود لرسالة الهداية إلى الله، واختلاق المطاعن حولها، وتثبيتا في هذا السبيل، وهو بعض ما اشتمل عليه موضوع السورة في هذا الإطار تسلية له وتثبيتا بعرض نماذج لمن سبق من الأمم مع أنبيائهم، وموقفهم مما جاءوابه من رسالات الهداية والتبشير و الإنذار.

إن المقطع الخامس يعرض قصة لوط عليه السلام، وببحث العلائق التناسبية المختلفة، يظهر الترابط المتين في مستويات عدة، بدءا مع الآيات مع بعضها ثم المقطع مع سابقه، ومع موضوع السورة.

خلاصة الفصل الخامس :

إن دعوة لوط عليه السلام قد ارتكزت على هداية القوم إلى فطرة الله التي فطرعليها الوجود كله، حيث نهاهم عما اقترفوه من جريمة لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، فقابلوها بالإنكار والعزم على إخراجه وطرده، فكانت نهايتهم أن استحقوا عذاب الله الذي لا يتخلف عن القوم المجرمين، وهذه سنة الله فيمن صد عن السبيل وكان في العماية يتخبط.

الفصل السادس

الهداية إلى الحق فيما طعن فيه الكفار من القضايا.

من الآية التاسعة والخمسين إلى الآية الواحدة والثمانين (59-81).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

مما يتصل بالهداية الشاملة التي جاءت بها رسالة القرآن الكريم، ما ورد من القضايا الأساسية، وهي التوحيد والبعث والنبوة، وفي المقطع السادس عرض لهذه القضايا، وذلك ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: أدلة التوحيد واختصاص الله بعلم الغيب.

المبحث الثاني: الرد على منكري البعث وبرهان صدق النبوة.

المبحث الثالث: جوانب التناسب في المقطع السادس من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
أدلة التوحيد واختصاص الله تعا لى بعلم الغيب

تمهيد:

مما ضل فيه المشركون وعمهوا فساد اعتقادهم في الله عز وجل، فكان لا بد من بيان طريق الهداية في هذا الأصل، بالوقوف على زيف ما أشرك فيه القوم، وعرض مسألة التوحيد بأدلتها، وذكر ما تستلزمه من إحاطة بالغيب كله، وسيكون هذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: أدلة توحيد الله تعالى.

المطلب الثاني: لا يعلم الغيب إلا الله تعالى.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: أدلة توحيد[1] الله تعالى.

افتتا ح[2] هذا المقطع بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم، أن يحمد الله عز وجل على آلائه، ويشكره على نعمه التي لا تحصى ولا تعد، وأولها « هدايتهم إليه عز وجل وإلى طريقه الذي اختاره ومنهجه الذي ارتضاه »[3]، ومنها النصر على أعدائه ومن عاند الحق، وإهلاكهم فهم لا يهتدون، و أن يسلم على عباده الذين اصطفاهم للنبوة، واختارهم لتبليغ رسالته للناس، قال تعالى(**وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ**)الصافات181

« وهذا تنبيها على فضلهم وعظيم أجرهم »[4]، وأمره بالتوجه إلى« هؤلاء الذين زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون »[5] لسؤالهم إنذارا وتبكيتا لهم على ما أشركوا به مع الله آلهة أخرى، هل الله المتصف بصفات العظمة والقدرة التامة خير أما يشركون من أصنام وأوثان، أو مخلوقات أخرى، والمقصود بهذا السؤال الاستنكاري« التنبيه على نهاية ضلالهم وجهلهم، علما بأنه لا خير أصلا فيما أشركوه، حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه، وإنما كانت الموازنة بحسب اعتقادهم وجود منفعة في آلهتهم المزعومة»[6]، إذ أنهم كانوا مقرين بالخالق عز وجل ولكنهم أشركوا معه غيره، كما قال تعالى(**وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ**)الزخرف87.

وتأتي الآيات الكريمة كالمقدمة على الدليل الإجمالي، لتضع البراهين والأدلة على وحدانيته عز وجل وقدرته، تهدي الخلق، وتصحح مفاهيمهم، وهذا هو شأن القرآن مع المشركين عند مخاطبتهم، يقدم لهم الأدلة والبراهين على وحدانية الله وربوبيته للكون كله، وهنا وردت خمسة براهين:

1- التوحيد لغة: الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد.ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، مادة (وحد)، ج6ص90.
أما اصطلاحا: إفراد الله سبحانه بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات. محمد بن صالح العثيمين:القول المفيد على كتاب التوحيد،[د.ط]،[د.م]، [د.ت]،ج1ص5.

2-ينظر في باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

-محمد بن شريح الرعيني:الكافي في القراءات السبع، ص 175.

-محمد محسين: الإرشادات الجلية، ص596-597.

-أبو زرعة:حجة القراءات، 536-537.

3- تفسير سيد قطب: ج5 ص2625

4 - مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص 470.

5- تفسير الطبري: ج18 ص99 بتصرف.

6 - الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص10.

الأول منها: ما يتعلق بالسماوات والأرض، فوجودها حقيقة لا تنكر، ولا يمكن الادعاء بخلق الآلهة لها، وخلقها على هذا النحو بهذا التدبير المحكم لا يمكن أن يكون فلتة ولا مصادفة، وهذا يلجئ الإقرار بوجود الخالق الواحد الذي تتضح وحدانيته بآثاره[1]، أيمكن إذا لهذه الآلهة المزعومة التي يعتكفون على عبادتها، والتزلف إليها بشتى أنواع القربات أن تبدع خلقا في مثل السماوات في ارتفاعها من غير عمد وتزيينها بالمجرات والكواكب والنجوم، وخلق الأرض وتزويدها بالرواسي الثابتة، وجعل فيها من كل أنواع النبات، وبث الدواب فيها أصنافا وأشكالا وألوانا، وهذا الماء النازل من السماء من جملة ما خلق الله، هو رحمة منه للكائنات كلها، فأنبت منه الجنات الناضرة، التي تسر الناظرة، وتبعث في النفوس البهجة والنشاط، ليس باستطاعة أي كان أن ينبتها، ويأتي السؤال: هل يقبل بعد ذلك قول باستحقاق غير الله العبادة ؟ كما قال تعالى:(**وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ**) المؤمنون91، ولكن القوم أناس« يميلون عن الحق إلى الباطل وينحرفون عن جادة الصواب فيجعلون لله عدلا ونظيرا»[2]، و«من ثم يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحق الواضح وهو التوحيد ويعكفون على الضلال المبين وهو الإشراك»[3].

والثاني:من هذه البراهين ما يتعلق بالأرض: من الهيئة التي خلقت عليها حيث جعلت مستقرا للإنسان والحيوان، صالحة لوجود الحياة عليها، وجعل في خلالها أنهارا تجري للانتفاع منها شربا وسقيا، وجعل في الأرض الجبال الثابتة حتى لا تضطرب، كما قال تعالى(**وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ**) لقمان 10، وجعل بين المياه العذبة والمالحة فاصلا، يمنعها من الاختلاط، لئلا يفسد هذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقاء كل منها على صفته المقصودة منه، فالعذبة لسقي الناس والحيوان والنبات والثمار، والمالحة تكون مصدرا للأمطار التي تجري منها، وهي وسيلة لإصلاح الهواء[4]، قال تعالى(**وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا**)الفرقان53، ويأتي السؤال: هل مع الله من يفعل هذا ؟«بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمن الحق فيتبعونه ولا يعرفون قدر عظمة الإله المستحق للعبادة.»[5]

1-ينظر:تفسير سيد قطب:ج5 ص 2656.

2-الزحيلي: التفسير المنير، ج 20ص11.

3-تفسير المراغي:ج20 ص8.

4-ينظر:المرجع نفسه، ج20 ص9.

5-الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص12.

والثالث: ما يخص افتقار الخلق واحتياجهم إلى الله: فيجيب المضطر إذا دعاه، و هو الذي أحوجه المرض أو الفقر أو المحنة إلى الالتجاء إلى الله، فيرفع عنه ما حل به، ويكشف عنه السوء، فهو"المدعو عند الشدائد والمرجو عند النوازل، كما قال تعالى(**وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ**)الإسراء67، وفي الحديث سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله إلى ما تدعو؟ قال:[**أدعو إلى الله وحده، الذي إن مسك ضر فدعوته كشف عنك، والذي إن ضللت بأرض فقر فدعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك**][1]،«والمضطر في لحظات الكربة والضيق لا يجد له ملجأ إلا الله يدعوه ليكشف عنه الضر والسوء، والقرآن يرد المكابرين الجاحدين إلى هذه الحقيقة الكامنة في فطرتهم، ويسوقها لهم في مجال الحقائق الكونية التي ساقها من قبل... فالتجاء المضطر إلى الله، واستجابة الله له دون سواه حقيقة كهذه الحقائق، هذه في الآفاق وتلك في الأنفس، سواء بسواء»[2]، والله هو الذي يجعل الخلق ورثة بعضهم لبعض، يسكنون الأرض ويعمرونها ويجتنون منافعها قرنا بعد قرن وجيلا بعد جيل، كما قال تعالى(**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ**) الأنعام165، ويأتي السؤال: هل يقدر أحد أن يفعل ذلك غير الله ؟ ولكن القوم ينسون ويغفلون عما « يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم»[3]، وهم قد أشركوا مع الله غيره في العبادة.

والرابع:ما يتعلق«باحتياج الخلق إلى الله في وقت خاص»[4]، بإرشادهم إلى مقاصدهم في الأسفار في الظلام الدامس، برا وبحرا، بما خلق من النجوم وعلامات الأرض تهديهم السبيل،كما قال تعالى(**وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**) النحل16، وقال تعالى(**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ**)الأنعام97، فـ« الناس يسلكون فجاج البر والبحر في أسفارهم، ويسبرون أسرار البر والبحر في تجارهم »[5]، ويرسل الرياح مبشرة سابقة الغيث الذي يحيـــي الموات،

1-أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، حديث رقم:6137،ج5ص148، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، حديث رقم:420، ج1ص781.

2 - تفسير سيد قطب:ج5 ص2658.

3 - مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص478.

4 - الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص13.

5 - تفسير سيد قطب:ج5 ص2659.

فهل غير الله يقدر على ذلك؟« تنزه الله المتفرد بالألوهية المتصف بصفات الكمال عن شرك المشركين الذين يعبدون مع الله إلها آخر»[1]، فضلوا طريق الهداية إليه، فهم يعمهون.

والخامس: ما تعلق بابتداء الخلق وإعادته ومسألة الأرزاق: وهذا تبيان لعظيم قدرة الله تعالى بابتداء خلق من غير مثال سابق، وهي حقيقة لا مراء فيها، ولا تنفك عن حقيقة وجود الله ووحدانيته، «وجوده لأن وجود هذا الكون ملجئ للإقرار بوجوده...ووحدانيته لأن آثار صنعته ملجئة للإقرار بوحدانيته»[2]، وله عز وجل كما ابتدأ الخلق إعادته بعد فنائه، كما قال:(**إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ**)البروج13، وفي قوله:(**وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ**) الروم27، فمن قدر على بدأ الخلق هو قادر على إعادته بعد هلاكه،فـ«أدمج في خلال الاستفهام قوله(**يُعِيدُهُۥ**)لأن تسليم بدئه الخلق يلجئهم إلى فهم إمكان إعادة الخلق التي أحالوها»[3]، حتى يلقى المكذب جزاءه على أعماله، ومن هو أيضا يرزق الناس من السماء والأرض، فينزل من الأولى غيثا وينبت من الثانية من بركتها زروعا وثمارا، قوتا للإنسان والحيوان، فهل مع الله إله آخر يفعل هذا حتى يجعل شريكا له ؟ وطلب الله عز وجل منهم البرهان على ما يزعمون من ألوهية آلهتهم إن كانوا حقا صادقين، وإنهم ليعجزون عن البرهان، قال تعالى:(**وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ**) المؤمنون117.

---

1 – وهبة الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص13.

2 – تفسير سيد قطب: ج5ص2660.

3 – تفسير ابن عاشور: ج20ص18.

المطلب الثاني: لا يعلم الغيب إلا الله:

هذا خطاب من الله عز وجل لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم أن ينبئ الخلق جميعا كبرهان آخر على بطلان ألوهية الآلهة المزعومة، عن اختصاص الله وحده بعلم الغيب« الكامل في الغيبة وهو الذي لم يخرج إلى عالم الشهادة أصلا، ولا دلت عليه أمارة»[1]، فلا يعلم أحد من أهل السماوات والأرض الغيب إلا الله عز وجل وهذا من لوازم ألوهيته، قال تعالى(**وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ**) الأنعام59، وقال تعالى:(**إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**)لقمان34، « والمراد بالغيب هنا ما لم يجعل الله لعباده وسائل لإدراكه بحواسهم الظاهرة أو الباطنة، أو لإدراكه بالاستنتاج العقلي من المدركات الحسية»[2]، و«الآية إظهار أن علم الله الغيب برهان مستقل على بطلان ألوهية الآلهة المزعومة، واختصاص الألوهية به وحده سبحانه»[3]، قال قتادة: « إن الله إنما جعل هذه النجوم ثلاثة خصلات، جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوما للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصيبه، وتكلف ما لا علم له به، وإن ناسا جهلة بأمر الله، قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة، من أعرس بنجم كذا وكذا، كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا،ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود، والقصير والطويل، والحسن والدميم، وما علم هذا النجم، وهذه الدابة، وهذا الطير بشيء من الغيب، وقضى الله أنه لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون»[4].

ومن هذا الغيب الذي يعلمه الله وحده وقت بعث الأموات إلى الحشر بين يديه يوم القيامة للحساب والجزاء بالثواب أو العقاب، فلا يشعر أهل السماوات والأرض بوقت حدوثه، وإنما تأتيهم بغتة، قال عزوجل (**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى**

---

1 – تفسير البقاعي: ج14 ص201.

2 – تفسير الميداني: ج9 ص147.

3 – ينظر:تفسير الطبطبائي، ج20ص387.

4 – تفسير ابن كثير: ج10 ص426.

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَا تَأۡتِيكُمۡ إِلَّا بَغۡتَةً) الأعراف187،«والإيمان بالبعث والحشر، وبالحساب والجزاء عنصر أصيل في عقيدة لا يستقيم منهجها في الحياة إلا به، فلا بد من عالم مرتقب يكمل فيه الجزاء، ويتناسق فيه العمل والأجر، ويتعلق به القلب وتحسب حسابه النفس، ويقيم الإنسان نشاطه في هذه الأرض على أساس ما ينتظره هناك»[1].

ومما يؤيد ما جاء في القرآن من علم الله الغيب وحده، ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها:[**من زعم أنه يعلم– يعني النبي صلى الله عليه وسلم– ما يكون في غد، فقد أعظم على الله الفرية، لأن الله يقول:(قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ) النمل65.**][2]

وقد انتهى علم هؤلاء وعجزوا عن معرفة وقت حدوثها، فانتهى علمهم«إلى حدوده وقصر عن الوصول إليها، ووقف دونها لا يبلغها»[3]، فـ«ما توصلوا إليه من أدلة إثبات الآخرة تلاشى شيئا فشيئا، حتى لم يعد لها قيمة ذات بال»[4]، بل هؤلاء الكفار قد احتاروا في أمر الآخرة نفسها، فهم شاكون في وجودها ووقوعها لتعلقهم بما زين لهم من أمور الدنيا، وهذا فضلا عن تصديق ما يكشف وقتها من أهوال وشدائد للناس، قال تعالى(**وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا**)الكهف48، بل هؤلاء الكفار في عماية عنها، لا يبصرون من أمرها شيئا، ولا يدركون من طبيعتها شيئا، قد حادوا عن سبيل الهداية إليها، فهم في ضلالهم يعمهون، قد خسروا أنفسهم حين معاينتها، كما قال تعالى(**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ**)النمل 4-5.

---

1 – تفسير سيد قطب: ج5 ص2661.

2 – أبو الحسن مسلم بن الحجاج:صحيح مسلم،ط1،دار أصالة، الجزائر،2010م،كتاب الإيمان،باب معنى قول الله عز وجل(**ولقد رءاه نزلة أخرى**)،حديث رقم177، ص52.

3 – تفسير سيد قطب: ج5 ص2662.

4 – الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص20.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة:

هذه مجموعة لطائف وهدايات قرآنية يمكن استنباطها مما سبق ذكره من الآيات:

1- هداية الآيات إلى الاستفتاح بحمد الله عز وجل والسلام على عباده الذين اصطفى في المواعظ والخطب وغيرها، وهذا أدب توارثه العلماء والخطاب والوعاظ جيلا بعد جيل[1].

2- بيان الآيات براهين وحدانية الله وألوهيته عز وجل، وقدرته في الخلق والرزق والتدبير لهذا الكون بإحكام وإتقان، بما يبطل ألوهية الآلهة المزعومة من الملائكة والبشر والكواكب والجمادات.

3- تذكير الآيات بتصرف الله عز وجل في أحوال الناس في بعض شؤون الحياة، وذلك حال الاضطرار إلى تحصيل الخير، وحال انتياب السوء، وحال التصرف في الأرض ومنافعها[2].

4- هدايات الآيات إلى حمد الله عز وجل على إهلاك أهل الشرك والمعاصي ممن خلا من الأمم السابقة الذين عاندوا وكابروا وكذبوا رسلهم، وضلوا طريق الهداية إلى الله عز وجل.

5- إشارة الآيات إلى اصطفاء الله عز وجل رسلا لتبليغ رسالاته إلى الناس، وهدايتهم إليه عز وجل وذلك عبر امتداد الزمان والمكان.

6- التحدي الواضح لأولئك المدعين بأن مع الله خالقا آخر أن يأتوا ببرهان ذلك، والحق أن ذلك ادعاء باطل، فلا خالق إلا الله ولا موجد إلا الله، تعالى الله عما يقوله الظالمون علوا كبيرا[3].

7- هذه الدلائل المستوحاة من الآيات الكريمة في السورة تنبئ بلا مراء عن حقيقة وحدانية الله واستحقاقه للعبادة دون أحد من خلقه.

8- فطرة الله التي فطر الإنسان تقضي باهتدائه إلى الله حال الرخاء، كما تكون عليه حالة اضطراره حينما تستيقظ فطرته ويلتجئ إلى الله وحده، فيجيبه إلى ما دعاه.

9- إشارة الآيات الكريمة إلى بعث الناس يوم القيامة، والوقوف بين يدي الله عز وجل للحساب، فكما قدر تعالى على ابتداء الخلق من غير مثال سابق، فهو سبحانه قادر على إعادتهم من جديد خلقا آخر في الآخرة، وهو أهون عليه.

10- اختصاص الله عز وجل بعلم الغيب وحده دون أحد من خلقه، ملائكة وإنسا وجنا وجمادات فلا يعلم أحد الغيب إلا الله عز وجل.

---

1 - الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص15.

2 -ينظر:تفسير ابن عاشور، ج20ص14.

3 -ينظر:مصطفى مسلم،التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص483.

11- سنة الله في إهلاك القوم العصاة، ونصر أوليائه المتقين، ونجاتهم من الأنبياء والمؤمنين، كما قال تعالى:(وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ) النمل53.

12- بيان الآيات الكريمة لأنواع من إعجاز القرآن الكريم، منها الإعجاز العلمي في خلق هذا الكون من السماوات والأرض وإنزال الماء وإرسال الرياح مبشرات وإنبات الحدائق الناضرة، وتثبيت الأرض بالجبال الرواسي، وإجراء الأنهار في الأرض وتقسيم الأرزاق، كل هذا بنظام دقيق وتدبير محكم لا يغيب عن أحد، ومنها أيضا الإعجاز الغيبي التاريخي في الإحاطة بما حدث للسابقين، والإعجاز الغيبي المستقبلي بعلم الغيب مطلقا، منه غيب بعث الأجساد بعد موتها.

13- من أهم مضامين هداية الآيات الكريمة الدعوة إلى الإيمان بالله بتوحيده، وعبادته، والتبرؤ من المعبودات كلها، وذلك بعد ظهور الدلائل ووضوحها.

14- الدعوة إلى توحيد الله وعبادته أصل مشترك في جميع الرسالات السماوية كلها، فهذا الاصطفاء من الله للأنبياء والرسل عليهم السلام هو لإعلان هذه الحقيقة للناس جميعا.

15- «تساوي أهل السماء والأرض في الجهل بوقت قيام الساعة»[1].

16- «مشروعية السلام عند ذكر الأنبياء عليهم السلام، فمن ذكر أحدهم قال عليه السلام.»[2]

17- «التنديد بالشرك والمشركين»[3].

إن مسألة توحيد الله عز وجل، من أعظم ما ضل فيه الكفار وكانوا يعمهون، باتخاذهم الشركاء مع الله، فكان مما جاءت به رسالة القرآن الهادية، بيان حقيقة التوحيد بذكر الأدلة والبراهين الدالة عليه، وهذا إبطال لما كانوا يزعمون من الشركاء مع الله عز وجل.

أما ما يتعلق بمسألة يوم القيامة التي أنكرها هؤلاء المشركون، والطعن في نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، ففي المبحث الموالي حديث عنها.

1- تفسير أبي بكر جابر الجزائري:ص918.

2،3-المرجع نفسه:ص917.

المبحث الثاني
الرد على منكري البعث وبرهان صدق النبوة.

تمهيد:

إن مما طعن فيه المشركون من القضايا الأساسية، مسألة يوم القيامة وإعادة الأجساد بعد فنائها، وكذلك مسألة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، فكان هذا المبحث إبطالا لما طعن فيه هؤلاء المشركون، وبيان وجه الحق فيه، ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: منكرو البعث والرد عليهم.

المطلب الثاني: برهان صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: منكرو البعث والرد عليهم.

تبتدئ هذه الآيات الكريمة بالحديث عما يزعمه مشركو مكة من نفي بعث الأجساد بعد موتها وصيرورتها ترابا، فيسألون عن إعادة إحيائهم بعد مماتهم، وهذا استبعاد منهم لحدوث ذلك، كما قال تعالى في آية أخرى:(أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ)النازعات11-12، وقال أيضا: (أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ)يس77-78، وتعلقوا بعد ذلك بحجة واهية في أنهم وعدوا هم وآباؤهم هذا من قبل، فلم يتحقق منه شيء، «فيبنون على هذا استهتارهم بالوعد الجديد قائلين: إنها أساطير الأولين، غافلين أن للساعة موعدا لا تتقدم عنه ولا تتأخر، إنما تجيئي في الوقت المحدد لها»[1]، وهذا تأكيد منهم على استبعاد وقوع ذلك.

ويأتي رد القرآن الكريم على هذه الشبهة، بتوجيههم إلى مصارع الذين سبقوهم من قبل، مع التهديد والوعيد،ويقفوا على أحوال ديارهم وآثارهم، «فخلت منهم الديار وعفت منها الرسوم والآثار، وكان ذلك عاقبة إجرامهم»[2]، كما قص علينا في هذه السورة ما حدث لقوم صالح، وقوم لوط، وقبل ذلك لفرعون وقومه، عظة وعبرة بأحوالهم، وما حدث لهم سوف يحدث لمن يكذب من المشركين، وهذه سنة الله في خلقه، بهلاك المكذبين ونجاة الرسل والمؤمنين، «وفي هذا التوجيه توسيع لآفاق تفكيرهم، فالجيل من البشر ليس مقطوعا من الشجرة البشرية، وهو محكوم بالسنن المتحكمة فيها...والسير في الأرض يطلع النفوس على مثل وسير وأحوال فيها عبرة، وفيها تفتيح لنوافذ مضيئة، وفيها لمسات للقلوب قد توقظها وتحييها، والقرآن يوجه الناس إلى البحث عن السنن المطردة، وتدبر خطواتها وحلقاتها، ليعيشوا حياة متصلة الأوشاج متسعة الآفاق، غير متحجرة ولا مغلقة ولا ضيقة ولا منقطعة»[3].

وهذا الجدل منهم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأثر لحالهم حيث جاءهم بالهداية من الله، وهم معرضون مكذبون له، فسلاه الله« عما يناله من عماهم عن السبيل الذي هدى إليه الدليل»[4]، بأن لا يحزن على إعراضهم عنه، ولا يكن ضيق الصدر من مكرهم وكيدهم به، كما جاء

---

1 – مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5 ص484.

2 – تفسير المراغي: ج20 ص15.

3 – تفسير سيد قطب: ج5 ص2663.

4 –تفسير المراغي: ج20ص15.

في آيات أخرى، وذلك في مثل قوله تعالى:(وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ)النحل128/127، فإن الله حاميه منهم وناصره عليهم، ومظهر دينه على من خالفه وعانده، ولو بعد حين.

ومن استهانة الذين كفروا من أهل مكة بالبعث وأهواله، ما كانوا ينكرونه من وقوع العذاب، فيسألون استهزاء وقت حدوثه، فـ«كانوا يقولون هذا كلما خوفوا بمصائر المجرمين قبلهم ومصارعهم التي يمرون عليها مصبحين كقرى لوط، وآثار ثمود في الحجر، وآثار عاد في الأحقاف، ومساكن سبأ بعد سيل العرم»[1]، كما استعجل قوم صالح عليه السلام العذاب، إن كان ذلك صدقا، فكان جواب القرآن بأن عسى أن يلحقهم بعض الذي يستعجلونه من العذاب،« وهو القتل والعذاب والنكال يوم بدر»[2]، ولكن فضل الله على الناس كبير، يتجلى ذلك في إمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة مع عصيانهم وتقصيرهم، عسى أن يسلكوا طريق الهداية بتوبتهم عما هم فيه، وهذا الفضل من الله يغفل عنه الناس، فلا يشكره إلا القليل منهم.

ومع هذا الإمهال وترك المعاجلة بالعقوبة من الله، فإنه عز وجل مطلع على ما تكنه الصدور، وما تعلنه الألسنة، فهو«يعلم الضمائر والسرائر كما يعلم الظواهر»[3]، كما قال في آية أخرى من هذه السورة:(وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ) النمل 25، وقال أيضا:(سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ) الرعد10، بل ما يحصل في الوجود كله علويه وسفليه في السماء وفي الأرض مسجل في اللوح المحفوظ، «الذي أثبت ربنا فيه كل ما هو كائن من ابتداء الخلق إلى يوم القيامة، وهو بين لمن نظر إليه وقرأ ما فيه، مما أثبته ربنا جلت قدرته»[4]، كما جاء في آية أخرى:(أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ)الحج70، وقال أيضا عز وجل على لسان لقمان وهو يعظ ابنه (يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي

---

1 – تفسير سيد قطب: ج5ص2663.

2 – الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص24.

3 – تفسير المراغي: ج20ص16.

4 – المرجع نفسه: ج20 ص16.

صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ)لقمان16.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: برهان صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم:

يخبر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة بحديث عن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بإقامة الأدلة والبراهين على صدقه صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من رسالة الاهتداء إلى الله تعالى، وصدق دعواه فيما ادعاه، وأعظمها القرآن الكريم وما فيه من فصل القول لما اختلف فيه بنو إسرائيل من حق؛ إذ أنهم«يقولون أقوالا محرفة باطلة في أمور الدين، أو في حكاية التاريخ»[1]، من مثل ما خلطوا فيه من« التشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح[2]»[3]، وما أقدموا عليه من التغيير والتبديل في ما جاءهم من الهدى والبينات، وما ألصقوه في جانب الرسل من الأكاذيب والافتراءات، مع أن حال الرسول صلى الله عليه وسلم أنه أمي لم يقرأ كتابا ولم يخط حرفا، مما يدل على صدقه في دعواه، وأنه رسول الهداية إلى الناس جميعا، وهذا القرآن من صفاته هداية للمؤمنين إلى طريق الحق ورحمة لهم بما فيه من «الأحكام التشريعية المتعلقة بالعقيدة، كالتوحيد والحشر والنبوة، وصفات الله الحسنى، والمتعلقة بالأحكام العملية الملائمة لحاجات البشر، وتحقيق مصالحهم في الدنيا والآخرة»[4]، فبيانات القرآن وتعليماته ووصاياه تعرف بالحق والباطل، وبطريقي الخير والشر، وطريقي التقوى والفجور، وطريقي الصلاح والفساد، وحدود كل طرف احترازا من التيه والضياع، فهو- أي القرآن- كالطبيب الناصح يقدم نصائحه الوقائية قبل الإصابة بالداء، ونصائحه العلاجية بعد الإصابة به، فمن عمل بها رحم وستر، ومن أعرض عنها أو أدبر خاب وخسر«والله عز وجل يقضي بين المختلفين من مؤمنين بالقرآن وطاعنين فيه، وفي ما جاء به من قضاء يبين المحق من المبطل»[5]، وقضاء الله كله عدل وحكمة، فلا يرد لعزته سبحانه، ولا يخطئ لموافقة علمه الواسع.

وإذا علم بحقيقة نبوته وصدقه فيما ادعاه، فليمض في سبيل رسالته داعيا إلى الله عز وجل، وهاديا إليه، مفوضا أموره كلها إليه عز وجل، ولا يلتفت إلى من عاداه وخالفه، فالله مؤيده وناصره عليهم، فهو على الحق الثابت الواضح؛إذ كل ما في هذا الدين من قضايا عقدية أو خلقية أو سلوكية ظاهر الحق إذا كان من قضايا الحق، وظاهر الأقومية إذا كان من قضايا السلوك، وظاهر الفضل

---

1 – تفسير الميداني: ج9 ص173.

2- كما في قوله تعالى(وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ)التوبة30، وقوله تعالى(وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِ)التوبة30.

3 – الزحيلي: التفسير الوجيز، ص384.

4 – الزحيلي: التفسير المنير، ج20 ص29.

5 – ينظر:تفسير ابن عاشور، ج20 ص32.

والكمال إذا كان من قضايا الأخلاق، وكل ذلك يمكن وصفه بأنه حق[1]، وفي دعوته إنما يسمع الأحياء أحياء القلوب، الذين تعي آذانهم فتتحرك قلوبهم، فيقبلون على الناصح الأمين، فأما الذين ماتت قلوبهم وعميت أبصارهم عن دلائل الهدى والإيمان فما له فيهم حيلة، وليس له إلى قلوبهم سبيل، فليس في مقدوره أن يسمع الأموات في أجداثها، ولا أن يبلغ كلامه الصم الذين لا يسمعون وهم مع ذلك عنه مدبرون، وكذلك لا يقدر على هداية العميان من الضلال إلى الهدى[2]، حيث أنهم لا يميزون بين طريق الهدى وطريق الضلال فهم يعمهون وهذا «التعبير القرآني البديع صورة حية متحركة، لحالة نفسية غير محسوسة، حالة جمود القلب، وجمود الروح، وبلادة الحس، وهمود الشعور، فيخرجهم مرة في صور الموتى، والرسول صلى الله عليه وسلم يدعو وهم لا يسمعون الدعاء، لأن الموتى لا يشعرون، ويخرجهم مرة في هيئة الصم مدبرين عن الداعي، لأنهم لا يسمعون، ويخرجهم مرة في صورة العمي يمضون في عماهم، لا يرون الهادي لأنهم لا يبصرون»[3]، والحقيقة التي لا يماري فيها أحد أن دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إنما يسمعها سماع تدبر وتفهم وإدراك من تهيأت قلوبهم لها فهم مؤمنون بآيات الله، الذين أسلموا وجوههم لله عز وجل، وانقادوا لأمره، فهم« المنتفعون بالهداية لذلك فالإسلام دين الفطرة، فما يكاد القلب السليم يعرفه حتى يستسلم له»[4]، «وهكذا يصور القرآن تلك القلوب القابلة للهدى المستعدة للاستماع، التي لا تجادل ولا تماري، بمجرد أن يدعوها الرسول فيصلها بآيات الله، فتؤمن لها وتستجيب»[5].

إن دعوة الأنبياء–عليهم السلام–إذا صادفت قلوبا نقية وأنفسا طاهرة أثمرت انصياعا والتزاما لسبيل الهداية والرشاد، كما قال تعالى﴿ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴾النمل81.

وفي المطلب الموالي استعراض لما يستنبط من اللطائف و الهدايات القرآنية.

---

1 – تفسير الميداني: ج9 ص177.

2 –ينظر:مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص490.

3 – تفسير سيد قطب: ج5ص2667.

4 – مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص491.

5 – تفسير سيد قطب: ج5ص2666.

المطلب الثالث : الهدايات المستنبطة:

هذه مجموعة لطائف وهدايات قرآنية يمكن استنباطها من هذا الجزء:

1- القرآن الكريم ينبوع هداية الله الناس جميعا إلى السبيل الأقوم في كل شيء، وهو الفيصل في كل شأن، والحكم في كل أمر، فلا يحوي في حديثه إلا الحق.

2- «كل اختلاف وقع للسابقين واللاحقين إنما هو لتنكرهم هدى القرآن، وتنكبهم عن سبيله»[1].

3- القرآن الكريم من أعظم الأدلة على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه في دعواه.

4- من صفات القرآن أنه «هدى يقي المسلم من الاختلاف والضلال، ويوضح السبيل ويصله بالسنن الكونية الكبرى التي لا تختلف ولا تحيد، ورحمة له من الشك والقلق والحيرة يصله بالله عز وجل»[2].

5- على الداعية إلى الله عز وجل أن يستمسك بالعروة الوثقى، فيتوكل على الله ويعتمد عليه، ويفوض شؤونه إليه، ويمضي بهذا كله مع طريق الهداية إلى الله، فالحق الواضح معه، فلا بعبأ بمن أعرض ونئا بجانبه، واستنكف دعوة الحق.

6- الإعجاز الغيبي التاريخي، فيما يقصه القرآن من أنباء، وما يحيط به من أحداث ضاربة في جذور التاريخ، مما وقع من الاختلاف عند الأمم السابقة كاليهود والنصارى.

7- الإعجاز الغيبي المستقبلي بنصر الدعوة، وتأييد نبيها عليه السلام والمؤمنين معه، وإنذار من بقي في ضلاله يعمه، أن يحق عليه العذاب، ويحل عليه العقاب.

8- من أعرض عن دعوة الهداية وتنكب طريقها، وأصر على عناده وكفره، رغم وضوح الدلائل، فسنة الله تقضي عليه ببقائه في عماه، فلا يعرف طريقا ولا يهتدي سبيلا، وهو كالميت وكالأصم وكالأعمى، فلا أمل في استجابته للدعوة، ولا في قبوله للحق.

9- ما الرسول صلى الله عليه وسلم بهادي العمي عن ضلالتهم وصرفهم عنه إلى الحق والرشاد.

10- سنة الله تقتضي بأن من ينتفع بالهداية ويستقيم على الحق ويلتزم السبيل الأقوم،إنما هو من كان مؤمنا، وصاحب فطرة سليمة، فيسلم وجهه إلى الله عز وجل، ويستجيب لدعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، بلا جدال ولا مراء.

---

1 – مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص491.

2 – تفسير سيد قطب: ج5 ص2665 بتصرف.

11- انتصار الحق سنة كونية كخلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لا تتخلف ولا تتبدل.

يوم البعث، وإعادة الأجساد بعد فنائها، ونبوة النبي صلى الله عليه وسلم، من المسائل التي ضل فيها الكفار أيضا، فجاءت رسالة القرآن الهادية في سورة النمل ببيان وجه الحق فيها، والرد على مزاعم الذين كفروا فيما طعنوا فيه،فأقامت الأدلة و البراهين على ذلك.

وفي المبحث الموالي ذكر للوجوه المناسباتية المختلفة التي تضمنها المقطع السادس من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث
جوانب التناسب في المقطع السادس من سورة النمل.

تمهيد:

في المقطع السادس من سورة النمل حديث عن العلاقات التناسبية المختلفة، وسيكون ذلك ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع السادس من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني: تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع السادس من سورة النمل في ما بينها:

هذا المقطع السادس من سورة النمل يوضح ما ضل فيه كفار مكة من قضايا مختلفة هي من صميم الرسالة الإلهية الهادية، وتبين وجه الحق فيها، فتحدثت أولا عن وحدانية الله عز وجل واستحقاقه بالتالي العبادة دون غيره، فأقامت الأدلة والبراهين المختلفة على ذلك، باستعراض حقائق خلق السماوات والأرض وإنزال الماء رحمة عامة، وخلق الأرض للإقامة بها والاستقرار عليها، وشق الأنهار خلالها، وإرسائها بالجبال التي لا تميد، وجعل الحاجز بين الماء العذب والماء المالح يمنعها من الاختلاط، وتذكير الناس باحتياجهم إلى الله فيما اضطروا إليه، فيجيبهم عز وجل فيما سألوه، وما يتصل بهذا الاحتياج إلى الله، ولكن في وقت خاص، وهو الإرشاد إلى المقاصد وبلوغها في الأسفار في الظلام الدامس برا وبحرا، وإرسال الرياح مبشرة برحمة الله وهو الغيث لإحياء موات الأرض، والحديث عما له صلة بإبداع الخلق والحشر والنشر، وهو يعم كل ما سبق وغيره، من بدء الخلق بلا مثال سابق، وإعادته بعد إفنائه، وهو أهون عليه سبحانه، والإمطار من السماء والإنبات من الأرض، كل هذا بلا برهان عليه مما لا يستطيعه غير الله، ولا يقدر عليه إلا هو عز وجل.

ومن التناسب الحاصل بين الآيات ما تحدثت عنه أيضا مما تستلزمه ألوهيته عز وجل من اختصاصه بعلم الغيب المطلق، دون ما يزعمه كفار مكة ومشركوها،«وهذا تكميلا لما قبله من اختصاصه بالقدرة التامة، وتمهيدا لما بعده من أمر البعث»[1]، فأعلنت نفي علم الغيب عن الخلائق جميعا، وأنه من اختصاص الله تعالى وحده، ومن ذلك علمه بوقت البعث للحساب بين يديه تعالى فلا يدري أحد وقوعه؛ إذ أنه من الغيب المحض، وكما نفت الآيات علم ذلك عن الخلائق، فقد بينت بأنهم في جهالة من أمرها« قد انتهى علمهم بالآخرة، وعجز عن معرفة وقت حدوثها»[2]، بل إنهم في حيرة من أمرهم، فهم يشكون في وقوعها، بل هم في عماية عنها،«بحيث لا يدركون الدلائل التي تدل على أنها كائنة»[3]، كما جاء ذلك في أوائل السورة من ذكر حالهم بإنكار الآخرة، فزينت لهم أعمالهم فهم يعمهون، فاستحقوا سوء العذاب وكانوا في الآخرة أخسر الناس، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ ﴾النمل3.

---

1 – تفسير محمد الهرري: ج21ص20.

2 – الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص20.

3 – تفسير المراغي: ج20ص13.

ويناسبه أيضا حديث الآيات- نظرا لهذا الجهل الحاصل منهم- عن إنكارهم الآخرة، واعتبارها من أساطير الأولين التي تحكى، فيسألون عن وقتها مع الإنكار لها مستبعدين إعادة الإحياء بعد موتهم، وما يرد به القرآن على شبهاتهم التي جادلوا بها عما يعتقدونه حول البعث والنشور بالنظر في أحوال من سبق والاعتبار بما حدث لهم جراء التكذيب بما جاء به الرسل عليهم السلام، ودعت الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصبر على أذاهم، ومنه استهزاؤهم باستعجال العذاب، فعسى أن يكون ردف لهم بعضه، وإنما تأخيره فضل ورحمة من الله لعلهم يتوبوا، وهذا كله واقع تحت علم الله ومحفوظ في كتاب مبين، فالغيب من اختصاصه تعالى وحده.

وبمناسبة الحديث عن علم الله الشامل، يأتي الحديث عن القرآن وما في أخباره عما في كتب السابقين مما اختلفوا فيه، فكان أعظم شاهد وأكبر برهان على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم وصدقه فيما ادعاه، مما كان يكذب به القوم الكافرون، وقد أبطل زعم الذين قالوا(**إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ**)النمل68، ولذلك علائق بما يعلمه الله من الغيب(**وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ**)النمل75، فهو وحي من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، وكل ما فيه من آثار علم الله تعالى[1] ويتصل ذكر القرآن هنا بما جاء في بداية الصورة من الحديث عنه، وعن هداياته، من أنه هدى وبشرى للمؤمنين،«وهنا استكمال نواحي هدي القرآن للأمم»[2]، ومنها بنو إسرائيل بتبيان الحق فيما اختلفوا فيه، فيقضي بينهم «بحكمه العادل وقضائه المبرم فيجازي المحق والمبطل»[3].

وإذا علم صدقه صلى الله عليه وسلم فيما ادعاه، فما عليه بعد هذا سوى تفويض الأمر كله إلى لله والاعتماد عليه في تبليغ رسالة الهداية رغم جحود القوم وتكذيبه لما جاء به، فالهدى لا يناله من كان معرضا عنه متنكبا عن سبيله، حيث إنه كالميت لا يتأثر وكالأصم لا يسمع وكالأعمى لا يهتدي سبيلا، إنما هو لمن كان له قلب يعي وآذان تسمع، فتستجيب لدعوة الحق (**إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ**) النمل81.

وأول المقطع السادس في سورة النمل له تعلق بآخره، فبدايته كانت خطابا للنبي صلى الله

---

1 -ينظر:تفسير ابن عاشور، ج20ص30.

2 - المرجع نفسه: ج20ص30.

3 - تفسير الصابوني:ج2ص418.

عليه وسلم بحمد الله – وهو المحمود على كل حال– والسلام على من اصطفاه من عباده لهداية الناس جميعا إليه، وما أيدهم به من معجزات تدل على صدقهم في ما جاءوا به، وتثبت نبوتهم، وأن الله ناصرهم ومن آمن معهم، ومهلك من عاداهم من الكفار وأشياعهم،وله الإحاطة عز وجل في كل أمر[1]، وآخر المقطع كانحظا من الله عز وجل على تفويض الرسول صلى الله عليه وسلم أموره كلها إليه، ويعتمد في مسيرة دعوته عليه، وأنه ليس بدعا مما كان مع إخوانه المرسلين وأقوامهم، فسنة الله تقتضي بنصره وتأييده والمؤمنين معه وإهلاك أعدائه ولو بعد حين، « وهكذا عادة الله تعالى مع الكمل و أعدائهم في كل زمان ومكان »[2].

إن رسالات الأنبياء–عليهم السلام– حق صراح لا ريب فيه، مؤيدة من عند الله عز وجل بأدلة وبراهين حيث يبصرها كل من لاح له نورها، وإن الله –بعد ذلك– لناصر رسله–عليهم السلام–والذين اتبعوهم، وإهلاك مناوئيهم ولو بعد حين، قال تعالى:﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾ ﴾غافر51.

وفي المطلب الموالي ذكر لوجوه التناسب المختلفة بين المقطع السادس من سورة النمل والذي سبقه.

---

1 –ينظر:تفسير البقاعي،ج14ص184.

2 – تفسير محمد الهرري:ج21ص10.

المطلب الثاني: تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع سابقه.

يأتي المقطع السادس من سورة النمل في ارتباط وتعلق وثيق مع ما سابقه، من خلال ما يأتي:

1- «بعد إيراد قصص بعض الأنبياء في المقطع السابق، وذكر أخبارهم الدالة على كمال قدرته وعظيم شأنه، وعلى ما خصهم به من المعجزات الدالة على صدقهم، وفيها بيان صحة الإسلام والتوحيد، وبطلان الشرك والكفر، وأن من اقتدى بهم فقد اهتدى، ومن أعرض عنهم فقد تردى في مهاوي الردى،أردفه عز وجل بأمره صلى الله عليه وسلم بحمده تعالى على تلك النعم ويسلم على كافة أنبيائه ورسله اعترافا بفضلهم وأداء لحق تقدمهم واجتهادهم في الدين وتبليغ رسالة الله على أكمل وجه»[1]، ومنهم ما سبق ذكره وهو لوط في المقطع السابق.

2- كما يلتقي المقطع السادس من سورة النمل مع ما قبله في جانب الهداية، فقوم لوط عليه السلام جاءهم عليه السلام بعد توحيد الله وعبادته بالهداية إلى محاسن الأخلاق التي توافق فطرة الله عز وجل وما كان من شأنهم معه، وما حل بهم من عقاب إلهي عادل بما اقترفوه من جرم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من العالمين، وكفار قريش جاءهم الرسول صلى الله عليه وسلم يهديهم مما ضلوا فيه من قضايا تتعلق بتوحيد الله وعبادته، والبرهان عليها بدلائل كونية، وما تستلزمه الألوهية من اختصاصه بعلم الغيب، والبرهان على إثبات ما أنكروه من أمر البعث والحشر والنشر، والدلالة على صدقه فيما ادعاه بهذا القرآن الذي جاءهم به هاديا ومرشدا.

3- كما أن المقطع السادس من السورة والذي قبله يلتقيان في نقطة المن على لوط عليه السلام وعلى الرسول صلى الله عليه وسلم بمنة الاصطفاء بالرسالة لهداية الناس، فلوط عليه السلام امتن الله عليه بهذا الاصطفاء في قوله:(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ) النمل54، بالعطف على قوله تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا) النمل45، والرسول صلى الله عليه وسلم اصطفاه الله بقوله:(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)النمل76، ومعلوم أن القرآن الكريم مما اختص الرسول صلى الله عليه وسلم بالنزول عليه للهداية الشاملة، وهو برهان صدقه في ما ادعاه.

4- المقطع الخامس من السورة هو من جملة ما قصه الله عز وجل على رسوله في هذا الكتاب المبين

---

1 - ينظر:تفسير المراغي،ج20ص6.

من الأنباء، وهذا أثر من آثار علم الله الشامل لكل شيء، كما أنبأ عز وجل عن ذلك في قوله: (قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُ) النمل65، وقوله تعالى(وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ)النمل75.

5- في المقطع السابق من السورة وما قبله من القصص الوارد فيها، ذكر الله تعالى أحوال الأنبياء عليهم السلام، وما حل بأقوامهم من عذاب الاستئصال، لتنكبهم طريق الهداية الذي باءوا به، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم مما أنعم الله به عليه، أن ارتفع عن قومه عذاب الاستئصال، فأردف عز وجل الكلام بأمره صلى الله عز وجل بالشكر على هذه النعمة[1]، كما جاء ذلك في المقطع السادس في قوله تعالى(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ) النمل59.

6- إن سبيل الهداية لا يوفق إليه إلا من تهيأ للسير فيه، أي من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، وهو ما كان من لوط عليه السلام وأهله المؤمنين به، وما قرره الله في المقطع السادس بقوله: (وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ) النمل81، وهذه سنة الله في هذا الجانب.

7- المقطع السادس للسورة يلتقي مع سابق فيما كان من موقف الأقوام من رسلهم عليهم السلام، إذ قابلوهم بالتكذيب لهم والإعراض عما جاءوا به من الحق، كما حدث للوط عليه السلام لماهم قومه بإخراجه من القرية(أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡ)النمل56، وكما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم من تنكب سبيل دعوته الهادية، وحصول الأذى منهم(وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ)النمل70، وتمادي القوم في الغي والعمه جعلهم يستعجلون طلب العذاب، كما حدث للوط عليه السلام في قوله تعالى(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ)العنكبوت29، وكما حدث للرسول صلى الله عليه وسلم بسؤالهم حلول وقته، كما قال القرآن على لسانهم(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ)النمل71، وكما قال تعالى في نهاية السورة(وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا)النمل93، وهذه سنة الله في الأقوام الذين استنكفوا عن دعوته.

---

1 -ينظر:تفسير الرازي، ج24ص205.

8- مما يتقاطع فيه المقطع السادس من السورة والذي سبقه ما كان من محاورة للأنبياء عليهم السلام لأقوامهم وجدالهم لهم لإقامة الحجة عليهم، والسلوك بهم إلى الاهتداء إلى الله، كما كان من لوط والرسول صلى الله عليه وسلم في دعوتيهما، فلوط عليه السلام قد جادل قومه في ما انتكسوا فيه عن فطرة الله التي هدى الوجود كله إليها، والرسول صلى الله عليه وسلم قد جادل كفار مكة فيما أثاروه من شبه تتعلق بقضايا التوحيد والبعث والنبوة لهدايتهم إلى وجه الصواب فيها.

9- في المقطع السادس من السورة والذي سبقه، إشارة إلى دلائل القدرة الإلهية الهادية إلى توحيده وعبادته عز وجل، كما كان في قوله تعالى(**وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ**) النمل58، وهذه الآية دالة على ربوبيته للكون، وكما كان من استعراض هذه الدلائل الكونية في قوله تعالى: (**أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ**)إلى قوله تعالى(**قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ**) النمل60-64.

10- كما يلتقي المقطع السادس من السورة مع سابقه في جانب الاعتبار بما حل بالسابقين، فقال تعالى عن قوم لوط عليه السلام(**وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ**) النمل58، وما أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله«على هلاك المعتدين وطهر الأرض منهم، كما قال في سورة الأنعام:(**فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ**) الأنعام 45»[1]، وفيه التحذير مما حل بمن سبق أن تصدق عليهم هذه السنة الإلهية.

11- ومسألة التأييد الرباني للأنبياء عليهم السلام بالمعجزات الدالة على صدقهم في نبوتهم، وأنهم رسل الهداية إلى الله، قد أيد به لوط عليه السلام، يدل عليه ما جاء من إهلاك القوم الظالمين لما تنكبوا سبيل الفطرة، ورضوا بالعماية، في قوله تعالى(**وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗا**)النمل58، وما جاء من قلب القرية على أهلها عقابا لهم، وفي المقطع السادس قد جاء الحديث عن القرآن وأنه(**يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ**)النمل76، وهو أعظم معجزة أيد بها الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو دليل الهداية كلها إلى الله عز وجل، وجاء أيضا في المقطع السادس ما أيد به الرسول صلى الله عليه وسلم من قبل الله عز وجل، بقوله:(**فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ**)النمل79.

1- محمد الغزالي:نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص294.

12- يلتقي المقطع السادس للسورة والذي قبله في جانب التسلية للرسول صلى الله عليه وسلم، والتثبيت له عما يلاقيه من صدود وتكذيب، بذكر ما لقيه إخوانه من الأنبياء عليهم السلام فيما سبق، ومنهم لوط عليه السلام الذي حاول قومه إخراجه من القرية فأنجاه الله وأهلك الظالمين، وهو تحذير لكفار مكة أن يحل بهم ما حل بغيرهم، وفي هذا المقطع ما ورد في هذا الإطار في قوله تعالى ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾النمل79.

13- ومن العلائق التي تربط المقطع السادس من سورة النمل بما قبله، ما كان من مسألة الإعجاز الغيبي التاريخي الذي يصور الأحداث بذكر الحقائق بدقة متناهية، وبإحاطة شاملة، تنبئ عن أن القرآن إنما هو وحي الله للهداية الشاملة، وسورة النمل إنما هي بعضه.

14- كما يلتقي المقطع السادس للسورة مع ما قبله في جانب السنن الإلهية ومنها:

سنة الله في إهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين وانتصارهم ولو بعد حين، وأن المستقبل للحق وأهله، قال تعالى عن لوط عليه السلام وأهله﴿ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ ﴾النمل57، قال تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم مثبتا له على هذا السبيل﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴾النمل79، لأن الله ناصره ومظهر دينه على من خالفه، قال تعالى﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾النمل69.

المطلب الثالث: تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع موضوعها.

بتأمل المقطع السادس من سورة النمل مع موضوعها تظهر المناسبات والعلائق المتنوعة، كما يأتي:

1- بيان المقطع السادس من السورة لغرض اصطفاء الرسل، وهو هداية الناس إلى الله والسلام عليهم بإكبار وإجلال على ما بذلوه من اجتهاد في هذا السبيل، ويتصل بموضوع السورة في أن الرسول صلى الله عليه وسلم المبعوث برسالة القرآن الهادية ليس بدعا مما دعا إليه الرسل عليهم السلام قبله من الهداية إلى الله عز وجل.

2- في جانب المعجزات يشكل القرآن الكريم نقطة التقاء بين المقطع السادس للسورة وموضوعها، للدلالة على اصطفاء الرسول نبيا، وأنه صادق في ما ادعاه، فقال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾النمل76، وكان موضوع سورة النمل هو رسالة القرآن الهادية، وهي أكبر دليل على نبوة النبي صلى الله عليه وسلم.

3- المقطع السادس بيان لبعض ما طعن به أهل الكفر في ما تعلق بقضايا التوحيد، والعبادة والبعث والنبوة، فرد القرآن على ذلك بدلائل لا يبقى معها اشتباه بعد ذلك، وأورد الدلائل على توحيد الله واستحقاقه للعبادة، ورد على كفر مكة إنكارهم للبعث، وأثبت صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم بأعظم البراهين، وهو القرآن الكريم،وكل هذا له تعلق بموضوع السورة من حيث بيان وجه الهداية في كل هذه القضايا، والقول الحق فيها للرد على ما اشتبه على القوم وعمهوا فيه.

4- ما يقصه القرآن في المقطع السادس على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون، هو استكمال لجوانب الهداية العامة التي جاء بها للناس جميعا، في قوله ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾النمل76، كما جاء هاديا ومبشرا للمؤمنين في قوله تعالى﴿ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾النمل2، وكما كان هداية ورحمة لهم في قوله تعالى في هذا المقطع السادس من السورة ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾النمل77، وهذا له تعلق بموضوع السورة في إطار الرسالة الهادية للقرآن الكريم، والتي تعم الإنس والجن.

5- المقطع السادس وموضوع السورة يتقاطعان في ذكر موقف الكفار والمشركين من الرسالة الهادية، وهو التكذيب والإعراض عنها، واختلاق المطاعن حول القرآن وما حواه من قضايا تتعلق بالتوحيد

والبعث والنبوة، وأن الهداية لا يوفق لها إلا(مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ)النمل81، أما من كان ميت القلب أو أصم أو أعمى، فلا أمل له في الانفكاك عما هو فيه من العمه.

6- ما جاء في موضوع السورة مما حوته رسالة القرآن الهادية أيضا من التبشير والإنذار، ومن ذلك ما ورد في المقطع السادس من حمد الله على إهلاك الظالمين ونجاة المؤمنين، هو إيماء إلى الوعد بالنصر والتمكين للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين، وإظهار دينه على من خالفه، كما قال له: (فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلۡحَقِّ ٱلۡمُبِينِ)النمل79، وما ورد من إنذار أهل الكفر من أن تشملهم سنة السابقين إذا بقوا في عمايتهم، كما قال تعالى:(قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ)النمل69، وكما حكى عن الذين كفروا الآخرة في بداية السورة، وما ينالهم من أليم العقاب(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ)النمل4/5.

7- وما ورد في المقطع السادس من ذكر الهداية في وضع خاص، وهو حالة السفر في ظلمات البر والبحر(أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ)النمل63، وموضوع السورة كله رسالة اهتداء عام إلى ما فيه الخير والمعروف كله لمصالح الدنيا والآخرة.

8- ما جاء في المقطع السادس من سورة النمل من تحدي المشركين والكفار من تقديم البراهين على ما يزعمونه، إن كانوا ما يقولونه حقا وصدقا، فقال تعالى(قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ) النمل64، له تعلق بموضوع السورة من حيث اشتماله على تقديم الحجج والبراهين في توضيح القضايا التي جاء بها من التوحيد والبعث والنبوة، في مقابل ما يتقوله المشركون من مزاعم لا تقوم على أساس صحيح، فيما ضلوا فيه.

ما عرضه المقطع السادس من سورة النمل مما يتعلق بمسائل التوحيد والنبوة والبعث، والتي ضل فيها القوم الكافرون، قد جاءت العلاقات التناسبية المختلفة فيها تؤكد التلاحم والترابط على مستويات مختلفة، بين الآيات وبين المقطع وموضوع السورة.

خلاصة الفصل السادس:

مما جاءت به رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة في سورة النمل بيان وتوضيح مسائل جوهرية تتعلق بالتوحيد والنبوة والبعث، قد اندفع فيها المشركون طعنا وتكذيبا، فأقامت الأدلة على

توحيد الله سبحانه وتعالى، وردت على منكري البعث، وأيدت بالحجج والبراهين صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، بما لا يبقى بعد ذلك أدنى شبهة يتعلق بها هؤلاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل السابع

حديث بين يدي القيامة.

من الآية الثانية والثمانين إلى الآية التسعين.

(82-90).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

من الأصول المهمة في الإيمان ما تعلق بحقيقة يوم القيامة، بأحواله وأهواله، ومصير الناس فيه بين سعيد وشقي.

وفي هذا الفصل ذكر لبعض ما يتعلق بهذا اليوم من الأمارات الدالة عليه، وما فيه من الأهوال وجزاء الناس فيه، وكذلك التطرق إلى جوانب التناسب المختلفة المتعلقة بهذا المقطع السابع، وهذا كله ضمن المباحث الآتية :

المبحث الأول : من أمارات القيامة وبعض مشاهدها.

المبحث الثاني :جوانب التناسب في المقطع السابع من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
بعض أمارات القيامة وبعض مشاهدها.

تمهيد :

في هذا المبحث حديث عن بعض أمارات القيامة وبعض مشاهدها، من خروج الدابة، وحشر المكذبين بآيات الله، والنفخ في الصور وتسيير الجبال، والجزاء الذي يستحقه كل فريق من الذين اهتدوا، والذين ضلوا السبيل، وهذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: خروج الدابة وحشر المكذبين بآيات الله.

المطلب الثاني: النفخ في الصور وتسيير الجبال.

المطلب الثالث: بيان أحوال الأبرار والفجار.

المطلب الرابع:اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول :خروج الدابة وحشر المكذبين بآيات الله.

ابتدأ هذا المقطع[1] من السورة بتبيان ما يكون عند دنو وقت قيام الساعة،من أمارات تتقدمه، فيخرج الله آخر الزمان دابة من الأرض « عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق»، تكلم الناس كلاما فصيحا،وهو خارق من خوارق العادات»[2]،«ليريهم كيف يحيي الله الموتى إذ كانوا قد أنكروا البعث»[3]،وقد ورد في شأنها أحاديث،منها قوله-صلى الله عليه وسلم- :[**إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها،وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتها كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبا.**][4]والسبب للإنكار الحاصل ممن كفر بآيات الله، حيث « إذا آل أمر الناس إلى أن كانوا لا يؤمنون بآيات الله المشهودة لهم، وبطل استعدادهم للإيمان بالله بالتعقل والاعتبار ، فذلك وقت أن يريهم الله ما وعدهم من الآيات الخارقة للعادة.»[5]والعلامة الثانية هي حشر الظالمين المكذبين بآيات الله ورسله بإصرار من كل أمة،ويوقفون بين يدي الله للحساب، قال تعالى﴿**ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ**﴾ الصافات22، وذلك بعد حشر العالمين كلهم فيسائلهم الله توبيخا وتبكيتا «أكذبتم بآياتي التي جاء بها الرسل من غير تفكر ولا تدبر أم أي شيء كنتم تعملون في الدنيا؟ »[6]غير التكذيب؟ فحق عليهم بذلك العذاب الإلهي العادل بما ظلموا، قال تعالى ﴿ **هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ۝٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ** ﴾المرسلات35-36،وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يصنعون، كما قال تعالى ﴿**ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ** ﴾يس65،ف«صحائفهم تدل على أنهم كانوا طغاة بغاة مجرمين،يحملون الناس على الكفر بالله ورسوله بوسائل الإغراء والإغواء، أو بوسائل الإكراه والتعذيب

1-ينظر في باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

-محمد محيسن:الإرشادات الجلية، ص 587و598.

-أحمد البنا اتحاف فضلاء البشر:، ص355.

-أبو زرعة :حجة القراءات،ص538-539.

-تفسير الميداني: ج 9ص 172.

2-تفسير ابن كثير: ج10ص430.

3-تفسير ابن عاشور: ج20ص39.

4-مسلم:صحيح مسلم،كتاب الفتن وأشراط الساعة،باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض ونزول عيسى وقتله إياه وذهاب أهل الخير والإيمان وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان والنفخ في الصور وبعث من في القبور،حديث رقم2941،ص785.

5،6-مصطفى مسلم:التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم،ج5ص494.

والاضطهاد، وينشرون الفساد والإفساد والإلحاد والوثنيات في الأرض.»[1]

ولما ذكر الحشر استدل عليه بحشرهم كل ليلة إلى المبيت، والختم على مشاعرهم وبعثهم من المنام، فقال تعالى﴿ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾النمل86، وهذا من عظم قدرته تعالى التي تدل عليه، فجعل الله الليل راحة وسكنا، وجعل النهار للسعي والحركة وكسب المعايش، «فمن تأمل في تعاقب الليل والنهار والانتقال من حال شبيهة بالموت إلى حال الحركة والحياة، أدرك أن القيامة كائنة لا محالة، وأن الله سيبعث من في القبور.»[2]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تفسير الميداني: ج9ص190.

2-الزحيلي:التفسير المنير، ج20ص37.

المطلب الثاني : النفخ في الصور وتسيير الجبال.

الآيات الكريمة تذكر أيضا مشهدا من مشاهد القيامة،وهو الحشر العام للخلائق كلها،وذلك بعد الحشر الخاص،فتقف عند آية النفخ في الصور[1]،وما في ذلك من أهوال عظام،ومنها ما يكون من «الفزع الذي يشمل السماوات والأرض ومن فيهن من الخلائق»[2]،«وما يعتريهم من الرعب حين البعث والنشور بمشاهدة الأهوال الخارقة للعادة في الأنفس والآفاق،إلا من ثبت الله قلبه»[3]،فلا يبقى أحد من الأحياء إلا ما شاء الله عز وجل، وهم الشهداء عند ربهم يرزقون[4]. والكل يأتي الرحمان ويقف بين يديه للسؤال والجواب حين النفخة صاغرين ،كما قال تعالى﴿ **يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ** ﴾الإسراء52، وقال تعالى﴿**إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا** ﴾مريم93،وقال تعالى﴿**وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ** ﴾الروم25، وقال تعالى﴿**يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ**﴾ المعارج43.

ومع هذا الفزع الحاصل مع النفخ في الصور تصور لنا الآيات اختلال النظام الكوني العام، وهو بعض ما يقع من الآيات في سياق مشاهد القيامة، فتذكر مشهد الجبال الثابتة كيف يعتريها الاضطراب، فتسير وقد يحسبها الرائي ثابتة على ما كانت عليه، و« تمر كأنها السحاب في خفته وسرعته وتناثره»[5]، كما قال تعالى﴿ **وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا** ﴾الكهف47، «ومشهد الجبال هكذا يتناسق مع ظل الفزع، ويتجلى الفزع فيه، وكأنما [هي] مذعورة مفزوعة مع المفزوعين، هائمة مع الهائمين الحائرين المنطلقين بلا جهة ولا قرار »[6]، وهذا صنع الله الذي أتقن كل شيء فأحكم صنعته، وأقامها على وجه الحكمة،و« قصد به التنبيه على عظم شأن تلك الأفاعيل،وتهويل أمرها والإيذان بأنها ليست بطريق إخلال نظام العالم وإفساد أحوال الكائنات بالكلية من غير أن تدعو إليه داعية، ويكون لها عاقبة، بل هي من قبيل بدائع صنـــع الله

1-وهو كما جاء في الحديث: [**قرن ينفخ فيه**]، ينفخ فيه إسرافيل – عليه السلام –.تفسير ابن كثير:ج10ص436. قيل ينفخ فيه نفختان، وقيل ثلاث نفخات.تفسير البغوي:ج6ص181 وما بعدها.

2-تفسير سيد قطب:ج5ص2668.

3-تفسير المراغي:ج20ص24.

4-وقيل:هم بعض الملائكة،وقيل غير ذلك.ينظر:تفسير القرطبي،ج16ص219.

5- تفسير سيد قطب:ج5ص2668.

6- المرجع نفسه:ج5ص2669.

المبنية على أساس الحكمة المستتبعة للغايات الجميلة، التي لأجلها رتبت مقدمات الخلق ومبادئ الإبداع على الوجه المتين والمنهج الرصين.»[1]

والله الذي أتقن صنع كل شيء ذو علم وخبرة بما يعمله الخلق جميعا، قد خلقهم لغاية حكيمة، وهي امتحانهم ثم محاسبتهم ومجازاتهم على ما قدموا من عمل، و«هي غاية تستلزم أن يكون الله عليما خبيرا بما يعمله عباده، وهذا اللازم متحقق على الوجه الأتم الأكمل»[2]، وهذا الختام للآية تعليل للنفخ في الصور، وبعث الناس ليوم الحساب.

وفي المطلب الموالي بيان لأحوال الأبرار والفجار في هذا اليوم العصيب، وظهور نتيجة هذا الابتلاء والامتحان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-تفسير محمد الهرري: ج21ص65.

2-تفسير الميداني: ج9ص199 بتصرف.

المطلب الثالث: بيان أحوال الأبرار والفجار.

تفصل الآيات الكريمة الجزاء الإلهي العادل الذي يكون بعد الحشر والحساب،والذي يقسم فيه الناس إلى فريقين،فريق السعداء وفريق الأشقياء،بعدما جاء الرسل عليهم السلام إلى الناس برسالات الهداية والاستقامة،فالذي جاء يوم القيامة مؤمنا بالله عز وجل،قد عمل الصالحات وكان ممن سلك سبيل الهداية وأقام عليها، جوزي بأفضل من حسناته التي عملها،والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة،قال تعالى﴿ **مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا** ﴾الأنعام160،وقال النبي –صلى الله عليه وسلم- :[**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبتها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**][1]، وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: [**يقول الله عز وجل:من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد،ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة**][2]، و« أول الحسنات المرادة بهذا النص الإيمان الصحيح الصادق، بعناصر القاعدة الإيمانية في دين الله لعباده، فإعلان الإسلام له بالخضوع لأوامره ونواهيه، والقيام بواجب طاعته، وكل حسنة يقدمها الممتحن غير مبنية على إيمان وإسلام صحيحين صادقين لا تعتبر مقبولة عند الله عز وجل، فليس له عند الله يوم الدين جزاء بالثواب عليها»[3]، ومع هذا الجزاء يكون الأمن والطمأنينة في ذلك اليوم للذين عملوا الحسنات،وهو جزاء من جنس العمل، ذلك أنهم «خافوا الله في الدنيا فلم يجمع عليهم خوف الدنيا وفزع الآخرة، بل أمنهم يوم يفزع من في السماوات، ومن في الأرض إلا من شاء الله»[4]، قال تعالى ﴿ **لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ** ﴾ الأنبياء103، وقال تعالى﴿**وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ** ﴾سبأ37، وقال تعالى أيضا﴿**أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا**

1- البخاري:صحيح البخاري، كتاب الرقائق، باب: من هم بحسنة أو بسيئة، حديث رقم6491، ص1205، وينظر: صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، ص40-41.

2- مسلم:صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب:فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، حديث رقم2687، ص630.

3- تفسير الميداني: ج9ص200.

4- تفسير سيد قطب: ج5ص2669.

﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾فصلت40. والذي جاء يوم القيامة إلى الله مشركا به، قد حمل السيئات في صحائفه، إما أنه مسيء«لا حسنة له، أوقد رجحت سيئاته على حسناته»[1]،فكان جزاؤهم أن يلقوا في النار على وجوههم[2]، ويطرحوا فيها، جزاء وفاقا على أعمالهم،«فقد تنكبوا الهدى وأشاحوا عنه بوجوههم، فهم يجزون به كبا[3] لهذه الوجوه في النار، وقد أعرضت من قبل عن الحق الواضح وضوح الليل والنهار»[4] ، ويقال لهم تبكيتا وتوبيخا هل هذا إلا جزاء شرككم ومعصيتكم؟

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-الزحيلي:التفسير المنير،ج20ص43.

2-«ويجوز أن يراد بالوجوه أنفسهم،كما أريدت بالأيدي في قوله تعالى﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾، فإن الوجه والرأس والرقبة واليد يعبر بها عن جميع البدن،وخصت الوجوه بالذكر لأنها أشرف الأعضاء.»تفسير محمد الهرري:ج21ص67.

3-الكب:القلب والإلقاء.تفسير الميداني:ج9ص201،فكبت،أي:ألقيت منكوسة. تفسير المراغي:ج20 ص20.

4-تفسير سيد قطب:ج5ص2669.

المطلب الرابع:اللطائف المستنبطة.

تظهر الهدايات واللطائف العديدة بعد تأمل الآيات كالآتي:

1 – من إعجاز القرآن الكريم إخباره عن الغيب كخروج الدابة من الأرض تكلم الناس، وحشر فوج من كل أمة من المكذبين الضالين، والنفخ في الصور وما يصحبه من أهوال وتسيير الجبال الثابتة.

2 – هداية الآيات الكريمة إلى حقيقة ما يقع بحلول يوم القيامة مما أنكره المشركون، وهذا ردا على ما طعنوا فيه، فهم بآيات الله لا يوقنون.

3 –كل ما في الكون من الموجودات هو وفق حكمة الله وتدبيره الذي أتقن كل شيء خلقه، للدلالة على توحيده وكماله عز وجل، واستحالة العبث في حقه.

4 – إشارة الآيات إلى الإعجاز العلمي في اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما، وهذا من دلائل توحيده عز وجل، ودقة صنعه، وإمكانية بعث الأجساد بعد فنائها، ومن بين دلالته على النبوة، فلأنه تعالى يقلب الليل والنهار لمنافع الناس، وفي بعثة الأنبياء والرسل إلى الناس منافع عظيمة،فما المانع من بعثتهم إلى الناس لتحصيل المنافع[1]. و هو من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة علمية يدركها أهلها.

5 – بيان الآيات ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ النمل88 عجائب قدرة الله المطلقة، ومنها النفخ في الصور وتسيير الجبال.

6 – توجيه الآيات الأنظار إلى ما يكون في الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة، بما يدل على أن بعث الأجساد بعد الموت ومجازاتها على الأعمال يوم القيامة، من قبيل الحكمة الإلهية، « وأثر من آثار سعة العلم، فالذي بعلمه أتقن كل شيء هو خبير بما يفعل الخلق فيحذروا أن يخالفوا عن أمره.»[2]

7 – بيان الآيات لحال من تنكب طريق الهداية، وكذب ما جاء به الرسل والأنبياء، ومنه البعث بعد الموت، فهم قد قامت عليهم الحجة وحاق بهم العذاب، ووقع عليهم القول بما ظلموا، فهم لا ينطقون بكلمة في ذلك اليوم.

8 – قانون الجزاء الإلهي العادل يقوم على ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ النمل90/89

1–ينظر:الزحيلي، التفسير المنير، ج20ص38.

2–تفسير ابن عشور: ج20ص51.

9–من الإعجاز الموجود في هذا المقطع، ما يتعلق بالبيان في الكلمة، كما في قوله تعالى﴿ **تَعْمَلُونَ** ﴾ بدل (تفعلون)، وقد سبق التعرض لذلك من قبل.

10– الجزاء من جنس العمل، فالذين سلكوا طريق الهداية وآمنوا بما جاء به الرسل الكرام عليهم السلام كانت عاقبتهم حسنى، وأمنوا من فزع يوم البعث، ومن تنكبوا طريقها وكذبوا، فقد ساءت عاقبتهم، وحق عليهم العذاب بما كانوا يعملون، وأصابهم الفزع، وهذه سنة الله عز وجل.

11–الإعجاز البلاغي للآيات، إذ «يلاحظ أن هذه الآيات كلها في قمة البلاغة والفصاحة والإيجاز المفيد معاني متلاحقة»[1]، وللإنسان أن ينظر « بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه، ومكانة إضماده، ورصانة تفسيره ، وأخذ بعضه بحجزة بعض،كأنما أفرغ إفراغا واحدا، ولأمر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق.»[2]

12– « إن تغيير معالم الأرض من جبال وغيرها، وتبديد السماوات والأرض وغير ذلك من فعل الله الذي أتقن بصنعه كل شيء، وأودع فيه من الحكمة ما أودع.»[3]

لقد عرض المبحث الأول لبعض أمارات يوم القيامة وبعض مشاهده،التي تؤكد حقيقته، وتنبه على شدته، كما عرض لأحوال الأبرار والفجار، وما ينتظرهم من الجزاء في هذا اليوم.

وأما ما يتعلق بالجوانب التناسبية المختلفة، فهذا ما سيكون الحديث عنه في المبحث الموالي.

1–الزحيلي:التفسير المنير، ج20ص44.

2–تفسير الزمخشري: ج4ص477.

3–الزحيلي:التفسير المنير، ج20ص45.

المبحث الثاني
جوانب التناسب في المقطع السابع من سورة النمل.

تمهيد:

باستعراض ما يتعلق بيوم القيامة من أمارات ومشاهد، وجزاء الأبرار و الفجار، بقي بعد ذلك بحث الجوانب التناسبية المختلفة في المقطع السابع من سورة النمل، أسوة بما تقدم مع المقاطع السابقة، وهذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع السابع من سورة النمل فيما بينها .

المطلب الثاني: تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع السابع من سورة النمل فيما بينها.

هذا المقطع السابع من السورة يحكي جولة في بعض أشراط الساعة وبعض مشاهدها، وما يكون في ذلك من أهوال وشدائد.

فهذه الآيات الكريمة منه أبانت حقيقة يوم البعث، وهو من القضايا التي ورد الحديث بشأنها في السورة باعتبار مكيتها، وإعطاء القول الفصل فيها، يبرز ذلك في الابتداء بذكر بعض المقدمات التي تسبق هذا اليوم العظيم، فذكر تعالى علامة خروج دابة من الأرض، «ليريهم كيف يحيي الله الموتى، إذا كانوا قد أنكروا البعث»[1]، و ذكر تعالى علامة أخرى، وهي حشر المكذبين من كل أمة بآيات الله ورسله، ثم اجتماعهم بين يدي الله للمساءلة، وهذا حشر خاص، فتقام عليهم الحجة ويحق عليهم العذاب الإلهي العادل، بتكذيبهم بالآيات الهادية، وبمن جاءهم بها، ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ النمل85.

ومن التناسب الملاحظ في آيات المقطع السابع، ما ذكره تعالى من آية الليل والنهار واختلافهما، حيث إنه تعالى«لما ذكر الحشر استدل عليه بحشرهم كل ليلة إلى المبيت و الختم على مشاعرهم»[2]، وبعثهم من المنام، وإظهار الظلام الذي هو كالموت بعد النور، وبعث النور بعد إفنائه بالظلام و هذه الآية كالدليل على التوحيد و الحشر و النبوة.[3]

و من المشاهد التي ذكرت في هذا المقطع السابع مما يتناسب مع إيضاح حقيقة البعث، وأنه حق لا مرية فيه، عقب الحديث عن بعض أماراته و مقدماته، وما ذكر من الحشر الخاص، والدليل على مطلق الحشر و النشر، ما بينته الآيات الكريمة مما سيكون في هذا اليوم من ذكر النفخ في الصور، فيفزع أهل السماوات و الأرض، لما يكون مع ذلك من أهوال شديدة، ويحشر الكل بين يدي الله عز وجل للمساءلة، وما ذكر أيضا من مشهد الجبال الراسيات كيف تمر مر السحاب، و هي كانت علامة استقرار الأرض، فكما« ذكر دحورهم أتبعه بدحور ما هو أعظم منهم»[4]، وهي الرواسي[5]، وهذا لتتلاءم المشاهد بحيثياتها مع هول يوم البعث وشدائده، إضافة إلى قانون الجـــزاء

1-تفسير ابن عاشور: ج 20ص 39.

2-تفسير البقاعي: ج14 ص219.

3-ينظر: تفسير المراغي، ج20 ص 24.

4-المرجع نفسه: ج 20 ص 24.

5- و هذا يقع بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق، فيبدل الله الأرض غير الأرض و يغير هيئتها و يسير الجبال من مقرها=

الإلهي العادل.

ولذلك فإن يوم البعث حقيقة، تفصح عن حشر العالمين بين يدي الله عز وجل للجزاء بالخير أو الشر، فانتهى المقطع السابع إلى ذكر حال السعداء والأشقياء في هذا اليوم الموعود بقوله تعالى(مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ)النمل 90/89.

وهكذا تلوح آيات المقطع متناسبة ومترابطة فيما بينها، من بدايته إلى نهايته، بابتداء الحديث عن بعض علامات يوم البعث، وذكر حال يومئذ من كان مكذبا بآيات الله، وحشره بين يدي الله لمساءلة، ثم الانتقال إلى الحديث عن بعض مشاهد هذا اليوم العظيم بالنفخ في الصور وتسيير الجبال، انتهاء بقانون الجزاء الإلهي العادل في هذا اليوم، بذكر حال السعداء و الأشقياء.

و ختام هذا المقطع السابع له علائق بما ورد في أول السورة من خلال حديثهما عن الآخرة، وما يقع فيها من الجزاء، فالهدى و البشرى لمن التزم سبيل القرآن، والضلال و الخسران لمن أعرض عنه وكذب به.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

=ليشاهدها أهل المحشر.المرجع السابق: ج20ص 24.

المطلب الثاني: تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع سابقه.

بالنظر مليا في المقطع السابع من سورة النمل وملاحظته مع سابقه، يمكن أن تستشف من ذلك ارتباطات وعلائق عديدة بينهما كما يأتي:

1.من العلائق التي تربط المقطع السابع من السورة بما سبقه، أن الله تعالى لما هدى إلى الحق فيما طعن فيه المشركون من القضايا التي جاءت بها رسالة القرآن، وهي التوحيد والبعث و النبوة، وأقام عليها الأدلة، ذكر هنا في هذا المقطع السابع ما هدى إليه من حقيقة يوم البعث، بذكر بعض مقدماته وبعض مشاهده مع الأهوال التي تصاحبه.

2.لما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بحمده و السلام على رسله الذين جاءوا برسالة الهداية للناس إلى الله والمصير إليه،(قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ)النمل59ذكر عز وجل في هذا المقطع السابع أن مما جاءوا به في إطار هذه الهداية، ما تعلق بيوم البعث وبالرجوع إلى الله للحساب.

3.في قوله تعالى (وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ) النمل77 من المقطع السابق، فيه إشارة إلى عناصر الإيمان الستة، من الإيمان بالله عز وجل واليوم الآخر وغيره، وفي المقطع السابع حديث عن أحد أركان وعناصر الإيمان، ألا وهو يوم البعث، بالوقوف على حقيقته وذكر بعض ما يتعلق به.

4.مما يلتقي فيه المقطع السابع من السورة مع ما قبله، أن ما سبق قد كان من عناصره إثبات نبوة النبي صلى الله عليه و سلم أولا، ثم في هذا المقطع حديث عن حقيقة يوم البعث، «حيث إن هذه الأشياء لا يمكن معرفتها إلا بقبول النبي الصادق، وهذا هو النهاية في جودة الترتيب»[1].

5.مما ورد ذكره في المقطع السابع إخبار القرآن عن بني إسرائيل فيما كانوا فيه يختلفون، ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾النمل76، «و منها الجنة و النار»[2]، فكان المقطع السابع من الأشياء التي حكى عنها فيه القرآن تبيان حقيقة يوم البعث أهواله، و أهل الجنة و النار.

6.لما ذكر تعالى في المقطع السابق تشبيه الذين كفروا بالموتى وبالصم و بالعمي، ذكر في المقطع

1-تفسير الرازي: ج 24 ص 217.

2-الزحيلي: التفسير الوجيز: ص385.

السابع عاقبتهم في ذلك اليوم، وأنهم من أصحاب السيئة الذين تكب وجوههم في النار جزاء بما كانوا يعملون، و أن الذين لهم قابلية إتباع سبيل الهداية هم من الذين تفتحت قلوبهم للآيات، فأسلموا وجوههم لله عز وجل، فكان جزاؤهم أنهم من أصحاب الحسنة الذين يأمنون من الفزع في يوم البعث.

7.لما ورد الحديث في المقطع السابق عن اختصاص الله بعلم الغيب في قوله تعالى ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ﴾النمل65، ذكر تعالى في المقطع السابع أن حقيقة يوم البعث بذكر بعض مقدماته وبعض مشاهده، هي جزء من هذا الغيب.

8.لما ذكر تعالى قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُم بِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡعَلِيمُ ٧٨﴾النمل78، و ذلك « يوم القيامة»[1]، كان من قضائه عز وجل في هذا اليوم مجازاة من جاء بالحسنة، و معاقبة من جاء بالسيئة.

9.لما ذكر تعالى قوله﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ النمل73ردا على من استعجلوا العذاب، و لكن الله عز و جل لا يعاجلهم به رحمة منه بهم، و إنما كان له وقت محدد، ذكر في المقطع السابع أن ذلك الوعد سيكون محققا في يوم البعث لإقامة الحجة عليهم بما كسبوا.

وفي المطلب الموالي استعراض لبعض العلائق والارتباطات المتعلقة بين المقطع السابع من سورة النمل وموضوعها.

1-تفسير ابن كثير: ج 10ص429.

المطلب الثالث: تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع موضوعها.

هذا المقطع السابع من السورة ينطوي على مناسبات و ارتباطات عديدة مع موضوع السورة يمكن الوقوف عليها كما يأتي:

1- إن موضوع السورة يلخص رسالة القرآن الهادية للناس جميعا إلى الله عز وجل في كل شأن، و من ذلك ما جاء ذكره في المقطع السابع من حقيقة يوم البعث، بتبيان بعض مقدماته، و بعض مشاهده، وما يحصل فيه من أهوال عظام.

2- كما أن تبيان حقيقة هذا اليوم وما يكون فيه من أهوال وشدائد، و ما يقع فيه من المساءلة و الجزاء على الأعمال خيرا أو شرا، قال سبحانه وتعالى ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ ﴾النمل89-90، لهو بعض من الأمور التي تتعلق برسالة الهداية التي جاء بها القرآن الكريم – موضوع سورة النمل– من حيث إنها من الوسائل المعينة على هذا الجانب ترغيبا و ترهيبا فهي تبشر من آمن و اهتدى بما له عند الله سبحانه وتعالى من حسن الجزاء، بذكر من جاء بالحسنة، و تنذر من تنكب طريق الهداية و كذب بما ينتظره من سوء الجزاء، بذكر مآل من جاء بالسيئة، «فكان الارتباط جليا ينادى العباد بالاستقامة وسلك سبيل الرشاد للنجاة من أهواله، و يكون بمثابة التحذير الضمني لهم، وفيه مزيد اعتبار و عظة»[1].

3- تبين حقيقة هذا اليوم بمقدماته و أهواله و شدائده، قد جاء في المقطع السابع ردا على مطاعن المشركين مما أثاروه من شبه حول ما جاءت به رسالة القرآن الهادية من قضايا، و منها حقيقة يوم القيامة.

4- ما ورد في المقطع السابع من الحديث عن يوم البعث و ما يتعلق به، لهو من الأمور الغيبية التي اختص الله بها، يقول سبحانه وتعالى ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾النمل65، و هذا الأمر لا يكون إلا بالوحي من الله، و هو بعض ما تضمنته رسالة القرآن الهادية إلى الله سبحانه وتعالى و إلى المصير إليه.

1- مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص504.

5- مما ورد في موضوع السورة الحديث عن موقف الناس من رسالة القرآن الهادية، و من هؤلاء المكذبون بها وبمن جاءهم بها، و هذا له ارتباط مع المقطع السابع من السورة، بذكر عاقبة هذا التكذيب و العناد، بحشرهم في هذا اليوم العظيم حقيقة و عيانا، ومساءلتهم إنكارا وتوبيخا، و﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾النمل85 .

6- إن ارتباط المقطع السابع من سورة النمل بموضوعها يظهر بتكامل الحديث عن يوم البعث وأحواله و أهواله، فبعدما ذكر تعالى في المقاطع السابقة أدلة التوحيد و براهينه، وثنى بالبرهنة على النبوة والرسالة، أردفها بالحديث عن يوم البعث فيهذا المقطع السابع، و كلها قضايا اشتملت عليها رسالة القرآن الهادية.

7- لما كان موضوع السورة رسالة القرآن الهادية و المبشرة و المنذرة، فلابد أن يضطلع بتكاليفها و أعباءها نبي يخبر عن الله أمره، والمقطع السابع تبيان لحقيقة يوم القيامة، وأحواله و شدائده، ولا يمكن الإخبار بهذا الأمر إلا من نبي مرسل من الله عز وجل بذلك.

8- ذكر تعالى في المقطع السابع بعضا من دلائل قدرته، وهي الجبال الرواسي، كيف كانت عامل استقرار للأرض و من عليها، و ما آل إليه حالها يوم القيامة من السير، فهي تمر كمر السحاب، و هذا من إحكام الصنعة وإتقانها، التي تشير إلى الهداية الإلهية الشاملة للوجود كله إنسهو جنه و حيواناته وجماده، بآياته الناطقة و آياته الصامتة، وهو بعض ما يشير إليه موضوع سورة النمل.

و باستعراض أوجه التناسب المختلفة في هذا المقطع السابع من سورة النمل، يظهر جليا شدة الإحكام و قوته على مستويات مختلفة، بين آيات المقطع، و بين المقطع وموضوع السورة.

خلاصة الفصل السابع:

لقد تعرض المقطع السابع لجانب من الجوانب التي جاءت بها رسالة القرآن الهادية في مسألة يوم القيامة، بالوقوف على حقيقته، و ذلك بذكر بعض أماراته كخروج الدابة، و بعض مشاهده، من حشر المكذبين والنفخ في الصور، وتسيير الجبال، وبيان جزاء الفريقين فريق الذين اهتدوا و فريق الذين ضلوا وعمهوا.

الفصل الثامن

خاتمة سورة النمل.

من الآية الواحدة والتسعين إلى الآية الثالثة والتسعين (91-93).

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تمهيد:

إن لرسالة الرسول – صلى الله عليه و سلم – منهجا ووسيلة في تبليغها للناس كافة.

وفي المقطع الثامن بيان لهذا المنهج وتلك الوسيلة، مع التعريج على جوانب التناسب المختلفة، وهذا ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: الدعوة إلى الاشتغال بالعبادة وتلاوة القرآن، وبيان شمول العلم الإلهي.

المبحث الثاني: جوانب التناسب في المقطع الثامن من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
الدعوة إلى الاشتغال بالعبادة و تلاوة القرآن و بيان شمول العلم الإلهي.

تمهيد:

مما يتصل برسالة الرسول صلى الله عليه وسلم التي جاء بها هداية وتبشيرا وإنذارا، الوقوف عند منهجها و وسيلتها في التبليغ، وسيكون هذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: الدعوة إلى الاشتغال بعبادة الله وتلاوة القرآن.

المطلب الثاني: إحاطة علم الله بكل شيء.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: الدعوة إلى الاشتغال بعبادة الله و تلاوة القرآن.

استهل المقطع الثامن[1] والأخير من سورة النمل بتو جيه الخطاب للنبي صلى الله عليه و سلم أن يبلغ المشركين بما أمر به من قبل الله عز و جل بالاشتغال بعبادة الله وحده،فهو رب كل شيء و مليكه والمتصرف فيه، ومن ذلك البلدة (**مكة**) التي شرفها الله بإضافته إليه، كما قال في آية أخرى(**فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ**) قريش4/3، وعظمها و جعلها حرما آمنا[2]، «لا ينفر صيدها و لا يختلى خلاها[3]، و لا يقطع شجرها، ولا يتعرض فيها لأحد بأذى أو ضر، بل يؤمن داخلها»[4،5]، و هي أول بيت وضع للعبادة و استقباله و التوجه إليه، و في هذا تذكير بهذا الذي شرفوا به، من أنهم أهلها والقائمون على أمورها، و أمر الرسول صلى الله عليه و سلم كذلك أن يكون « من الموحدين المخلصين المنقادين لأمره المطيعين له»[6]، و بتلاوة القرآن الكريم تبليغا، فهو وسيلة تلك الدعوة إلى الله عز وجل، يمثل«الكتاب الخالد في جهاد الأرواح و العقول، وفيه ما يأخذ عن النفوس أقطارها، وعلى المشاعر طرقها، و فيه ما يزلزل القلوب القاسية، و يهزها هزا لا تبقى معه على قرار.»[7]

و الله الذي أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بما سبق، خاطب المشركين بواجب طاعته، ومن

1-ينظر في باب القراءات الواردة في هذا المقطع:

-عبد اللطيف الخطيب:معجم القراءات، [د.ط]،دار سعد الدين،[د.م]،[د.ت]،مج6ص567.

-أبو علي الحسن الفارسي:الحجة في القراءات السبعة، ج5ص410.

-أحمد البنا:اتحاف فضلاء البشر،ج2ص337.

2-«وهذا التحريم مما أوحى الله به إلى إبراهيم عليه السلام، إذ أمره بأن بني بيتا لتوحيده، و باستجابته لدعوة إبراهيم إذ قال ﴿**رب اجعل هذا بلدا آمنا**﴾».تفسير ابن عاشور: ج 20 ص 56.

3- لا يختلى خلاها: لا يقطع حشيشها الرطب.تفسير الصابوني: ج 2 ص 421.

4- تفسير الميداني: ج9 ص 203.

5- قال رسول الله صلى الله عليه و سلم يو م فتح مكة [**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات و الأرض، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شوكه، و لا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا لمن عرفها، و لا يختلى خلاها**].البخاري:صحيح البخاري،كتاب:جزاء الصيد،باب:لا ينفر صيد الحرم،حديث رقم1832 بلفظ:[**إن الله حرم مكة فلم تحل لأحد قبلي**...]،ص320،ومسلم:صحيح مسلم،كتاب:الحج،باب:تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها إلا لمنشد على الدوام،حديث رقم1353بلفظ:[**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات والأرض**...]،ص311.

6- تفسير ابن كثير: ج 10ص439.

7-مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5ص501.

ذلك الإيمان برسوله صلى الله عليه و سلم الذي أرشدهم إلى هذا الطريق وإتباعه خاضعين لله عز وجل، و الإيمان بهذا القرآن الذي جاء به من عندالله، و التبرؤ من معبود اتهم.

و بعد هذا فكل يختار طريقه، فمن آمن برسول الله صلى الله عليه و سلم و اتبع ما جاء به، فقد هدي إلى سبيل الرشاد، و«سيعطيه [الله] المعونة، ويزيده هداية و توفيقا (**وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ**)محمد17»[1]، وآمن عذاب الله، وهذا منتفع بتلاوة القرآن، و من كذب وعاند و ضل طريق الهداية، فعليه وزر ضلاله، ويتحمل عاقبة ذلك، و رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول لهم « و إنما أنا من المنذرين المخوفين قومهم عذاب الله، و ليس علي إلا الإنذار التبليغ، و قد أديت المهمة و أبلغتكم ما يوحي إلي،وخلصت من العهدة و حسابكم على الله، كما قال تعالى(**فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ**)الرعد40»[2]، وقال تعالى(**فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ**)هود 12، «وهنا تتمثل فردية التبعة في ميزان الله، فيما يختص بالهدى والضلال، و في فردية التبعة تتمثل كرامة الإنسان التي يضمنها الإسلام، فلا يساق سوق القطيع إلى الإيمان، قال تعالى (**وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا**) الإسراء 15، فلا يحمل أحد ذنب أحد و لا يجني جان إلا على نفسه»[3].

1-تفسير الشعراوى:ص10865.

2-الزحيلي: التفسير المنير، ج 20ص48.

3-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعى لسور القرآن الكريم، ج5ص501-502.

المطلب الثاني: بيان إحاطة علم الله تعالى بكل شيء.

في ختام المقطع الثامن و الأخير من سورة النمل أمر الرسول صلى الله عليه و سلم بحمد الله على ما أولاه به من نعم جزيلة من الهداية والتوفيق، وإكرامه صلى الله عليه و سلم باصطفاه رسولا برسالة الهداية إلى الله عز وجل، و التي شرفه بها على سائر الناس، و الإعانة على تبليغها للناس جميعا، و من ذلك ما كان من رحمة الله بخلقه، فلا يعذب أحدا إلا بعد إقامة الحجة عليه(**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا**)الإسراء15 ، فالله قد « دعا الناس إلى ما فيه خيرهم وسعادتهم و هدى الذين آمنوا بآياته و أسلموا له، و أما المكذبون فأمات قلوبهم و أصم آذانهم و أعمى أبصارهم فضلوا و كذبوا بآياته»[1]، فحق عليهم العذاب بما اقترفوه، و إن ما وعدهم الله به من «آياته الدالة على عظمته وحكمته وقدرته و أمارات عذابه و سخطه»[2] في مستقبل أيامهم هو قريب و متحقق[3]، و بذلك تظهر لهم دلائل صدق الله في وعده على لسان رسوله صلى الله عليه و سلم،فيقفوا على حقيقة كل ذلك، و لكن بعد فوات لأوان، و نحو الآية قوله تعالى (**سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ**) فصلت53.

و من تمام ما أمر به الرسول صلى الله عليه و سلم ببلاغه للمشركين، التذكير بأن الله ليس بغافل عما يعمله الناس جميعا من المؤمنين و الكافرين، و الصالحين و الفاسدين، فهم مجزيون من الله عما قدموا، كما قال تعالى (**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) النمل90/89، هذا في وقت يعلمه الله، حدده على وفق إرادته و حكمته، «و هذا تقرير لما سبق من الوعد والوعيد و تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بأن الله ناصره و مخزي أعدائه الكافرين»[4]،جاء في الحديث النبوي الشريف قوله صلى الله عليه و سلم : [**يأيها الناس، لا يغترن أحدكم بالله، فإن الله لو كان غافلا شيئا لأغفل البعوضة**

1-المرجع نفسه: ج5ص503.

2-الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص49.

3-من ذلك: ما يرونه عند موتهم من أمور الآخرة، و ما يتحقق من إخبار عن أحداث مستقبلية، و ما يكشفه الله للناس من آيات كونية بالوسائل العلمية مطابقة لما جاء في النصوص الشرعية من القرآن و السنة، لم يكن الناس يعلمون عنها شيئا وقت نزول القرآن. ينظر: تفسير الميداني، ج9ص209.

4-الزحيلي: التفسير المنير، ج20ص49.

و الخردلة والذرة.][1]

ختام المقطع الأخير من سورة النمل قد أبان عن تهديد شديد من الله عز وجل لهؤلاء الذين ضلوا طريق الهداية ووعيد رهيب بإحاطة علم الله عز وجل بكل شيء، ومنه أعمالهم.

وفي المطلب الموالي استخلاص للطائف والهدايات القرآنية العديدة من المقطع الأخير في سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-عبد الرحمان بن أبي حاتم:تفسير القرآن العظيم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م، حديث رقم15872، مج9ص2937.

المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة.

بتأمل المقطع الأخير من السورة تظهر لطائف و هدايات قرآنية عديدة كما يأتي:

1-« بيان وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنها عبادة الله، والإسلام له وتلاوة القرآن إنذارا وإعذارا، وتعليما و تعبدا به و تقربا إلى منزله عز وجل.»[1]

2-بيان الآيات بأن المسؤولية ملقاة على كل المكلفين البلغين، فمن أحسن فلنفسه و من أساء فعليها، فلا يحمل الرسول من تبعات المدعوين شيئا، قال تعالى(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ) الرعد 40.

3-«بيان وتقرير حرمة مكة المكرمة و الحرم»[2] إلى يوم القيامة.

4-« الرجوع إلى القرآن في جميع شؤون الحياة الدنيا والآخرة، فهو زاد المؤمنين و دستور الدعاة المصلحين»[3]، قال تعالى ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ النمل92.

5-«الدعوة إلى الله ترتكز على ركيزتين أساسيتين هما:الترغيب والترهيب و الإنذار و التبشير»[4]، قال تعالى ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾ النمل92.

6-«التنويه بهذه الأمة والإشادة بها، و أن الرسول صلى الله عليه و سلم من آحادها»[5] ، في قوله تعالى (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)النمل91،و هو أفضل خلق الله على الإطلاق.

7-بيان الآيات لربوبية الله عز وجل لكل الوجود، كما قال تعالى(لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ)البقرة284.

8-«استحباب حمد الله تعالى على نعمه الظاهرة والباطنة، و لاسيما عند تجدد النعمة وعند ذكرها»[6]، كما قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾النمل93.

9- « بيان أن عوائد الكسب عائدة على الكاسب خيرا كانت أو شرا »[7]، فكل نفس بما كسبت

1-تفسير أبي بكر جابر الجزائري:ص923.

2-المرجع نفسه:ص932.

3-مصطفى مسلم: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج5ص504.

4-المرجع نفسه: ج5ص504.

5-تفسير ابن عاشور: ج20ص57 بتصرف.

6-تفسير أبي بكر جابر الجزائرى:ص923 بتصرف.

7- المرجع نفسه:ص923.

رهينة، قال تعالى﴿ وَأَنْ أَتْلُوَاْ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾النمل92.

10-بيان الآيات لإحاطة وشمول علم الله لكل شأن من الشؤون، ومنه ما يعمله بنو آدم، فيحصيه عليهم، ثم يجازيهم خيرا أو شرا، قال تعالى﴿ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾النمل93.

11- « لله تعالى سير ي خلقه آياته في أنفسهم و في غيرهم، فيعرفون بها دلائل قدرته ووحدانيته في أنفسهم وفي السموات و في الأرض»[1] قال تعالى﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾النمل93.

12- «تسلية الرسول- صلى الله عليه و سلم-بأن الله ناصره على المشركين، وخاذلهم ومذيقهم الذل والهوان»[2]، قال تعالى ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ النمل93.

13-بيان الآيات لبعض مظاهر الإعجاز:

أ-الإعجاز الغيبي: «إذ ما أعلم به المشركين أنهم سيرونها قد رأوها فعلا، وهو غيب فظهر كما أخبر»[3] مثل آية «الدخان، وانشقاق القمر، واستئصال صناديدهم يوم بدر»[4]،قال تعالى ﴿ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ﴾النمل93

ب-الإعجاز البياني في الكلمة، ﴿ تَعْمَلُونَ ﴾النمل93، بدل (**تفعلون**)، وقد مر من قبل بيان ذلك.

14-بيان الآيات لسنة الله في إرسال الرسل جميعا، و هي التبليغ عن الله عز وجل أمره و مراده، قال تعالى ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾النحل35، والرسول صلى الله عليه وسلم ليس بدعا من ذلك، فهو مبشر و منذر، قال تعالى (إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ) النمل92.

كانت رسالة الرسول-صلى الله عليه و سلم-دعوة إلى إفراد الله بالعبودية دون غير ه من

1-الزحيلي: التفسير المنير، ج 20ص50.

2-تفسير المراغي: ج20ص28 بتصرف.

3-تفسير أبي بكر جابر الجزائري:ص923.

4-تفسير ابن عاشور: ج20ص58.

الموجودات، فلا يستحق العبادة و الخضوع له إلا هو عز وجل، فلا يستحق العبادة والخضوع له إلا هو عز وجل، و التزاما لسبيل المسلمين المنقادين لله، وتلاوة القرآن تبليغا للناس، و بعد ذلك كل واحد يختار سبيله، فتقام الحجة على كل واحد، و الله عليم بما يفعلون.

و في المبحث الموالي استعراض لجوانب التناسب المختلفة في هذا المقطع الأخير من سورة النمل.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني
جوانب التناسب في المقطع الثامن من سورة النمل.

تمهيد:

في المقطع الأخير من سورة النمل تناول لجوانب التناسب المختلفة، كما كان ذلك مع المقاطع السابقة منها، وهذا ضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الثامن من سورة النمل فيما بينها.

المطلب الثاني: تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع سابقه.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع موضوعها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: تناسب آيات المقطع الثامن من سورة النمل فيما بينها.

موضوع المقطع يلخص دعوة الرسول صلى الله عليه و سلم ومنهجه فيها، و ذكر وسيلتها بتلاوة القرآن تبليغا للناس، و ما نصيب كل واحد منها[1]، اهتداء و ضلالا.

و آيات المقطع الأخير من سورة النمل تلخص الرسالة الإلهية لسيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، إذ أمر في خاصة نفسه صلى الله عليه و سلم بإفراد الله عز وجل بعبادته،و الكفر بما سواه، (**إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا**) النمل91،و أمر بما يقتضي شؤون الرسالة أن يكون من آحاد المسلمين، « المنقادين لجميع ما يأمر به كتابه أتم انقياد، ثابتا على ذلك غاية الثبات»[2]، و بتلاوة القرآن تبليغا وسيلة لذلك، «لأن كلا من الإسلام و التلاوة من شؤون الرسالة»[3].

و من التناسب الحاصل في الآيات أن الناس أمام هذه الرسالة الإلهية بعد ذلك فريقان، الأول منهما، من قبلها و سار في طريقها، فهذا قد نال الهداية وأحرز البشرى، و اهتداؤه قاصر عليه، و الثاني: من تنكب هذا السبيل، فقد ضل وعمه، وأقيمت عليه الحجة بالإنذار، و إنما الرسول صلى الله عليه و سلم مبلغ عن الله أمره، (**فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ**)النحل35، و ما أمر به الرسول صلى الله عليه و سلم إنما هو « إثارة لهمهم بألطف وجه إلى تدارك أحوالهم وتحصيل ما ينفعهم، و التدبر فيما يقرع أسماعهم من باهر الآيات التي تكفي في إرشادهم و تشفي عللهم و أمراضهم»[4].

و مما يكون فيه التناسب أيضا في الآيات مما يتصل بجانب الدعوة، ما ذكر من أمره صلى الله عليه و سلم بحمد الله على نعمه الجزيلة، و منها اصطفاؤه رسولا لتبليغ ما أرسل به إلى الناس جميعا،هدايةتبشيرا و إنذارا، و توفيقه لتحمل أعبائها.

و هذه الرسالة الإلهية التي كلف الرسول صلى الله عليه و سلم بتبليغها للناس إنما سيظهر الله حقيقتها وصدق ما دعا إليه صلى الله عليه و سلم الناس من اتباع سبيل الهداية والرشاد، و لمن كذب و عاند بتحقق آيات عذابه و انتقامه، قال عز وجل(**سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ**

1-ينظر:مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ج 5ص500.

2-تفسير البقاعي:ج14ص228.

3-تفسير ابن عاشور:ج 20ص57.

4-تفسير المراغي:ج 20ص26.

﴿يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فصلت 53.

و في ختام الآية ذكر ما فيه التناسب الحاصل مع ما يتعلق كذلك بحقيقة الرسالة الإلهية، تبشيرا وإنذارا، مما أمر بقوله للمشركين، بإحاطة علم الله عز وجل بكل شأن مما « يعملونه في جانب تلقي دعوة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم و قرآنه»[1]، و فيه تسلية الرسول صلى الله عليه و سلم عما يلقاه في جانب تبليغ الدعوة، « بأن الله أحصى أعمالهم،و أنه مجازيهم عنها فلا ييأس من نصر الله»[2،3].

و من تمام التناسب بين آيات المقطع الأخير من السورة، ما كان بين أول المقطع و آخره من علائق، فبداية المقطع اشتغال بعبادة لله وحده، والتزام سبيل المسلمين وتلاوة القرآن تبليغا، و ختامه تذكير من الله عز وجل بإنذار القوم الكافرين و تهديدهم، « بأن أعمالهم تستوجب ما سيرونه من الآيات»[4]، وتثبيت للنبي صلى الله عليه و سلم في هذا الطريق، فلا يحمل من تبعات القوم شيئا، و قد خلص من العهدة، إنما هو بعلم الله، و ما على الرسول إلا البلاغ المبين، و الله أعلم.

1-تفسير ابن عاشور: ج 20ص59.

2-المرجع نفسه: ج 20ص59.

3-و هذا أخذا بقراءة من قرأ بياء الغيبة﴿ يعملون﴾، فهو عطف على﴿ قل﴾.ينظر:المرجع نفسه، ج 20ص59.

4-المرجع نفسه: ج20ص59.

المطلب الثاني: تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع سابقه.

إن بين المقطع الأخير من السورة و الذي قبله علائق ووشائج تربطهما، يمكن استنباطها فيما يأتي:

1- « لما أتم [تعالى] أمر الدين بذكر الأصول الثلاثة: المبدأو المعاد و النبوة، و مقدمات القيامة وأهوالها، وبعض صفاتها و ما يكون من أهوالها، و ذلك كمال ما يتعلق بأصول الدين على وجوه مرغبة أتم ترغيب، مرهبة أعظم ترهيب، أوجب هذا الترغيب و الترهيب لكل سامع أن يقول:فما الذي نعمل؟ومن نعبد؟فأجابه المخاطب بهذا الوحي المأمور بإبلاغ هذه الجوامع، الداعي لمن سمعه، الهادى لمن اتبعه بأن يرضى له ما رضي لنفسه، وهو ما أمره به ربه، فقال تعالى(**إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا**) النمل91»[1].

2- كذلك مما يتناسب فيه المقطع الأخير من السورة مع سابقه، أنه لما قال تعالى (**وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ**) النمل91، من مكة و غيرها خلقا وملكا، ذكر في المقطع السابق أن من ذلك ما يملكه من يوم البعث وحساب الناس و القضاء بينهم بحكمه العادل، لا يشاركه في ذلك شيء من مخلوقاته.

3- و من وجوه التناسب أنه تعالى لما ذكر في المقطع الأخير من السورة، من ينتفع بتلاوة القرآن تبليغا، فيكون من أهل الهداية، ومن لا ينتفع بذلك فيكون من الضالين، ذكر في المقطع السابق الجزاء المترتب على كل اختيار، فقال (**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) النمل90/89، و لهذا الكلام تعلق بأول السورة في بيان صفات من كان مهديا بالقرآن، بأنه يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة و هو مع ذلك موقن بالآخرة و ما فيها من الجزاء على الأعمال، فقال تعالى (**هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**)النمل3/2، وبيان صفات من تنكب سبيل القرآن، و كفر بالآخرة بأنه قد زينت له أعماله، فهو ضال حيران، وهو في الآخرة من أخسر الناس،(**إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ** النمل5/4، ومن (**جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**)النمل90.

1-تفسير البقاعي: ج14ص226.

4- ومن التلاقي الحاصل بين المقطع الثامن من السورة و الذي قبله، ما كان فيه تنبيهه على مسألة الأمن، فقال تعالى فيما سبق (**وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ**)النمل89، فكما أن أهل الحسنة لا يلحقهم شيء مما يصيب غيرهم، فذكر تعالى كذلك في هذا المقطع الأخير أنه جعل مكة حرما آمنا، «و خصها بذلك من بين سائر بلاده و الناس يخطفون من حولهم و هم آمنون لا ينالهم شيء من فزعهم و هولهم»[1] .

5- لما أمر النبي صلى الله عليه و سلم في المقطع الأخير من السورة بتلاوة القرآن تبليغا للناس، في قوله تعالى(**وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ**) النمل92 كان مما يتلوه ما ذكر في المقطع الذي سبق من ذكر مقدمات يوم البعث، وبعض مشاهده، وما فيه من أهوال وشدائد، و ما يحكم الله به على الناس جميعا بينهم.

6- ومن العلائق التي تربط المقطع الأخير من السورة بما قبله، ما ذكره الله عز وجل من قوله (**وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ**)النمل82، فذكر تعالى البلدة في المقطع الأخير، و هي مكة، التي جعلها حرما آمنا، و أن خروج الدابة سيكون منها.[2] .

7- لما ذكر تعالى في نهاية المقطع الأخير من السورة قوله تعالى(**وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) النمل93، بأنه أحصى أعمالهم و أنه يجازيهم عنها فلا ييأس من نصر الله، ذكر فيما سبق بأن ذلك يكون في يوم القيامة ببيان جزاء الفريقين، من اهتدى و من ضل، فقال تعالى (**مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) النمل90/89.

1-المصدر السابق: ج14ص227.

2-المصدر نفسه : ج14ص227.

وينظر:

-تفسير الطبري: ج18ص123 و ما بعدها.

-تفسير ابن كثير: ج 10 ص 431 و ما بعدها.

8- لما ذكر تعالى في المقطع السابق قوله (**وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ**)النمل90،« يعني الشرك»[1]،و ختم الآية بقوله (**هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ**) النمل90، أي «في الدنيا من الشرك»[2]، ابتدأ سبحانه و تعالى المقطع الأخير من السورة بالدعوة إلى عبادته وحده سبحانه وتعالى ، و عدم الإشراك به، أي « إنما أمرت أن أخص الله وحده بالعبادة و لا أشرك معه أحدا»[3]، فقال سبحانه وتعالى (**إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ [4] رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ**) النمل91.

9- مما يلتقى فيه المقطع الأخير من السورة مع سابقه، ما كان من علم الله الغيب و إحاطته عز وجل بكل شيء، حيث قال تعالى(**وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ**) النمل93، أي « في الدنيا و الآخرة بوعد محقق لاشك في وقوعه»[5]، فذكر قبل هذا المقطع ما يكون من شؤون يوم البعث وأهواله، و هذا بعض ما يريه الله عز وجل من آياته.

1-تفسير البغوى:ج6ص184.

2-المصدر نفسه:ج 6 ص 184.

3-بهجت عبد الواحد صالح:الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل،[د.ط]، دار الفكر،[د.م]،[د.ت]،ج 8 ص 352.

4-بإعراب ﴿ **أن أعبد**﴾ أن مفسرة مسبوقة بحرف جر مقدر، فتكون ﴿ **أن**﴾ المصدرية و ما بعدها بتأويل مصدر في محل جر بالباء و الجار و المجرور متعلقان بـ ﴿**أمرت**﴾، و التقدير: أمرت بعبادة.المرجع نفسه، ج 8 ص 352.

5-تفسير البقاعي:ج 14ص229.

المطلب الثالث: تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع موضوعها.

يرتبط المقطع الثامن من سورة النمل مع المقطع الأخير منه بارتباطات عديدة، يمكن استنباطها كما يأتي:

1- في موضوع سورة النمل بيان لرسالة القرآن الهادية و المبشرة والمنذرة و التي تحمل تكاليفها الرسول صلى الله عليه و سلم، ويتصل هذا بالمقطع الثامن من ناحية التأكيد على رسالته صلى الله عليه و سلم و اصطفائه من قبل الله سبحانه وتعالى تحملا لهذه المهمة الجليلة، فقال سبحانه وتعالى (**إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**) النمل91.

2- كذلك فإن موضوع السورة يدور حول رسالة القرآن الهادية و المبشرة و المنذرة، و الرسول صلى الله عليه و سلم كما يبين المقطع الثامن إنما هو مبلغ عن الله أمره، و لا يتحمل من تبعات القوم شيء، قال تعالى (**وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ**) النمل92، و أن كل واحد من الفريقين إنما يتحمل مسؤولية اختياره اهتداء و ضلالا.

3- من وجوه الارتباط بين موضوع السورة و المقطع الثامن، ما يكون من مواقف التباين الصادرة من الناس تجاه رسالة القرآن الهادية والمبشرة و المنذرة، فيهتدي بها من آمن بآيات الله و استجاب لندائها والتزم الصراط المستقيم، و يضل عن صراطها المستقيم من تنكب سبيلها و كذب بها، فهو عمه حيران، و هذا ما توافق فيه بدءالسورة و ختامها،« فقد رجع آخرها كما ترى بإبانة الكتاب وتفخيم القرآن وتقسيم الناس فيه إلى مهتد و ضال إلى أولها»[1].

4- لما كان موضوع السورة هو رسالة القرآن الهادية و المبشرة و المنذرة، كان من شؤونها الدعوة إلى عبادة الله وحده و الكفر بما سوى ذلك، و الإيمان بهذا الرسول الذي جاءهم بهذا الخير، و بالقرآن الذي أنزل عليه، مسلمين لله وحده، فالمقطع الثامن هو خلاصة لهذه الدعوة والرسالة الإلهية، و ما فيها من قضايا كالتوحيد.

5- موضوع السورة يلتقي مع المقطع الثامن منها في أن رسالة القرآن الهادية والمبشرة و المنذرة، وسيلة تبليغها القرآن الكريم نفسه،بتلاوة آياته تبليغا،كما قال تعالى(**وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ**)النمل92.

1-المرجع السابق: ج14ص230.

6- ما جاء في موضوع سورة النمل من تبيان رسالة القرآن الكريم و دعوته الهادية و المبشرة و المنذرة، كان ذلك متناسبا مع المقطع الثامن من حيث إن مبلغها صلى الله عليه و سلم كان أول من التزم بما دعاهم إليه، قال سبحانه وتعالى (**إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَـٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ**) النمل91، فهو مصر عليها غير مرتاب فيها.

7- جاء في تفسير قوله تعالى (**فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ**)أي«في هذه المسائل الثلاث المتقدمة وهي التوحيد و الحشر و النبوة، (**فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ**) النمل92، أي منفعة اهتدائه راجعة إليه»[1]، يرتبط هذا بموضوع السورة من ناحية أنها مما وقع فيه طعن المشركين، فرد عليهم بما جاء في السورة مما يفند شبهاتهم نحوها،كما جاء ذلك في المقطع الثامن و التاسع من السورة.

8-مما يلتقي فيه موضوع السورة مع المقطع الثامن منها، أن الرسالة الإلهية ترتكز على أساسين هما: الترغيب والترهيب، و بالنظر في المقطع الثامن من سورة النمل، فإن ذلك متجسد في قوله تعالى«تسلية و ترغيبا و ترهيبا»[2](**فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ**) النمل92.

9-موضوع السورة رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، يرتبط مع المقطع الثامن، بذكر الوعد و الوعيد، على من سلك طريق الهداية و من تنكبه، فقال تعالى(**وَمَا رَبُّكَ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ**) النمل93.

و هكذا يبدو المقطع الأخير من سورة النمل متلاحما على مستويات التناسب المختلفة، بين آياته، و مع سابقه، ومع موضوع السورة.

خلاصة الفصل الثامن :

الرسول صلى الله عليه و سلم جاء من عند الله عز وجل برسالة هادية و مبشرة و منذرة، قد تعرض المقطع الأخير من سورة النمل لبيان منهجها ووسيلتها، بعبادة الله وحده، و التزام سبيل المسلمين المنقادين لله تعالى، و تلاوة القرآن تبليغا للناس، فمن اهتدى فذلك لنفسه، ومن ضل فإنما الرسول صلى الله عليه و سلم منذر، و علم الله محيط بما يفعله الناس، من اهتدى منهم، ومن ضل، فلا يغيب عنه شيء سبحانه و تعالى في الوجود كله.

1-تفسير الرازي: ج 24ص223

2-تفسير البقاعي: ج 14ص229بتصرف.

خاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن العيش مع القرآن الكريم ومصاحبة آياته،لهو أسمى المقاصد والغايات التي يحياها الإنسان مع كتاب الله عز وجل.

وفي هذا الإطار تشرفت بتناول سورة من القرآن الكريم بالدراسة، وذلك تحت عنوان:

الوحدة الموضوعية في سورة النمل

وسورة النمل مكية، نزلت في أواسط العهد المكي تقريبا، وموضوعها: رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، وحال المدعوين معها، وإبطال المطاعن التي أثيرت حول ما جاءت به من أصول بمختلف الأدلة.

وحوت سورة النمل أغراضا ومقاصد ككل سورة من سور القرآن الكريم.

وقد قسمت سورة النمل إلى مقاطع بعناوين مستوحاة من الآيات، وتفسيرها تفسيرا موضوعيا، واستنباط اللطائف والهدايات منها واستخلصت ما وفقني الله عز وجل إليه من وجوه التناسب المختلفة، إن على مستوى آيات المقطع نفسه، أو على مستوى المقاطع بعضها مع بعض، أو بين المقاطع وموضو ع السورة الرئيس.

وبعد رحلة ممتعة مع سورة النمل، ينتهي المطاف إلى ذكر أهم النتائج والتوصيات:

أ-أهم نتائج البحث:

1-لكل سورة من القرآن محور تدور عليه بعبر عن شخصيتها، وسورة النمل محورها: رسالة القرآن الهادية والمبشرة والمنذرة، وحال المدعوين معها، وذكر المطاعن التي أثيرت حول ما جاءت به من أصول كالتوحيد والنبوة والبعث، وإبطالها بمختلف الأدلة.

2-جوانب التناسب المختلفة في سورة النمل أبانت عن تناسق عجيب وترابط محكم، بحيث غدت محاورها جداول فرعية تصب في مصب واحد يجعلها بمثابة اللحمة الواحدة، وفي هذا رد على من يطعن في ارتباط آيات القرآن الكريم وسوره.

3-من الأغراض الواردة في سورة النمل قصص بعض الأنبياء، وقد جاء خادما لمحورها حيث جاء في السورة ما بناسبه وينسجم معه، وهذا الورود للقصص في بعض السور القرآنية إنما هو في بعض جزئياته التي تتفق ومحور السورة.

4-القرآن المكي- ومنه سورة النمل- من بين ميزاته الرد على الشبهات والأباطيل التي يثيرها الخصوم في كل عصر وزمان، وتفنيدها بالحجة والبرهان، ومن ذلك ما تعلق بالتوحيد والنبوة والبعث.

5-تضمنت سورة النمل ألوانا من الإعجاز والسنن الإلهية، وكل هذا في إطار المحور العام للسورة.

ب- أهم التوصيات:

1-مجال البحث في التفسير الموضوعي خصب، ومن المفيد جدا-ونحن في عصر التحديات التي تواجه الإسلام بمصدريه: القرآن والسنة، وتكالب ألسنة السوء عليه- أن يكون الاشتغال والبحث بهذا العلم، متابعة لما قدمه أهل العلم، وإتماما للفائدة المرجوة منه، والأهم من ذلك إعادة بعث حياة المسلمين للعيش مع الإسلام.

2-الاهتمام بتدريس مادة التفسير الموضوعي في المؤسسات الجامعية المختلفة، حيث إن واجب الدعوة إلى الله عز وجل يقتضي أن يلم أهل العلم والثقافة على اختلاف معارفهم بما يتعلق بكتاب الله عز وجل، حتى تكون دعوتهم على بصيرة.

3-إن كل عمل لا يخلو من نقص، والكمال غاية بعيدة المنال يتطلع إليها كل واحد، ومن هذا المنطلق فإن سورة النمل تحوي عجائب لا تنفذ، تحتاج إلى أبحاث أخرى قد يتيسر التطرق إليها مستقبلا بتوفيق من الله عز وجل وعون منه، وعلى سبيل المثال ما في قصة ملكة سبأ من أنموذج لما ذكره القرآن الكريم من حكم المرأة باقتدار لقومها-على الرغم من كفرها-، ربما يكون فكرة بحث لأصحاب اختصاص الفقه والسياسة الشرعية.

و الله نسأل أن يجعل هذا العمل المتواضع خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان الحسنات، وأن ينفع به صاحبه، ومن اطلع عليه، وأن يرزقنا التوفيق والسداد في كل قول وعمل.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمدوعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

الفهارس العامة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآيـــــة	الـصفـحة
البقــرة	
(ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِ ...)01	63
(فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ ...)16	77-65
(وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ...)281	13
(لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ...)284	235
آل عمــران	
(قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ...)29	112
النساء	
(وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ ...) 78	144
(رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ)165	159
الأنعام	
(فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ...)33	55-22
(مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖ...)38	63
(فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...)45	205
(وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ ...)59	188
(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ ...)97	186
(مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا ...)160	217
(وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ ...)165	186
الأعراف	
(إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ ...)27	107
(فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ...)70	143
(يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ ...)77	177-155-151-143
(قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ...)75-76	143

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم ...) 80	166
(فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ...) 83	177
(وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ...) 130-131	89
(فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ...) 131	144
(فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ...) 136	91
(ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...) 187	189
التوبة	
(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...) 124	63
يونس	
(فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ...) 58	114
الرعد	
(سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ ...) 10	112-194
(فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ...) 40	232-235
إبراهيم	
(لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ...) 07	122
(وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ ...) 08	122
(وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ...) 38	112
الحجر	
(إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ...) 60	168
(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ) 73	167
(إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ...) 75-76	168
(فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ)83-84	146
هـود	
(فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ...)12	232
(هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ...) 61	158
(وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ ...) 64	155

(تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمْ ...) 65	158-145
(فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ...) 66	146
(وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ...) 67-68	146
(إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ...) 81	168
(فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا ...) 82-83	167
النحل	
(وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ...) 16	186
(فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ) 35	239-236
(وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ ...) 36	142
(وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ...) 127-128	194
الإسراء	
(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِي ...) 9	63
(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ...)15	233-232
(يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ ...) 52	215
(وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ...) 67	186
الكهف	
(وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ ...) 47	215
(وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ...)48	189
(يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ...) 104	65
مريم	
(إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...) 93	215
طه	
(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا ...) 14	87
(وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ ...) 22	88
(ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ)50	165-48
(وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ...) 82	88

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ ...) 132	64
الأنبياء	
(وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ...)35	144
(بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ ...) 63	70
(وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ...) 71	96
(لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ...) 103	217
الحج	
(أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ...) 70	194
المومنون	
(قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ)01	64
(فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ)46	90
(وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَـٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَـٰهٍۭ ...) 91	185
(وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ ...) 117	187
الفرقان	
(وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ ...)53	185
الشعراء	
(فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا ...) 20	29
(فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ)144	175
(أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَـٰهُنَآ ءَامِنِينَ)149-150	154
(كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ)160	180
(إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ)162-163	165
(أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ)165-166	166
(وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ...)210-211	66
(وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ...) 277	30
النمل	
(طسٓ ...) 01	26-31-61

(تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱلْقُرْءَانِ ...) 01	74-71-68-63-56-52-51-29-23
(هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)02	241-98-74-70-68-53-51-26
(ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ ...) 03	152-78-71-69
(إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ...) 04	241-208-200-189-175-75-53-52-36
(زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ ...) 04	69-65
(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ ...) 06	160-153-152-99-98-69-66-51-31
(إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ ...) 07	94-93-92-29
(وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ)08	92-86
(إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ)09	153-99-98-96-92
(وَأَلْقِ عَصَاكَ...) 10	134-96-93-92-36-35
(إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ)10	99-98-92
(إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا ...) 11	134-34
(وَأَدْخِلْ يَدَكَ ...)12	93-92
(فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ ...) 12	97
(إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ...)12	99-93
(فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً ...) 13	99-98-94-90-89
(وَجَحَدُوا۟ بِهَا ...) 14	159-135-94
(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ)14	97-93-92-90
(وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا...) 15	152-49
(وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ...)16	153-129
(وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ...) 16	129
(قَالَتْ نَمْلَةٌ ...) 18	116
(لَا يَحْطِمَنَّكُمْ ...) 18	117
(فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا...) 19	130-129
(رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ ...) 19	107-49

(وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ ...)20	110
(لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا ...) 21	130–35
(أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ)21	115
(فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ...) 22	35
(أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ...) 22	111
(وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ ...) 22	116
(وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ ...) 23	111–107
(فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ)24	130
(أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ...) 25	152–130–114–35–34
(يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...) 25	158–134–114
(وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ)25	194
(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ...) 26	137–134–27
(سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ ...) 27	112
(ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي ...) 28	115
(بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ...) 30	125–119
(أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)31	130
(أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ)32	130
(وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ...) 33	26
(أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا ...) 38	121
(عِندَهُۥ عِلْمُ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ...) 40	121
(وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا ...) 42	135–131–123
(قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ ...) 44	131
(صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ...) 44	26
(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ...) 44	159–134–131–124
(وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ ...) 44	131–49

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ ...) 45	203–175–160–157–153–152–147
(أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ...) 45	158–157–152–151–87
(فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ)45	159–153–151–147
(لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ...) 46	155
(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)46	151
(قَالُواْ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ ...) 47	151–144
(وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ ...) 48	176–155–148–147
(تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ ...) 49	151
(وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ)49	151
(وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا ...) 50	154–147–36
(فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ ...) 51	177–148
(فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً ...) 52	175–147
(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)52	148
(وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...) 53	169–148–147
(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ ...) 54	203–176–176–175–173–165
(أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ ...) 55	170
(بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) 55	151
(فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ ...) 56	173–167
(أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ...) 56	204–173
(إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)56	173–170
(فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ...) 57	206
(وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ...) 58	205–177–175–174–173
(قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ ...) 59	224–204
(ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)59	158–155–142
(أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...) 60	205

(أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ ...) 61	205-35
(أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ...) 63	208-205
(قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ...) 64	208-205
(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ ...) 65	226-225-204-189
(أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا ...) 67	54
(إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ)68	201
(قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ ...) 69	208-206
(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ...) 70	204-55
(وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ ...) 71	204
(وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ ...) 73	225
(وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ...) 75	204-201
(إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ ...) 76	224-207-205-203-133-32
(وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)77	224-207-56
(إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ...) 78	225
(فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ...) 79	208-206
(إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ...) 81	208-204-201-196
(أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ ...) 82	242
(وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ ...) 85	227-222
(أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ ...) 86	214
(صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ...) 88	219
(مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ ...) 89-90	242-242-241-233-226-223-220-70-52 -243
(إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ...) 91	245-244-243-241-239-152-52-32
(وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ...) 91	241
(أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ)91	235
(وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ...) 92	244-242-236-235-53-52-45-32-30

(فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ...) 92	245-235
(وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ ...) 92	53
(إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ)92	236
(وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ...) 93	243-236-235-204-52-30
(سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ...) 93	236-52-32
(وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ ...) 93	245-242-236-31
القصص	
(طسٓمٓ ...) 01	31-23
(نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ ...) 02-03	33-32-30
(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ...) 04	31
(وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ ...) 05	31
(لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم ...) 29	86
(فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ ...) 30	86
(أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ...) 31	88
(ٱسْلُكْ يَدَكَ ...) 32	88
(فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ ...) 36	90
(وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ ...) 86	31
(وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ...) 88	32
العنكبوت	
(إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ...) 28	176
(ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ ...) 29	204-177-166-143
(وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَآ ءَايَةًۢ ...) 35	168
الروم	
(ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً ...) 25	215
(وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ...) 27	187
(فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ...) 30	169-126

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

لقمان	
(وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ ...) 10	185
(يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ...) 16	194
(إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ...) 34	188
سبأ	
(وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ)37	217
فاطر	
(وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ ...) 43	147-145
يس	
(قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ...)18	144
(سُبْحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ...)36	165
(ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ ...) 65	213
(وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ ...)70-69	66
(أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ ...) 77-78	193
(إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا ...)82	93
الصافات	
(ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...) 22	213
(وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ)137-138	168
(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ...)171-173	56
(وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ)181	184
ص	
(أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ...) 05	54
(وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ...) 31-35	126
غافر	
(إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...) 51	202
فصلت	
(فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ...)17	159

(وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ ...) 37	112
(أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ ...) 40	218
(سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ ...) 53	240-233
الشورى	
(لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ...) 11	92
الزخرف	
(وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ ...) 87	184
الجاثية	
(وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ...) 24	54
الأحقاف	
(فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ...)35	133
محمد-صلى الله عليه وسلم-	
(وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ...) 17	232
القلم	
(نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)01	23
المعارج	
(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا ...) 43	215
الجن	
(قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ ...) 01-02	108
(وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ...) 14-15	108
المزمل	
(يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ...) 01	23
المرسلات	
(هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ)35-36	213
النازعات	
(أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ) 11-12	193
المطففين	

(وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ...) 01	23
البروج	
(إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ...) 13	187
الشمس	
(إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ...) 12	145
العلق	
(ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ...) 01	23
العصر	
(وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...) 03	70-69
الفيل	
(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ) 01	69
قريش	
(فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ...) 04	231

جمعية التأهيل عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
أدعو إلى الله وحده	186
أعطيت مكان التوراة السبع الطوال	17
إن أفضلكم من تعلم القرآن	17
إن أول الآيات خروجا	213
إن الله كتب الحسنات والسيئات	217
إن لله أهلين من الناس	15
إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السماوات	231
إن هذا القرآن مأدبة الله	16
خيركم من تعلم القرآن	16
الطيرة شرك	148
كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته	170
كنت عند رسول الله	14
لما نزلت آخر آية	13
من زعم أنه يعلم	189
من قرأ القرآن وتعلمه	16
من قرأ حرفا من كتاب الله	16
من قرأ طس سليمان	17
من وجدتموه يعمل عمل	169
لا نورث ما تركنا فهو صدقة	106
لا حسد إلا على اثنتين	16
إن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل أربع من الدواب	112
يقول الله عز وجل:من عمل حسنة	217

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يا أيها الناس، لا يغترن أحدكم بالله	234

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم	الصفحة
برهان الدين البقاعي	44
بيوض إبراهيم	45
زغلول النجار	44
سيد قطب	43
عبد الرحمان الميداني	45
الفيروز أبادي	45
محمد الطاهر بن عاشور	45
محمد حسين الطبطبائي	45
محمد علي الصابوني	43
وهبة الزحيلي	43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم، مصحف المدينة النبوية للنشر الحاسوبي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، 1426هـ.

ثانيا: المصادر والمراجع:

1- أحمد البنا: **اتحاف فضلاء البشر**،تحقيق:شعبان محمد إسماعيل،ط1،عالم الكتب، بيروت، 1407هـ/ 1987م.

2-إسماعيل الجوهري:**الصحاح**، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 1990م.

3-ابن عطية الأندلسي:**المحرر الوجيز**،تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،1422هـ/2001م.

4- محمد سالم عطية:**آيات الهداية والاستقامة**، دار الجوهرة، المدينة المنورة، 1426هـ.

5-علاء الدين محرم:**قصص القرآن**، ط1، مطبعة الاتحاد،مصر،2008م.

6-علي الحمد محمد الصالحي:**الضوء المنير على التفسير**،[د.ط]،مؤسسة النور، مكتبة دار السلام، الرياض-السعودية،[د.ت].

7-عمر سليمان الأشقر:**عالم الجن والشياطين**،مكتبة الفلاح، الكويت،1404هـ/1984م.

8-عمر سليمان الأشقر:**عالم السحر والشعوذة**، ط3، دار النفائس، الأردن،1415هـ/1997م.

9-عمر يوسف حمزة:**العرض القرآني لسيرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-**، ط3، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، 1996م.

10-أبو عمرو الداني:**البيان في عد آي القرآن**،تحقيق:غانم قدوري الحمد،[د.ط]،منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق،الكويت،[د.ت].

11-غانم قدوري الحمد:**محاضرات في علوم القرآن**، ط1، دار عمار،عمان-الأردن،1423 هـ /2003م.

12-ابن فارس:**معجم مقاييس اللغة**، تحقيق:عبد السلام محمد هارون[د.ط]،دار الفكر،[د.م] 1399هـ/1979.

13- أشرف طه أبو الذهب:**المعجم الإسلامي**،ط1،دار الشروق، القاهرة،1423هـ/2002م.

14-الفضل بن الحسن الطبرسي:**مجمع البيان في تفسير القرآن**،[د.ط]،دار الفكر،ودار الكتاب اللبناني،1374هـ/1995م.

15-فهد بن شتوي:**دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، قسم الكتاب والسنة،كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى، السعودية،1426هـ2005م.

16-الفيروز آبادي:**القاموس المحيط**،نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية، [د.م]، 1302هـ.

17-الفيروز آبادي:**بصائر ذوي التمييز**،تحقيق:محمد النجار،[د.ط]،المكتبة العلمية،بيروت-لبنان، [د.ت].

18-ابن قتيبة:**تفسير غريب القرآن**،تحقيق:أحمد صقر،[د.ط]،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، 1398هـ.

19-القرطبي:**الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى**،ط1،دار الصحابة ،طنطا، 1416هـ/ 1995م.

20-القرطبي:**الجامع لأحكام القرآن**،تحقيق:عبد الله التركي وآخرون،ط1،مؤسسة الرسالة ، بيروت-لبنان،1427هـ/2006م.

21-ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: مصطفى السيد محمود وآخرون،ط1، مؤسسة قرطبة، الجيزة، القاهرة-مصر،2000م.

22-كمال الدين عبد الغني المرسي : **فواصل الآيات القرآنية**، ط1، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1420هـ/1990م.

23-المبارك فوري:**الرحيق المختوم**،[د.ط]،دار ابن خلدون، الإسكندرية،[د.ت].

24- عبد الحميد ابن باديس:**مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير**،ط1،دار الرشيد،الجزائر،1430هـ/ 2009م.

25-محمد أبو زهرة:**المعجزة الكبرى**،[د.ط]،دار الفكر العربي،[د.ت].

26-محمد أبو شهبة:**الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير**،ط4،مكتبة السنة،القاهرة-مصر، 1408هـ.

27-محمد أبو شهبة:**المدخل لدراسة القرآن**،ط3،دار اللواء،السعودية،1407هـ/1987م.

28-محمد الأمين الهرري:**تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**،مراجعة:هشام محمد علي مهدي،ط1،دار طوق النجاة،بيروت-لبنان،1429هـ/2001م.

29-محمد الراوي:**كلمة الحق في القرآن الكريم**، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، 1415هـ/1995م.

30-محمد الرعيني الأندلسي:**الكافي في القراءات السبع**،تحقيق:أحمد محمود عيسى عبد السميع الشافعي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،1421هـ/2000م.

31-محمد الصباغ:**لمحات في علوم القرآن**،ط3،المكتب الإسلامي،بيروت-لبنان، 1410هـ /1990م.

32-محمد الغزالي:**نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم**،[د.ط]،دار بغداد للطباعة ، الرويبة-الجزائر،2000م.

33-محمد المطني:**سورة القصص دراسة تحليلية**،رسالة دكتوراه غير مطبوعة،كلية العلوم الإسلامية، [د.م]، [د.ت].

34-محمد المكي الناصري:**التيسير في أحاديث التفسير**،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت-لبنان، 1405هـ/1985م.

35- بدر الدين ابن جماعة: **كشف المعاني في المتشابه من المثاني**،تحقيق:عبد الجواد خلف، ط1، دار الوفاء، المنصورة،1410هـ/1990م.

36-محمد بسام رشدي الزين:**مدرسة الأنبياء**،ط1 معادة،دار الفكر، دمشق، 1422هـ /2001م.

37-محمد بكر إسماعيل:**أسماء الله الحسنى وآثارها**، ط1،دار المنارة، القاهرة، 1429هـ /2000م.

38-ابن إسحاق:**السيرة النبوية**،تحقيق:محمد فريد المزيدي،ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان، 1424هـ/2004م.

39-محمد بن إسماعيل البخاري:**صحيح البخاري**، ط1،دار ابن حزم،بيروت-لبنان، 1424هـ /2003م

40-محمد بن الزبير الغرناطي:**البرهان في تناسب سور القرآن**،تحقيق:سعيد الفلاح،ط1،دار ابن الجوزي،السعودية،1428هـ.

41- محمد بن رزق طرهوني : **موسوعة فضائل سور وآيات القرآن**،ط1، دار ابن القيم، الدمام-السعودية، 1409هـ.

42-محمد بن شريح الرعيني: **الكافي في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، 1421هـ/2000م.

43-محمد بن صالح العثيمين:**القول المفيد على كتاب التوحيد**،[د.ط]، [د.ن]، [د.م]، [د.ت].

44-محمد بن عمر باز مول:**علم المناسبات في السور والآيات**،ط1،المكتبة المكية،مكة المكرمة، 1423هـ/2002م.

45-محمد بيومي مهران:**بنو إسرائيل**،[د.ط]،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1999م.

46-محمد بيومي مهران:**دراسات تاريخية من القرآن**، ط2،دار النهضة العربية،بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م.

47-محمد ربيع هادي المدخلي:**الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى**،ط1،مكتبة لينة،دمنهور، 1409هـ/1988م.

48-محمد سعيد رمضان البوطي:**فقه السيرة النبوية**،ط1،دار الفكر،دمشق-سوريا ، 1423هـ /2003م.

49-محمد عبد الله دراز:**مدخل إلى القرآن الكريم**، [د.ط]، دار القلم، 1404هـ/1984م.

50-محمد عزة دروزة:**سيرة الرسول-صلى الله عليه وسلم-**،اعتناء:عبد الله الأنصاري، [د.ط]، منشورات المكتبة العصرية،صيدا-بيروت،[د.ت].

51-محمد عصام مفلح القضاة:**الواضح في أحكام التجويد**،[د.ط]،دار النفائس، الأردن ، [د.ت].

52-محمد علي الصابوني:**صفوة التفاسير**،ط5،دار الضياء،قسنطينة-الجزائر،1411هـ / 1990م.

53-محمد عمر باحذق:**أسلوب القرآن الكريم**،ط1،دار المأمون للتراث،دمشق، 1414هـ / 1994م.

54-محمد متولي الشعراوي:**تفسير الشعراوي**،[د.ط]، [د.ن]، [د.م]، [د.ت].

55-محمد محمد أبو ليلة:**القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي**،ط1،دار النشر للجامعات، القاهرة-مصر،1423هـ/2002م.

56-البغوي:**معالم التنزيل**،تحقيق:محمد النمر وعثمان ضمرية، وسليمان الحرش،[د.ط]، دار طيبة،الرياض، 1411هـ.

57-محمد محيسن:**الإرشادات الجلية في القراءات السبع من طريق الشاطبية**،ط1،دار الحسين، القاهرة،1426هـ/2005م.

58-محمد منير الغضبان:**المنهج الحركي للسيرة النبوية**،ط6،مكتبة المنار،الزرقاء-الأردن ، 1411هـ/ 1990م.

59-محمد ناصر الدين الألباني:**سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها** ، [د.ط]،مكتبة المعارف،الرياض،1415هـ/1995م.

60-محمد ناصر الدين الألباني:**صحيح سنن ابن ماجة**،ط1،مكتبة المعارف،الرياض-السعودية ، 1418هـ/1997م.

61-محمد ناصر الدين الألباني:**صحيح سنن الترمذي**،ط1،مكتبة المعارف،الرياض-السعودية، 1420هـ/2000م.

62-محمود بن حمزة الكرماني:**أسرار التكرار في القرآن**،تحقيق:عبد القادر أحمد عطا، [د.ط]، [د.ن]، [د.م]، [د.ت].

63-محمود مصطفى:**إعجام الأعلام**،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،1403هـ / 1983م.

64-محي الدين الدرويش:**إعراب القرآن وبيانه**، ط7،دار اليمامة،دمشق،1420هـ /1990م.

65-مختار عطية:**الإيجاز في كلام العرب**،[د.ط]،دار المعرفة،مصر،[د.ت].

66-المراغي:**تفسير المراغي**،ط1،مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ، 1365هـ/1946م.

67-البقاعي:**نظم الدرر**،[د.ط]،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،[د.ت].

68-مصطفى بن العدوي:**التسهيل لعلوم التنزيل**،ط1،مكتبة طنطا،1423هـ/2002م.

69-مصطفى ديب البغا،ومحي الدين مستو:**الواضح في علوم القرآن**،دار الكلم الطيب،ودار العلوم الإنسانية،دمشق-سوريا،1418هـ/1998م.

70-مصطفى مسلم:**التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم**،ط1،دار القلم،كلية الدراسات العليا والبحث العلمي،الشارقة،1431هـ/2009م.

71-مصطفى مسلم:**مباحث في التفسير الموضوعي**،ط1،دار القلم،دمشق،1410هـ/1989م.

72-المعتصم بالله طاهر الجزائري:**كتاب التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن**، ط1، مطبعة المنار، مصر، 1334 هـ.

73-مناع القطان:**مباحث في علوم القرآن**،ط2،مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،1420 هـ / 1990م.

74-ابن منظور:**لسان العرب**،[د.ط]،دار المعرفة،القاهرة-مصر،[د.ت].

75-منيرة محمد ناصر الدوسري:**أسماء سور القرآن وفضائلها**،ط1،دار ابن الجوزي، السعودية، 1426هـ.

76-مهدي رزق الله:**السيرة في ضوء المصادر الأصلية**،ط1،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض-السعودية،1412هـ/1992م.

77-موسى إبراهيم الإبراهيم:**بحوث منهجية في علوم القرآن**،ط1،دار عمان،عمان-الأردن، 1416هـ/1996م.

78- البيهقي:**دلائل النبوة**،تحقيق:عبد المعطي قلعجي،ط1،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان، 1408هـ/1988م.

79-ابن هشام: **السيرة النبوية**، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي، [د.ط]،[د.ن]،[د.م]،[د.ت].

80-وهبة الزحيلي:**التفسير المنير**،ط1،دار الفكر،دمشق-سوريا،1418هـ/1998م.

81-وهبة الزحيلي:**التفسير الوجيز**،دار الفكر،دمشق-سوريا،1415هـ/1994م.

82-ياقوت الحموي:**معجم البلدان**،[د.ط]،دار صادر،بيروت،1317هـ/1977م.

83-يسرى السيد محمد طه:**بدائع التفسير الجامع لما فسره ابن القيم**،دار ابن الجوزي ، السعودية، 1427هـ.

84-أبو يعلى الفراء:**كتاب الإعتقاد**،تحقيق:محمد بن عبد الرحمان الخميس،ط1،دار أطلس الخضراء، الرياض-السعودية،1423هـ/2002م.

85- البيهقي:**شعب الإيمان**، تحقيق:محمد السعيد بسيوني زغلول، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1410هـ.

86- أبو بكر جابر الجزائري:**أيسرالتفاسير**،ط1،مكتبةأضواءالمنار،السعودية،1419هـ/1999م.

87- أبو بكر جابر الجزائري:**عقيدة المؤمن**،ط1،مكتبة العلوم والحكم،المدينة المنورة،1420هـ.

88- أحمد بزيو:**خصائص الأسلوب في سورة النمل**،رسالة ماجستير غير مطبوعة،قسم اللغة العربية وآدابها،كلية الآداب واللغات،الجزائر،2007/2006م.

89- بلقاسم الغالي:**شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور**،ط1،دار ابن حزم،بيروت-لبنان، 1417هـ/1996م.

90- عبد الواحد صالح بهجت: **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، [د.ط]، دار الفكر، [د.م]، [د.ت].

91- إبراهيم بن عمر بيوض:**في رحاب القرآن**،[د.ط]،جمعية التراث،غرداية-الجزائر، 1421هـ/ 2000م.

92-ابن تيمية:**العبودية**،تحقيق:علي حسن عبد الحميد،ط3،دار الأصالة، الإسماعلية-مصر، 1419هـ/1999م.

93-ابن تيمية:**قاعدة في فضائل القرآن**،اعتناء:سليمان بن صالح القرعاوي،[د.ط]،مكتبة الظلال الأحساء،السعودية،1414هـ.

94-الثعالبي:**الجواهر الحسان**،تحقيق:علي محمد عوض،عادل أحمد عبد الموجود،ط1،دار إحياء التراث عربي،بيروت-لبنان،1418هـ/1997م.

95- الطبري:**تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، [د.ت].

96- الطبري:**جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق:عبد الله التركي، ط1، دار هجر، الجيزة-مصر، 1422هـ/2001م.

97- الطحاوي:**شرح مشكل الآثار**، تحقيق:شعيب الأرناؤوط، ط1، مؤسسة الرسالة،[د.م]، 1413هـ/1994م

98- أبو جعفر النحاس:**معاني القرآن الكريم**، تحقيق:محمد علي الصابوني، ط1، معهد البحوث والإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1410 هـ/1989م.

99-ابن الجوزي:**زاد المسير**، ط3، المكتب الإسلامي، بيروت-لبنان،1404هـ/1984م.

100-ابن الجوزي:**فنون الأفنان في عجائب القرآن**،تحقيق:صلاح بن فتحي هلل،ط1،مؤسسة الكتاب الشاطبية،بيروت-لبنان،1422هـ/2001م.

101- أحمد طاهر حامد:**الجامع لأسماء الله الحسنى**، ط1،دار الفجر، القاهرة، 1423هـ /2002م.

102- عبد الرحمان الميداني: **معارج التفكر ودقائق التدبر**،ط1،دار القلم، دمشق، 1423هـ /2002م.

103- الحسن بن عبد الغفار الفارسي: **الحجة في القراءات السبعة**،تحقيق:بدر الدين قهوجي وبشير حويجباتي،ط1،دار المأمون للتراث،1413هـ/1994م.

104- حسين شرفة:**سنن الله في إحياء الأمم في ضوء الكتاب والسنة**، رسالة دكتوراه غير مطبوعة، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2004م.

105- مسلم بن الحجاج:**صحيح مسلم**،ترقيم وترتيب:محمد فؤاد عبد الباقي،ط1،دار الأصالة للنشر والتوزيع،الجزائر،2010م.

106- حمزة النشرقي وعبد الحفيظ فرغلي وعبد الحميد مصطفى: **سلسلة القصص القرآني**، [د.ط]، [د.ن]،[د.م]،[د.ت].

107- أبو حيان الأندلسي:**البحر المحيط**،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وآخرون،ط1، دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،1431هـ/1993م.

108- خالد السبت:**قواعد التفسير**، ط1، دار ابن عفان، [د.م]، 1421هـ.

109- ابن حنبل:**المسند**،شرحه ووضع فهارسه:حمزة أحمد الزين،ط1،دار الحديث،القاهرة-مصر-1416هـ/1995م.

110-ابن خالويه: **الحجة في القراءات السبع**،ط3، دار الشروق،بيروت-لبنان، 1399هـ/ 1979م.

111-الخطابي:**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن**، تحقيق:محمد خلف ومحمد زغلول سلام، ط3، دار المعارف، القاهرة، [د.ت].

112-ابن خلف:**العنوان في القراءات السبع**،تحقيق:عبد المهيمن الطحان،رسالة ماجستير غير مطبوعة،كلية الشريعة والدراسات الإسلامية،قسم الدراسات العليا،جامعة أم القرى، السعودية ، 1403هـ.

113-ابن خلكان:**وفيات الأعيان**،تحقيق:إحسان عباس،[د.ط]،دار صادر،بيروت-لبنان،1969م

114-أبو داود:**سنن أبي داود**،تخريج وتعليق:ناصر الدين الألباني،ط2،مكتبة المعارف،الرياض-السعودية،1424هـ.

115-الدمغاني:**قاموس القرآن**،تحقيق:عبد العزيز سيد الأهل،ط3،دار العلم للملايين،1980م.

116-الرازي:**تفسير الفخر الرازي**،ط1،دار الفكر،[د.م]،1401هـ/1981م.

117- ابن أبي الربيع الإشبيلي:**تفسير القرآن**، تحقيق:[د.ط]، صالحة بنت راشد غنيم، [د.ن]، السعودية، 1411هـ.

118- رياض عميراوي : **الوحدة الموضوعية في سورة الحج**، رسالة ماجستير غير مطبوعة، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، قسم الكتاب والسنة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، 2009م.

119-أبو زرعة:**حجةالقراءات**،تحقيق:سعيدالأفغاني،ط5،مؤسسة الرسالة،بيروت،1418هـ/1997م.

120- النسائي:**السنن الكبرى**،تحقيق:حسن عبد المنعم شلبي،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت-لبنان،1421هـ/2001م.

121- أحمد بن علي التميمي:**مسند أبي يعلى الموصلي**،تحقيق:حسين سليم أسد،ط1،دار المأمون للتراث،دمشق-سوريا،1407هـ/1987م.

122-الزرقاني:**مناهل العرفان**،تحقيق:فؤاد زمولي،ط1،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان، 1415هـ/1995م.

123-الزركشي:**البرهان**،تحقيق:محمد أبو الفضل إبراهيم،[د.ط]،دار التراث،القاهرة-مصر، [د.ت].

124-الزركلي:**الأعلام**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002م.

125-زغلول النجار:**من آيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**،ط2،دار المعرفة،بيروت-لبنان، 1428هـ/2007م.

126-الزمخشري:**الكشاف**،تحقيق:عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض-السعودية، 1418هـ/1998م.

127- سامي محمد هشام حريز:**نظرات من الإعجاز البياني**،ط1، دار الشروق، عمان- الأردن، 2006م.

128- سعد الحصين:**مهذب تفسير الجلالين**،ط1، [د.ن]،[د.م]، 1423هـ/2002م.

129- الطبراني:**مسند الشاميين**، تحقيق:حمدي بن عبد المجيد، [د.ط]،مؤسسة الرسالة،[د.م]،1405هـ/1984م.

130- ابن الجارود:**مسند الطيالسي**، تحقيق:محمد بن عبد المحسن التركي، ط1، دار هجر، [د.م]،1419هـ/1999م.

131- السمين الحلبي:**الدر المصون**،[د.ط]،تحقيق:أحمد الخراط،دار القلم،دمشق-سوريا،[د.ت].

132- أحمد شاكر:**عمدة التفسير عن ابن كثير**، ط2، دار الوفاء، مصر، 1426هـ/2005م.

133- سيد قطب:**التصوير الفني في القرآن**،ط10، دار الشروق، القاهرة، 1988م.

134- سيد قطب:**في ظلال القرآن**،ط10، دار الشروق، بيروت-لبنان، 1402هـ/1982م.

135-السيوطي:**الإتقان في علوم القرآن**،[د.ط]،مركز الدراسات القرآنية، السعودية، [د.ت].

136-السيوطي:**الدر المنثور**،تحقيق:عبد الله التركي، ط1، القاهرة، 1429هـ/2003م.

137-الشاطبي:**الموافقات**، ط1، دار ابن عفان، السعودية، 1417هـ/1997م.

138- شعبان محمد إسماعيل:**المدخل لدراسة القرآن والسنة**، ط1، دار الأنصار، [د.م]، 1400هـ /1987م.

139- شمس الدين الذهبي: **تلخيص كتاب الموضوعات**، دراسة وتحقيق:أبو تميم ياسر بن إبراهيم بن محمد، ط1، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، 1419هـ/1998م.

140- شمس الدين الذهبي:**الكبائر**، تحقيق:عبد الرزاق المهدي، [د.ط]،دار الكتاب العربي،بيروت-لبنان، 1425هـ/2005م.

141- شمس الدين الذهبي:**سير أعلام النبلاء**،تحقيق:مأمون الصاغرجي، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت،1405هـ/1985م.

142- شهاب الدين الألوسي:**روح المعاني**،[د.ط]،دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، [د.ت].

143- أحمد عبد الجواد:**ولله الأسماء الحسنى**،[د.ط]،دار الريان،القاهرة،[د.ت].

144- صالح بن أحمد رضا:**الإعجاز العلمي في السنة النبوية**، [د.ط]،مكتبة العبيكان،السعودية، [د.ت].

145- صلاح الخالدي:**الأعلام الأعجمية في القرآن**، [د.ط]، دار القلم، دمشق، [د.ت].

146-الصنعاني:**الأنباء عن دولة بلقيس وسبأ**،[د.ط]،مكتبة اليمن الكبرى،1404هـ.

147- صونيا وافق:**دروس في التفسير الموضوعي**، ط1، مكتبة اقرأ، قسنطينة-الجزائر، 1426هـ/ 2006م.

148- طاهر ابن غليون:**التذكرة في القراءات الثمانية**،تحقيق:أيمن رشدي سويد،[د.ط]، دار طيبة، 1411هـ.

149-الطباطبائي:**الميزان في تفسير القرآن**، ط1محققة، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان، 1411هـ/1991م.

150- طنطاوي جوهري:**الجواهر في تفسير القرآن**،ط2،انتشارات أفناي، تهران،1350هـ.

151- الطيب برغوث:**منهج النبي-صلى الله عليه وسلم-في حماية الدعوة ومنجزاتها خلال الفترة المكية**،ط1،المعهد العالمي للفكر الإسلامي،فرجينيا،و.م.أ،1416هـ/1996م.

152-ابن عاشور:**التحرير والتنوير**،[د.ط]، الدار التونسية للنشر، تونس،1984م.

153- عامر عبد الله فالح:**معجم ألفاظ العقيدة**،ط1،مكتبة العبيكان،الرياض،1417هـ/1997م.

154- عمر أحمد مختار:**لغة القرآن**، ط3، الكويت، 1418هـ/1997م.

155-ابن عبد البر:**الدرر في اختصار المغازي والسير**،تحقيق:شوقي ضيف،[د.ط]،دار المعارف، القاهرة،[د.ت].

156- عبد الحميد محمود طهماز:**المعجزة والإعجاز في سورة النمل**،ط3،دار القلم ،دمشق-سوريا،1422هـ/2001م.

157- عبد الرؤوف المناوي:**الفتح السماوي بتخريج أحاديث تفسير البيضاوي**،تحقيق:أحمد مجتبى ابن نذير عالم،ط1،دار العاصمة،الرياض-السعودية،1409هـ.

158- عبد الرحمان السعدي:**تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، 1423هـ/2002م.

159- عبد الرحمان ابن أبي حاتم: **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة- المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1997م

160- محمد عثمان عبد الرحمان:**تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**،[د.ط]، دار الفكر، [د.م]، [د.ت].

161- عبد السلام هارون:**تهذيب سيرة ابن هشام**، ط4، دار البحوث العلمية، الكويت، 1406هـ /1985م.

162- عبد العال سالم مكرم:**الحجة في القراءات السبع**،ط3،دار الشروق،بيروت-لبنان،1399هـ/1979م.

163- عبد العال سالم مكرم:**الكلمات الإسلامية في الحقل القرآني**،ط1،مؤسسة الرسالة،[د.ط] 1417هـ /1996م.

164- عبد القادر منصور:**موسوعة علوم القرآن**، ط1،دار القلم العربي، سوريا، 1422هـ /2002م.

165- أحمد مختار عمرو:**المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، ط1، مؤسسة سطور المعرفة، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1423هـ/2002م.

166- عبد اللطيف الخطيب:**معجم القراءات**، [د.ط]،دار سعد الدين،[د.ت].

167- عبد الله الجديع:**المقدمات الأساسية في علوم القرآن**،ط1،نشر مركز البحوث الإسلامية، بريطانيا،1422هـ/2001م.

168- الحاكم النيسابوري:**المستدرك على الصحيحين**،ط1،دار الحرمين،القاهرة-مصر، 1417هـ/1997م.

169- عبد الله بن أسود خلف الجوالي:**سورة النمل، دراسة وتحليل**، ط1، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة-السعودية،1430هـ/2003م.

170- عبد الله ابن ناقيا:**الجمان في تشبيهات القرآن**،تحقيق:محمود حسن الشيباني،ط1،[د.ن] ، [د.م]، 1407هـ/1987م.

171- عبد الله محمد شحاتة:**أهداف كل سورة ومقاصدها**،[د.ط]، [د.م]،1976م.

172- عبد الله محمود شحاتة:**علوم القرآن**،[د.ط]، دار غريب،القاهرة-مصر،2002م.

173- عبد الله ناصح:علوان **حرية الاعتقاد في الشريعة الإسلامية**،[د.ط]،دار السلام،[د.ت].

174- عبد المقصود سالم:**في ملكوت الله مع أسماء الله**،ط17،شركة الشمرلي،القاهرة،[د.ت].

175-ابن العربي:**أحكام القرآن**، ط3،دار الكتب العلمية،بيروت-لبنان،1424هـ/2003م.

ثالثا: المجلات والدوريات والمحاضرات:

1- أحمد الشرباصي:**من خصائص القصة في القرآن الكريم**،مجلة كنوز الفرقان،عدد رقم1،ط1،مكتبة الإمام البخاري، الإسماعيلية-مصر،السنة الأولى،1426هـ/2005م.

2- عبد الوهاب خلاف:**وجوه إعجاز القرآن**، مجلة كنوز الفرقان، عدد رقم6/5،مكتبة الإمام البخاري،الإسماعيلية-مصر،السنة الرابعة،1371هـ/1952م.

3- علي النيفر:**إعجاز القرآن**،المجلة الزيتونية،عدد57،المطبعة التونسية نهج سوق البلاط، تونس، 1359هـ/1940م.

4- محمد محيسن:**تاريخ القرآن**، مجلة دعوة الحق،عدد رقم15،[د.م]،جمادى الآخرة، 1402هـ.

5- عبد الله المصلح:**المنح الإلهية في إقامة الحجة على البشرية**، محاضرة قدمت في الموسم الثقافي، مكة المكرمة، 1425هـ.

ثالثا:مواقع انترنيت:

1-سامي عطا حسن:المناسبات بين الآيات والسور، فوائدها وأنواعها وموقف العلماء منها، موقع: www.dahsha.com.

2-بسام جرار:أمثلة مختارة من الإعجاز العددي، موقع: www.islamnoon.com.

3-موقع:ويكيبيديا،الموسوعة الحرة: www.wikipedia.org

4-موقع المكتبة الشاملة: www.shamela.ws

5- موقع الاستشارات: www.islamweb.net.

فهرس الموضوعات

مقـــــدمة

أسباب اختيار الدراسة..... أ
الإشكالية..... ب
أهمية الدراسة..... ب
الهدف من الدراسة..... ت
منهج الدراسة..... ت
الدراسات السابقة..... ث
المصادر والمراجع..... ج
صعوبات البحث..... ح
خطة البحث..... ح

فصل تمهيدي : التعريف بسورة النمل وموضوعها الرئيس

تمهيد..... 11
المبحث الأول:التعريف بسورة النمل..... 12
تمهيد..... 13
المطلب الأول:تسميتها – فضلها..... 13
الفرع الأول: تسميتها..... 13
الفرع الثاني:فضلها..... 15
المطلب الثاني : مكان نزولها وزمانه – عدد آياتها وكلماتها وحروفها..... 19
الفرع الأول:مكان نزولها وزمانه..... 19
أولا:مكان نزولها..... 19
ثانيا:زمان نزولها..... 20
الفرع الثاني:عدد آياتها وكلماتها وحروفها..... 25
أولا:عدد آياتها..... 25
ثانيا:عدد كلماتها..... 26
ثالثا:عدد حروفها..... 26

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث :ترتيبها – مناسبتها لما قبلها وما بعدها. 28
الفرع الأول:ترتيبها 28
الفرع الثاني: مناسبتها لما قبلها وما بعدها 29
أولا:مناسبة سورة النمل لسورة الشعراء 29
ثانيا:مناسبة سورة النمل لسورة القصص 30
المطلب الرابع : أهم سماتها ومميزاتها – أهم أغراضها ومقاصدها 34
الفرع الأول: أهم سماتها ومميزاتها 34
الفرع الثاني: أغراضها ومقاصدها 38
المبحث الثاني : موضوع سورة النمل الرئيس. 41
تمهيد 41
المطلب الأول : آراء العلماء في الموضوع الرئيس لسورة النمل 42
المطلب الثاني : أسماء سورة النمل وعلاقتها بموضوعها 48
المطلب الثالث : مناسبة افتتاحية سورة النمل لخاتمتها وعلاقة ذلك بموضوعها الرئيس 51
المطلب الرابع : أجواء نزول سورة النمل 55
خلاصة الفصل التمهيدي 58

الفصل الأول: افتتاحية سورة النمل

تمهيد 60
المبحث الأول : رسالة القرآن الكريم ومصدر تلقيه. 61
تمهيد 61
المطلب الأول : رسالة القرآن الكريم. 62
المطلب الثاني : مصدرية تلقي القرآن الكريم. 67
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة. 69
المبحث الثاني : جوانب التناسب في المقطع الأول من سورة النمل 73
تمهيد 73
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الأول من سورة النمل فيما بينها 74
الفرع الأول:تعريف المناسبة 74

الفرع الثاني:تناسب آيات المقطع الأول فيما بينها 75
المطلب الثاني : تناسب المقطع الأول من سورة النمل مع موضوعها 78
خلاصة الفصل الأول 80

الفصل الثاني: الرسالية في قصة موسى عليه السلام

تمهيد 82
المبحث الأول:التكليف الرسالي لموسى عليه السلام واستقبال فرعون وقومه له 83
تمهيد 83
المطلب الأول: التكليف الرسالي لموسى عليه السلام 84
توطئة:بين يدي القصص القرآني 84
المطلب الثاني: استقبال فرعون وقومه لرسالة موسى عليه السلام وعاقبتهم 90
المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة 93
المبحث الثاني: جوانب التناسب في المقطع الثاني من سورة النمل 96
تمهيد 96
المطلب الأول:تناسب آيات المقطع الثاني من سورة النمل فيما بينها 97
المطلب الثاني: تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع سابقه 99
المطلب الثالث: تناسب المقطع الثاني من سورة النمل مع موضوعها 101
خلاصة الفصل الثاني 102

الفصل الثالث: قصة داود وسليمان عليهما السلام

تمهيد 104
المبحث الأول : أفضال الله على داود وسليمان عليهما السلام وقصته مع الهدهد 105
تمهيد 105
المطلب الأول : أفضال الله على داود وسليمان عليهما السلام 106
المطلب الثاني: قصة الهدهد مع سليمان عليه السلام 111
المطلب الثالث: اللطائف المستنبطة 115
المبحث الثاني : سليمان عليه السلام وملكة سبإ 119
تمهيد 119

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول :استقبال ملكة سبإ لكتاب سليمان عليه السلام وجوابها عليه..... **120**
المطلب الثاني:رد سليمان عليه السلام على موقف ملكة سبإ وإحضار عرشها بين يديه..... **122**
المطلب الثالث : قدوم ملكة سبإ على سليمان عليه السلام وإعلان إسلامها..... **124**
المطلب الرابع : اللطائف المستنبطة..... **126**
المبحث الثالث : جوانب التناسب في المقطع الثالث من سورة النمل..... **129**
تمهيد..... **129**
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الثالث من سورة النمل فيما بينها..... **130**
المطلب الثاني : تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع سابقه..... **133**
المطلب الثالث : تناسب المقطع الثالث من سورة النمل مع موضوعها..... **137**
خلاصة الفصل الثالث..... **139**

الفصل الرابع :قصة صالح عليه السلام مع قومه

تمهيد..... **141**
المبحث الأول : رسالة صالح عليه السلام وموقف قومه منها..... **142**
تمهيد..... **142**
المطلب الأول : الدعوة إلى عبادة الله وجدال القوم..... **143**
المطلب الثاني : التآمر على قتل صالح عليه السلام وعاقبة ذلك..... **146**
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة..... **148**
المبحث الثاني : جوانب التناسب في المقطع الرابع من سورة النمل..... **151**
تمهيد..... **151**
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الرابع من سورة النمل فيما بينها..... **152**
المطلب الثاني : تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع سابقه..... **153**
المطلب الثالث : تناسب المقطع الرابع من سورة النمل مع موضوعها..... **158**
خلاصة الفصل الرابع..... **161**

الفصل الخامس :قصة لوط عليه السلام مع قومه

تمهيد..... **164**
المبحث الأول : استنكار لوط عليه السلام فساد قومه وعاقبة أفعالهم..... **165**

تمهيد 165
المطلب الأول : استنكار لوط عليه السلام فساد قومه 166
المطلب الثاني : جواب قوم لوط عليه السلام وذكر عاقبتهم 168
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة. 170
المبحث الثاني : جوانب التناسب في المقطع الخامس من سورة النم. 173
تمهيد 173
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الخامس من سورة النمل فيما بينها 174
المطلب الثاني : تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع سابقه 176
المطلب الثالث : تناسب المقطع الخامس من سورة النمل مع موضوعها 179
خلاصة الفصل الخامس 181
الفصل السادس: الهداية إلى الحق فيما طعن فيه الكفار من القضايا
تمهيد 183
المبحث الأول : أدلة التوحيد واختصاص الله تعالى بعلم الغيب 184
تمهيد 184
المطلب الأول : أدلة توحيد الله تعالى 185
المطلب الثاني : لا يعلم الغيب إلا الله تعالى 189
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة 191
المبحث الثاني : الرد على منكري البعث وبرهان صدق النبوة 193
تمهيد 193
المطلب الأول : منكرو البعث والرد عليهم 194
المطلب الثاني : برهان صدق نبوة النبي صلى الله عليه وسلم 197
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة 199
المبحث الثالث: جوانب التناسب في المقطع السادس من سورة النمل 201
تمهيد 201
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع السادس من سورة النمل فيما بينها 202
المطلب الثاني : تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع سابقه 205

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثالث : تناسب المقطع السادس من سورة النمل مع موضوعها 209
خلاصة الفصل السادس 210

الفصل السابع: حديث بين يدي القيامة

تمهيد 213
المبحث الأول : بعض أمارات القيامة وبعض مشاهدها 214
تمهيد 214
المطلب الأول : خروج الدابة وحشر المكذبين بآيات الله. 215
المطلب الثاني : النفخ في الصور وتسيير الجبال. 217
المطلب الثالث : بيان أحوال الأبرار والفجار 219
المطلب الرابع : اللطائف المستنبطة 221
المبحث الثاني : جوانب التناسب في المقطع السابع من سورة النمل 223
تمهيد 223
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع السابع من سورة النمل فيما بينها 224
المطلب الثاني : تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع سابقه 226
المطلب الثالث : تناسب المقطع السابع من سورة النمل مع موضوعها 228
خلاصة الفصل السابع 229

الفصل الثامن: خاتمة سورة النمل

تمهيد 231
المبحث الأول:الدعوة إلى الاشتغال بالعبادة وتلاوة القرآن وبيان شمول العلم الإلهي 232
تمهيد 232
المطلب الأول : الدعوة إلى الاشتغال بعبادة الله وتلاوة القرآن 233
المطلب الثاني : بيان إحاطة علم الله بكل شيء 235
المطلب الثالث : اللطائف المستنبطة 237
المبحث الثاني : جوانب التناسب في المقطع الثامن من سورة النمل 240
تمهيد 240
المطلب الأول : تناسب آيات المقطع الثامن من سورة النمل فيما بينها 241

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني : تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع سابقه..... **243**
المطلب الثالث : تناسب المقطع الثامن من سورة النمل مع موضوعها..... **246**
خلاصة الفصل الثامن..... **249**

خـــــاتمة

الفهارس العامة..... **251**
فهرس الآيات القرآنية..... **252**
فهرس الأحاديث النبوية..... **264**
فهرس الأعلام..... **266**
فهرس المصادر والمراجع..... **267**
فهرس الموضوعات..... **280**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية